

جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ
ذِيَّانُ الْوَقْفِ الشَّيْخِيِّ

تراث البصرة

مَجَلَّةُ فِصْلِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ
تُعْنَى بِالتُّرَاثِ البَصْرِيِّ

تصدر عن :

العتبة العباسية المقدسة
فيسبوعون البعاج والاسلامية والاسنانية
مركز تراث البصرة

السنة الثانية - المجلد الثاني - العدد الثالث

رجب ١٤٣٩ هـ - آذار ٢٠١٨ م



التّرقيم الدّوليّ

ردمد: 2518-511X print ISSN:

Mobile: 07800816597 - 07722137733

Email: basrah@alkafeel.net

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٥٤) لسنة ٢٠١٧م

جمهورية العراق - البصرة

العناية العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية. مركز تراث البصرة.
تراث البصرة : مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث البصري / تصدر عن العناية العباسية المقدسة قسم
شؤون المعارف الاسلامية والانسانية مركز تراث البصرة-البصرة، العراق : العناية العباسية المقدسة،
قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية، مركز تراث البصرة، 1438 هـ. = 2017-
مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم
فصلية-السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الثالث (آذار 2018)-
ردمد : 2518-511X
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات بالانجليزية.
1. البصرة (العراق)--تاريخ--دوريات. 2. الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، 4-
61 هجري--نقد وتفسير--دوريات. 3. اهل بيت الرسول عليهم السلام--دوريات. 4. النحويون العرب--
العراق--البصرة--تراجم--دوريات. الف. العنوان.

DS79.9.B3 A8373 2018 VOL. 2 NO. 3

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة المائدة : الآية (٣)



أمر جامعي

م/ مجلة تراث البصرة

إشارة الى ما تم مناقشته في محضر مجلس الجامعة بجلسته الثالثة عشر واستناداً
للصلاحيات المخولة لنا تقرر الآتي :

اعتماد مجلة تراث البصرة الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية
لأغراض الترقية العلمية في جامعتنا .

٢٠١٧/٧/٢٥
الأستاذ الدكتور
ثامر أحمد الحمدان
رئيس الجامعة

نسخة منه إلى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- عمادة كلية الآداب / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- عمادة كلية التربية بنات / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- امانة مجلس الجامعة / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- قسم الشؤون العلمية / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- مركز تراث البصرة / العتبة العباسية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- قسم الدراسات والتخطيط والمتابعة
الصادرة

نجلاء //

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي
والبحوث العلمي
رئاسة جامعة واسط
قسم
البحوث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher
Education & Scientific
Research
Presidency of Wasit
University



الرمز :
العدد : ١١٨٥

٢٠١٧/ ٨ / ٢١
١٤٤٣ / /

.....
/ / 201

KUT. WASIT. IRAQ
Rabee' District / University
City

www.uowasit.edu.iq
E-mail:
po@uowasit.edu.iq

امر جامعي

م/مجلة تراث البصرة

إشارة إلى ماتم مناقشته في محضر مجلس الجامعة
بجلسته الثالثة عشرة المفتوحة (الجزء الثالث) للعام
الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٨ واستنادا
إلى الصلاحيات المخولة إلينا تقرر الآتي :

اعتماد مجلة (تراث البصرة) الصادرة من مركز تراث
البصرة التابع للعتبة العباسية لأغراض الترقية العلمية في
جامعتنا.

الأستاذ الدكتور

عبد الرزاق احمد النصيري
رئيس جامعة واسط

٢٠١٧/٨/ ٢١

نسخة منه الى

- *مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.
- *مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية / للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.
- *مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية / للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.
- *قسم البحث والتطوير مع الأوليات.
- *قسم الشؤون المالية
- *قسم الرقابة والتدقيق
- *قسم الموارد البشرية
- * وحدة قاعدة البيانات
- *الصادر



No :
Date:



﴿ بجيشنا والحشد الشعبي العراق أقوى وأمضى ﴾

العدد : ش ع / ٥٩٤
التاريخ : ٢٠١٨ / ١ / ١٥

(امر جامعي)

م / اعتماد مجلة

- اشارة الى كتاب امانة مجلس الجامعة المرقم (م . ج / ٧٧٠ س) في ٢٦ / ١٢ / ٢٠١٧ والمتضمن محضر الجلسة الثالثة للدراسة الصباحية لمجلس جامعتنا للعام الدراسي ٢٠١٧ / ٢٠١٨ المنعقد بتاريخ ١٤ / ١٢ / ٢٠١٧ تقرر:
- قبول اعتماد مجلة تراث البصرة في الترفيات العلمية في جامعتنا كونها تتبع الاساليب العلمية في نشر البحوث والمقالات العلمية حسب المادة (١٠) من تعليمات الترفيات العلمية في الجامعات العراقية رقم (٣٦) لسنة ١٩٩٢.
 - اعتماد المجلة اعلاه لغرض الترفيات العلمية ابتداء من تاريخ ١٤ / ١٢ / ٢٠١٧.

أ.م.د . علي عبدالعزیز الشاوي
رئيس الجامعة / وكالة
٢٠١٨/٧/

نسخة منه إلى /

- ✳ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير.
- ✳ مكتب السيد رئيس الجامعة / لتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.
- ✳ مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والدراسات العليا / لتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.
- ✳ مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون القانونية والادارية / لتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.
- ✳ الكليات كافة / مكتب السيد العميد / للاطلاع ... مع التقدير.
- ✳ الامانة العامة لعتبة العباسية المقدسة / كتابكم المرقم (٧٥١٤) في ٧ / ١ / ٢٠١٧.
- ✳ قسم الشؤون العلمية / شعبة البحوث العلمية ... مع التقدير.
- ✳ لجنة الترفيات المركزية
- ✳ شعبة البريد المركزي / الصادر.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Kerbala University
Research and development
department



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
قسم البحث والتطوير
تاريخ: 17/1/2018
رقم: 4333/س

Issu :

No. :



العدد: 4333 / س
التاريخ: 2018 / 1 / 17

أمر جامعي

إستناداً إلى الصلاحيات المخولة لنا وبناءاً على توصية اللجنة المشكلة في كلية التربية للعلوم الانسانية بموجب الامر الإداري المرقم د/4303/8 في 2017/12/28.
تقرر الآتي:
إعتماد مجلة تراث البصرة الصادره من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة لأغراض الترقيات العلمية في جامعتنا واعتباراً من تأريخه اعلاه.

أ.د. منير حميد السعدي
رئيس الجامعة
2018/1/17

نسخة منه الى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة المحترم..مع التقدير.
- مكتب السيد المساعد العلمي المحترم..مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية.
- الصادرة .

الايمل: Scientific.affairs@uokerbala.edu.iq

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة

المشرف العلمي

الشيخ عمار الهلائي

رئيس قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

رئيس التحرير

الشيخ شاكر المحمدي

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعيد جاسم الزبيدي/ جامعة نزوى / سلطنة عمان.

أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري/ بيت الحكمة/ بغداد.

أ.د. طارق نافع الحمداني/ كلية التربية / جامعة بغداد.

أ.د. حسن عيسى الحكيم/ الكلية الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف.

أ.د. فاخر هاشم سعد الياسري/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة.

أ.د. مجيد حميد جاسم/ كلية الآداب/ جامعة البصرة.

أ.د. جواد كاظم النصر الله/ كلية الآداب/ جامعة البصرة.

أ.م.د. محمود محمد جايد العيداني/ عضو الهيئة العلمية في جامعة المصطفى عليه السلام

قم المقدسة.

مدير التحرير

أ.م.د. عامر عبد محسن السعد

كلية الآداب/ جامعة البصرة

سكرتير التحرير

د. طارق محمد حسن مطر

هيئة التحرير

أ.د. حسين علي المصطفى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة.

أ.د. رحيم حلو محمد/ كلية التربية- بنات/ جامعة البصرة.

أ.د. شكري ناصر عبد الحسن/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة.

أ.د. نجم عبد الله الموسوي/ كلية التربية/ جامعة ميسان.

أ.م.د. عبد الجبار عبود الحلفي/ كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة البصرة.

أ.م.د. محمد قاسم نعمة/ كلية التربية- بنات/ جامعة البصرة.

أ.م.د. عماد جغيم عويد/ كلية التربية/ جامعة ميسان.

أ.م.د. صباح عيدان العبادي/ كلية التربية/ جامعة ميسان.

أ.م.د. علي مجيد البديري/ كلية الآداب/ جامعة البصرة.

تدقيق اللغة العربية

د. طارق محمد حسن مطر

تدقيق اللغة الإنجليزية

الأستاذ المساعد هاشم لازم كاطع

الإدارة المالية

سعد صالح بشير

الموقع الإلكتروني

أحمد حسين الحسيني

التصميم والإخراج الطباعي

محمد شهاب العلي

ضوابط النشر في مجلة (تراث البصرة)

يسرُّ مجلة (تراث البصرة) أن تستقبلَ البحوث والدراسات الرّصينة على وفق الضوابط الآتية:

١- أن يقعَ موضوع البحث ضمن اهتمامات المجلة وأهدافها (تُعنى بقضايا التراث البصريّ).

٢- أن تكون البحوث والدراسات على وفق منهجية البحث العلميّ وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٣- أن يُقدّم البحث مطبوعاً على ورق بحجم (A4)، وبثلاث نسخ، مع قرص مدمج (CD)، على أن يكونَ عددُ كلمات البحث بحدود (٥٠٠٠-١٠٠٠) كلمة، ومكتوباً بخطّ (Simplified Arabic)، وأن ترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

٤- أن يُقدّم عنوان البحث وملخص البحث باللّغتين: العربيّة والإنجليزيّة، وبحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أن تحتوي الصفّحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف الأرضي أو المحمول، والبريد الإلكترونيّ، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث، أو الباحثين، في صلب البحث، أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٦- أن يُشار إلى الهوامش في آخر البحث، وتُراعى الأصول العلميّة المتعارفة في التوثيق، والإشارة بأن تتضمن: (اسم الكتاب، رقم الصفّحة).

٧- أن يزود البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويُراعى في إعدادهما الترتيب الأبجديّ لأسماء الكتب أو البحوث في المجلّات، أو أسماء المؤلفين.

٨- أن تُطبع الجداول والصُّور واللُّوحات على أوراق مستقلّة، ويُشار في أسفل الشّكل إلى مصدرها أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- أن تُرفق نسخة من السّيرة العلميّة للباحث إذا كان ينشر في المجلّة للمرّة الأولى، وأن يُشار إلى ما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمرٍ أو ندوة، وأنّه لم يُنشر ضمن أعمالها، كما يُشار إلى اسم أيّة جهة علميّة أو غير علميّة قامت بتمويل البحث أو ساعدت في إعداده.

١٠- أن لا يكون البحث منشوراً، ولا مقدّماً إلى أيّة وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلّة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

١٢- تخضع البحوث لتقويم علميٍّ سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها، سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليّة الآتية:
أ- يبلغ الباحث بتسلّم المادّة المرسلّة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلم.

ب- يُخطّر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج- البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

د- البحوث المرفوضة يُبلغ أصحابها بذلك من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، ومكافأة مالية.

١٣- يُراعى في أسبقية النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

ج- تاريخ تقديم البحوث كلّما يتمّ تعديلها.

د- تنوع مجالات البحوث كلّما أمكن ذلك.

١٤- تُرسل البحوث على البريد الإلكتروني للمركز:

(Basrah@alkafeel.net)، أو تُسلّم مباشرة إلى مقرّ المركز على العنوان الآتي:

(العراق/ البصرة/ شارع بغداد/ حيّ الغدير/ مركز تراث البصرة).

وفّقكم الله لخدمة بصرتنا العزيزة وعراقنا الغالي.

كلمة العدد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، ولبيّ الحمد ومستحقّه، والصلاة والسلام على سيّد الخلق محمّد، وعلى آله الأطهار، أعلام الهدى، والعروة الوثقى، وسفينة النّجاة، وبعد:
تضطلعُ مجلّة (تراث البصرة) بفحص تراثٍ إنسانيّ يحكي ذاكرةً تمتدّ إلى مئات السنين، في مجالاتٍ وحقولٍ معرفيّةٍ مختلفةٍ؛ كاللّغويّ، والأديب، والتّاريخيّ، والفكريّ، والعقديّ، لمدينةٍ كانت-وما تزال- تشكّل خلاصةً الوعي العربيّ الإسلاميّ.

فالبصرةٌ واحدةٌ من المدن التي يتوقّف عندها التاريخ الإنسانيّ طويلاً، متأملاً شواخص من الأحداث والشخصيات والعقول؛ ليقدم صورةً مشرقةً لمدينةٍ أثارت جدلاً، وأفرزت ثقافاتٍ، وعاشت تنوعاً وفسيفساء لا مثيل لهما.
وها هي مجلّة (تراث البصرة) تُطلّ على قرائها من شرفيّةٍ ثالثةٍ من شرفها التي لا حدّ لها؛ لأنّ المنحازين للتّراث البصريّ، والحريصين على إظهاره، ليس في إخلاصهم شكٌّ، ولا لطموحهم حدٌّ. ولم تألّ المجلّة جهداً في استجلاء التّراث البصريّ وفق رؤيةٍ منهجيّةٍ حقيقيّةٍ، تؤمن بالسيرورة والامتداد لحركة التّراث، التي تشكّل زخماً وطاقةً للأجيال القادمة.

إنَّ مجلَّة (تراث البصرة) ثمرةٌ من ثمار الدِّعم غير المحدود من العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، متمثِّلةً بشخص المتولِّي الشرعيِّ، سماحة السيِّد أحمد الصَّافي -دام عزّه-، وهي تواصل الصِّدور بفضل الأنفاس الطيِّبة التي تتلقَّاهَا من متابعيها وقرَّائها الأفاضل، فتطلُّ -اليوم- بأقلام كريمةٍ، وموضوعاتٍ متنوِّعةٍ، فتجدُّها تقفُ -تارةً- عند رسالة البسملة لـ (مهذَّب الدِّين البصريِّ) تحقيقاً، وعند علم لغويٍّ ونحويٍّ أخرى، وعند الشَّعر الحديث وقدرته على استدعاء التُّراث، ثالثاً، ولا يمكن تجاوز تراث سفينة النِّجاة (أهل البيت ﷺ)، وأثره في التُّراث البصريِّ، فكان ذلك من خلال موضوعين: (كتاب الإمام الحسين ﷺ إلى أشرف البصرة)، و(العلاقة الاجتماعيَّة بين أئمة أهل البيت ﷺ وأهل البصرة)، إلى غير ذلك من المحطَّات المهمَّة في فكر هذه المدينة المعطاء، كلُّ ذلك جرى بروح علميَّة وموضوعيَّة متجرِّدة؛ تحقيقاً لرصانة البحث والأمانة العلميَّة.

ودعوتنا قائمة للمضطلعين بتراث المدينة الثرِّ؛ لإثراء مسيرة مجلَّتنا من خلال رفدِها بلأئمة ودُرره، وتقصِّيها له، ليكونَ بريقه مناراً للأجيال، وتعبيداً لدرب المعرفة والتَّواصل العلميِّ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

هيأة التَّحرير

قصيدة تؤرخ سنة صدور مجلة (تراث البصرة) المحكّمة

البصرةُ الفيحاءُ سَمَطُ نُضارِ
جَدلى الكواكبُ وهي تحرسُ جِدها
كي يكتبَ الدوئيُّ نحواً للورى
ويروحَ ذاكَ العَبقرى مؤسساً
ولتشهدَ الدنيا بأنَّ ربوعنا
ولذلك قد غَمَرَ النفوسَ بجوده
قد أعلنَ (الصّافي) فأسسَ مركزاً
في مولدِ المهديِّ، حُجّةِ عصرنا
سأخطّ في كَفِّ الهلالِ سخاءهُ
من بينِ ألوانِ العطاءِ مجلّةً
من بَصْرَتِي وتُرائِها صاغتُ لها
فاكتبُ على سَعَفِ النَّخيلِ مُورِّحاً:
زادتُ به حُسنًا على الأمصارِ
بالفانناتِ قلائدِ الأنوارِ
من هدي سيّدنا أبي الأطهارِ
تحتَ النَّخيلِ مَراقِصِ الأشعارِ
من ذي الخُربةِ مولدُ الأفكارِ
فاستبشِري خيراً بخيرِ قرارِ
يُحيي تراثَ مدينةِ الآثارِ
مُحيي العقيدةِ، قاصِمِ الكفّارِ
رَوْضُ يُجيبُ مُسائلاً بشارِ
علميةٌ كانتُ مُنى الأنظارِ
إسماً، فكانَ تزيّناً بوقارِ
(قَمَرٌ يُراقِصُ أنجمَ العُشّارِ)

١٤٣٧هـ = (٦٠٢ + ٩٤ + ٤٠١ + ٣٤٠)

شعر: د. عامر السعد

المحتويات

٢٣ كتابُ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) إلى أشرفِ البصرة، دراسةٌ دلاليَّةٌ في البنية والتركيب
أ.د. سالم يعقوب يوسف السلمي

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

٥١ رسالةُ البسملةِ لمهذبِ الدينِ البصريِّ، كان حياً (١٠٨٥هـ) / تحقيق
أ.م.د. قاسم خلف مشاري السكيني

جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

٩١ منْ أعلامِ البصرة، اللغويُّ والنحويُّ (أبو الفضلِ الرياشيِّ)
م.د. عمار غالي سلمان

مديرية التربية في البصرة

١٤٩ استدعاءُ التراثِ في شعرِ عبدِ السادةِ البصريِّ
أ.م.د. رسول بلاوي

جامعة خليج فارس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، بوشهر - إيران

١٧٥ جوانبُ من العلاقةِ الاجتماعيَّةِ بين أئمةِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) وأهلِ البصرة، للحقبة
(من إمامةِ الإمامِ الحسنِ (عليه السلام)، إلى زمانِ الإمامِ المنتظرِ (عليه السلام))

م.د. علاء حميد فيصل

مديرية التربية في البصرة

٢٠٩ البصرةُ منْ خلالِ رحلةِ (كارستن نيبور) عام (١٧٦٥م)
أ.د. شاكر مجيد كاظم - م.د. محمد سلمان منور

جامعة البصرة/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

الأوضاع السياسيَّة والإداريَّة لناحية (المدينة) (١٨٦٩-١٩٢٠م) ٢٤٣

م.م. مشتاق عيدان اعيد

مديريَّة التربيَّة في البصرة

Peaceful Coexistence among the Followers of Various Religions
and Sects in Basra According to European Documents -
Episode(1) - Peaceful Coexistence in 17th-Century 19

Dr. Mahmoud M. Al-Aidani

Assistant Professor

Al-Mustafa University, Holy Qum, Iran

كتابُ الإمامِ الحُسينِ عليه السلام إلى أشرافِ البصرة
دراسةٌ دلاليَّةٌ في البنيةِ والتَّركيبِ

The Letter of Imam Hussein (a.s.) to the Nobles
of Basrah:

a Semantic Study of its Structure and Phrasing

أ.د. سالم يعقوب يوسف السَّلميّ

جامعة البصرة / كَلِيَّة التَّربِيَّة للعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة

Professor.Dr. Salim Yacoob Yousif Al-Salemi

College of Education for Human Sciences

University of Basrah

ملخصُ البحث

عمد البحثُ إلى دراسة نصِّ كلام الإمام الحسين (عليه السلام) الموجَّه إلى عددٍ من أشرف البصرة، ورؤساء العشائر فيها، يستنهضهم في اللِّحوق به، ويدعوهم إلى نصرته، وهو نصٌّ تتجلى فيه الصِّياغة الفنِّية، والصُّور البلاغيَّة، ما حملنا على تحليل خطابه، وإبراز الجانب الجماليِّ في البنية والتركيب، والميزات النَّصيِّية فيه؛ لاستنهاض الهمم، وبثِّ روح العزيمة بين أبناء الأُمَّة، والتَّنبيه على الأخطار المحدقة بالدين الغُضِّ الفتِيّ، وبيان الحالة التي يعيشها المجتمع الإسلاميِّ -آنذاك-، لتكون رسالته خالدة على مرِّ العصور، ما جعل خطابه الشَّريف مؤثراً في نفوس أولئك الذين كتب (عليه السلام) إليهم، فكان منهم مَنْ عَزَم على اللِّحوق به، والاستعداد لنصرته، كما في جواب (يزيد بن مسعود النَّهشليِّ)؛ إذ لَبَّى دعوته. اشتمل خطابه (عليه السلام) على مضامين إبلاغيَّة موصلة إلى نصِّ كلاميِّ تنطوي وراءه مثيرات فنِّية من التَّعبير، أردنا من خلال ذلك أن نقف على هذا النَّصِّ الشَّريف، (كتاب الإمام الحسين (عليه السلام))؛ لنستجلي مراميه، وما احتواه من بيانٍ وتعبيرٍ بليغٍ مؤثِّرٍ.

Abstract

The current research focuses on the text of Imam Hussein's letter addressed to a number of Basra nobles and chieftains, urging them to follow and support him. It is a text in which the fine phrasing and rhetorical devices invite deep analysis to uncover the aesthetic value of the structure and phrasing as well as other textual qualities. The letter was intended to inspire zeal and persistence in the nation and warn the people against the imminent dangers which surrounded the new religion. It also revealed the status of the Islamic community at that time, but also conveyed an eternal message that applies to all times. Imam Hussein's noble letter went deep into the hearts of the people to whom it was addressed, therefore, some decided to follow him and made preparations to support his cause. As such, Yazid bin Masood Al-Nahshily pledged his allegiance to Imam Hussein (a.s.).

The letter also includes informative messages incorporated in the text, displaying an expressive and persuasive power. The rhetorical and expressive aspects of the text encouraged us to analyze it deeply and expose its grandeur and purposes.

مقدمة

إنَّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي نهضةٌ إصلاحيةٌ شاملةٌ ضدَّ الظلم والفساد الذي سببه الحكم الأمويّ، من الاستخفاف بمبادئ الدين الحنيف وشرائعه، وقيمه، ومثله العليا، متمثلاً ذلك بسلطة الحاكم الجائر، والجاهل المتبع أهواءه ونزواته، وهذا ما كان حاصلًا بشهادة الأمة، ولما شعرت بذلك، كتب الأشراف والوجهاء إلى الإمام الحسين عليه السلام - الذي أنكر بيعته يزيد بن معاوية ورفضها - يدعونه إلى قيادة الأمة وزعامتها، وهذا هو الحلّ المناسب؛ إذ وجدوا فيه مؤهلات القيادة والرّعاية، وأنه الوريث الشرعيّ لخلافة جدّه صلى الله عليه وآله، وأبيه عليه السلام، فلبى النداء، وعزم على الخروج لاستئصال الفساد الذي دبّ في جسد هذه الأمة وهدأركانها، فنهض لينشر الإصلاح والعدل فيها، وكانت النفوس مهيةً لاستقباله والسّير في ركابه؛ لولا اتباع الحاكم وسلطة التّرهيب والتّرهيب، وضعف بعض النفوس، ما غيرَ الموازين وقلّبها ضدّ مسيرته ونهضته المباركة.

وحينما اجتمعت الأمة عليه، خرج وعياله من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله إلى العراق، وفي هذا الوقت، كتب إلى الأمصار، ومنها: (الكوفة، والبصرة)، ومن ذلك كتابه إلى الأشراف والوجهاء من أهل البصرة، يطلب منهم نصرته واللّحوق به، فقد ذكرت كتب التاريخ أنّه كتب كتاباً واحداً إليهم، وُرعتْ نسخٌ منه إلى

عدد من الأشراف، وهم: مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر ابن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر^(١)، وهناك من أضاف إلى من كتب إليهم: (يزيد بن مسعود، النهشلي)^(٢).
 وي زيد النهشلي شخصية مهمة في البحث؛ لأنه قد أجاب كتاب الإمام عليه السلام، واستعدّ للحقوق به، ملبياً دعوته بعدما جمع قومه وأقواماً آخر من البصرة، فخطبهم وأبلغهم كتاب الحسين عليه السلام، فأثر في نفوسهم، مستجيبين دعوته، إلا أن استشهاد الإمام عليه السلام قبل اللّحوق به قد حال بين ذلك.

عمد البحث إلى دراسة نصّ كلامه الشّريف الموجه إلى هؤلاء، وتحليل خطابه، والكشف عن جماليّات البنية والتركيب فيه، والوقوف على المثيرات النّصيّة فيه؛ لاستنهاض الهمم والتنبّه إلى الأخطار المحدقة بالدين الغصّ الفتّي، وبيان الحالة التي يعيشها المجتمع الإسلاميّ -آنذاك-.

لقد اشتمل كلامه وخطابه على مضامين تحمل مثيرات فنيّة في نفس المتلقّي، من سبك في العبارة، وترابط وتناسب وتناسق بين أجزائه، وتعالق بين أجزاء جملة، ما جعله نصّاً إبلاغياً مشتملاً على أفعال كلاميّة إنجازيّة، تُفصح عن بلاغته وفصاحته وبيانه الرّصين المؤثّر، أردنا من خلال ذلك أن نقف على نصّ مفعم ومكتنز بالمعاني، وأسرار من البيان والتّعبير، ونسبر غوره لنُخرج ما نستطيع أن نخرجه من مكنون أسراره، ولا غرو أن يصدر هذا البيان وهذا البلاغ بهذه الرّصانة، وهذه الدّرجة العالية من الخطاب؛ لأنّه صادر من عربيّ قرشيّ متأصّل في العروبة، وهم قومٌ عرفوا بالبيان والفصاحة.

إنّ هذا النّصّ المتمثّل بالكتاب الذي أرسله الإمام عليه السلام، يحمل معاني ودلالات

دقيقة، وآراء سديدة، ومضامين عميقة، فهمها المتلقون لها من أولئك الأشراف، فأثرت فيهم، فقام عددٌ منهم بتداول الأمر والنظر فيه، فجلسوا في بيت (مارية العبدية)، يتبادلون المشورة والعزم على اللّحوق به (عليه السلام)، ويظهر هذا من مبادرة الرّجل الجليل (يزيد بن مسعود، النهشليّ).

لقد جاء كتاب الإمام (عليه السلام) موجزاً مختصراً، ولكنه محمّل بالمعاني الدالة المعبرة والمؤثرة، وهو موجه إلى أكبر حاضرة، وأعظم مصر من أمصار الأمة الإسلامية، وهي (البصرة)، التي قُسمت مناطقها إلى أخماس.

إن المنهج المتبع في دراسة هذا النصّ الشريف هو الدراسة السيميائية لإظهار القيمة الدلالية في بنيته التركيبية، والوسائل الإقناعية الكامنة في النصّ، والعلائق التي تربط أجزاء الكلام فيه.

الدراسة الدلالية للنصّ

نقل الطبريّ عن أبي مخنف أن الإمام الحسين (عليه السلام) كتب كتاباً مع مولى له يُقال له: سليمان، إلى رؤساء الأخماس بالبصرة، وإلى الأشراف، فوصلتهم نسخةً واحدةً، وهو قوله صلواتُ الله عليه: «أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله) على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه، وقد نصّح لعباده، وبلغ ما أرسله به (صلى الله عليه وآله)، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقّ الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممن تولّاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحقّ، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم، وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله

وسنة نبية عليه السلام، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(٣).

ابتدأ خطابه (صلوات الله عليه) بأمر عظيم بهم كل إنسان مسلم، وهو اختيار النبي المرسل عليه السلام واصطفائه، فوضح مهمته مضمناً كلامه تشریفه وتكريمه وإعلاء منزلته، ومقامه الرفيع الذي لا ينكره عدو ولا صديق، وهو لم يقل إلا الحق والصدق في هذا، وجاء كلامه مؤكداً بوساطة الحرف المشبه بالفعل، وكذلك توالي التابع المتمثل بالعطف، وتكرارها بوساطة حرف المشاركة والجمع، وهو حرف (الواو)، وقد تضمن الفعل الماضي في هذه المقيدات أوصافاً ونعوتاً اشتقت منها، وهي: المصطفى، والكريم، والمختار، وقد وُظفت هذه الأوصاف العظيمة والحميدة في خطاب الإمام عليه السلام الدالة على علوه وسموه ومقامه ومنزلته عند الله سبحانه، فنقول في كلامنا عن النبي عليه السلام: المصطفى والمختار، وقد أشار القرآن الكريم إلى وصف (المصطفى) تضميناً، وليس تصريحاً باللفظ المذكور، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢)، وأسند هذا الاصطفاء والاجتباء والاختيار إلى الله سبحانه؛ تشریفاً وتعظيماً لأولئك المصطفين، واختلف في من يكون هؤلاء المصطفون، فقيل: إنهم الأنبياء، ونبينا الخاتم عليه السلام أفضلهم^(٤).

لقد بدأ كلامه عليه السلام بفعل الاصطفاء؛ لأنه يدل على الانتقاء والاختيار، قال ابن فارس: وهو «الخلوص من كل شوب... ومحمد عليه السلام [صفوة الله تعالى وخيرته من خلقه ومصفاة عليه السلام]»^(٥)، وفرق الطباطبائي بين اللفظين (الاصطفاء والاختيار)، قال: «والفرق أن الاختيار أخذ الشيء من بين الأشياء، بما أنه

خيرها، والاصطفاء أخذه من بينها بما أنه صفوتها وخالصها»^(٦).
 يظهر من هذا التفريق أن الاصطفاء أخص وأدق من الاختيار؛ لأنه انتقاء
 من الصفوة؛ لذا جاء كلام الإمام (عليه السلام) مبتدئاً به، ومقدماً إياه على الفعلين التالين
 دقيقاً، ويبين هذا قول ابن عاشور: إن «الاختيار تمييز المرغوب من بين ما هو
 مخلوط من مرغوبٍ وضده»^(٧)، من هذا يظهر أنه أقل درجة من الاصطفاء، أمّا
 التكريم الذي جاء بعد الاصطفاء، وخصه بالنبوة في قوله: «وأكرمه بنبوته»،
 نجد ترتيباً واتساقاً للعبارات التي ساقها الإمام (عليه السلام)؛ إذ قدم إكرامه بالنبوة على
 اختياره للرّسالة. يظهر من الفروق التي ذكرها اللغويون أن النبوة مقدّمة على
 الرّسالة، ذكر أبو هلال العسكري: «أنّ النبي لا يكون إلّا صاحب معجزة، وقد
 يكون الرّسول رسولاً لغير الله تعالى، فلا يكون صاحب معجزة، والنبوة يغلب
 عليها الإضافة إلى النبي، فيقال: نبوة النبي؛ لأنّه يستحقّ منها الصّفة التي هي على
 طريقة الفاعل، والرّسالة تُضاف إلى الله؛ لأنّه المرسل بها، ولهذا قال (برسالاتي)
 (الأعراف: ١٤٤)، ولم يقل بنبوتي، والرّسالة جملة من البيان، يحملها القائم بها
 ليؤدّيها إلى غيره، والنبوة تكليف لقيام الرّسالة، فيجوز إبلاغ الرّسالات، ولا
 يجوز إبلاغ النبوات»^(٨).

وتولّدت قوّة في معنى عباراته (عليه السلام): (وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته)، من
 خلال نسبة النبوة والرّسالة، وإضافتها إلى الذات المقدّسة في الضّمير العائد عليه
 سبحانه؛ تعظيماً له ورفعاً لمقامه الشّريف، وظهرت الدقّة في استعماله حروف
 الجرّ في قوله (عليه السلام): «بنبوته ولرسالته، فالباء زادت في قوّة المعنى لدلالته على
 الإلزام من شرف النبوة وتكريمها إياه، وكذلك اللّام في قوله: (لرسالته)، فهي

المكان المناسب مع فعل الاختيار في أمور الخير، فقد فرق أبو هلال بين اللام والباء في الفعلين المتشابهين (اختار وأثر)، فجعل الباء مع الفعل (أثر)، ولا يجوز أن تأتي مع الفعل اختار، بل المناسب مجيء اللام للفعل (اختار)، قال: «يُقَال: آثَرْتُكَ بهذا الثَّوبِ وهذا الدِّينَارِ، ولا يُقَال: آخَرْتُكَ به، وإِنَّمَا يُقَال: آخَرْتُكَ لهذا الأمر»^(٩)؛ لذا جاء قول الإمام عليه السلام: (واختاره لرسالته)، في محله الذي وضع له. إنَّ استعماله عليه السلام لهذه الأفعال: (الاصطفاء، والتَّكْرِيم، والاختيار)، وإنَّ كانت متقاربة بمعانيها، فإنَّ فيها معاني إضافية، وفروقاً لغويَّةً دقيقةً، يكشف عن كلِّ منها تركيب الكلام، وقد تداخلت هذه الألفاظ في معانيها، فاستعمل أحدها مكان الآخر^(١٠).

تضمَّن ابتداء كلامه عليه السلام لهذا الاصطفاء شخص النَّبِيِّ الأكرم عليه السلام باسمه الصَّريح، كما في قوله: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ»، ولهذا التَّصْرِيح بالاسم الكريم أثرٌ بالغٌ في النَّفوس؛ لما يشعُّ به من إجماعاتٍ ودلالاتٍ، وما يحمله من صفاتٍ ومعانيٍّ للدِّين والدُّنيا، وفي هذا الاستعمال حضور لصفات هذه الشَّخصيَّة العظيمة، وهو وسيلة من وسائل الإقناع والإبلاغ في نفس المتلقِّي، وهذا ما تؤيِّده الدَّرَاسَاتُ الحجاجيَّة، منها: «أنَّ اسم العَلَمِ إذ يُجِيلُ على شخصٍ ما في مقامٍ ما، أو مقالٍ ما، يُصْبِحُ له محتوًى وصفيٌّ... هو مجمل صفات ذلك الشَّخص الذي يُجِيلُ عليه الاسم؛ لذلك ذهب (روسل)... في نقده (لميل) في مسألة اسم العَلَمِ إلى أنَّه على الحقيقة وصف لصاحبه، لكنَّه وصف غير معلَّن... فاسم العَلَمِ حسب (روسل) يُمكن أن يُجَلَّلُ على أساس الصِّفَات التي لصاحبه»^(١١).

أراد الإمام عليه السلام من مقدّمته التي ابتدأ كتابه المرسل بها إبلاغ المخاطبين برسالة النبيّ الأعظم عليه السلام وتنزيهه والثناء عليه، وهي دعوة منه إلى التمسك بالدين الحنيف والدّفاع عنه، وهذا منهجٌ سار عليه الأئمة المعصومون عليهم السلام يفتتحون خطبهم وكتبهم بذكر النبيّ عليه السلام، أو ذكرهم التّوحيد والعقيدة الحقّة، ويدعون للإسلام الحنيف، كما نجد ذلك عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كثيرٍ من خطبه، قال عليه السلام: «معاشرَ المسلمين، استشعروا الخشية، وتجليبوا السّكينة، وعضّوا على النّواجذ، واعلموا أنّكم بعينِ الله، ومعَ ابنِ عمِّ رسولِ الله»^(١٢)، وقوله عليه السلام: «الحمدُ لله الذي علا بحولِهِ، ودنا بطوْلِهِ... أحمدُهُ على عواطفِ كرمِهِ، وسوايغِ نعمِهِ... وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، أرسله لإنفاذِ أمرِهِ، وإنهاءِ عُذْرِهِ، وتقديمِ نذرِهِ...»^(١٣).

وأما أدعية الإمام السّجّاد عليه السلام، ففيها الكثير من ذكره والثناء عليه عليه السلام، لا يكاد يخلو دعاءً من ذلك، قال عليه السلام: «اللّهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وآلِهِ ما اختلفَ اللّيلُ والنّهَارُ، صلاةً لا ينقطعُ مددُها، ولا يُحصى عددُها...»^(١٤)، وكذلك في دعائه الثاني: «والحمدُ لله الذي منَّ علينا بمحمّدٍ نبيّه عليه السلام دون الأممِ الماضية، والقرونِ السّالفة، بقدرته التي لا تعجزُ عن شيءٍ وإنَّ عَظُمَ»^(١٥)، وكذلك دعاؤه: «اللّهُمَّ فصلِّ على محمّدٍ أمينِكَ على وحيك، ونجيبِكَ من خلقك، ووصفيكَ من عبادك»^(١٦).

إنّ هذا الافتتاح بذكر النبيّ الأعظم عليه السلام، الذي ورد في خطاب الإمام عليه السلام استنهاضٌ للهمم، وإيقاظٌ للضمائر، وتحريكٌ للوجدان الإنسانيّ؛ لأنّ ذكره الشّريف يحمل رموزاً جَمَّةً تنطوي تحتها معانٍ عديدة.

إنّه يحمل إشاراتٍ تربط قضيتّه ومهمّته برسولِ الله عليه السلام ودعوته الحقّة؛ إذ إنّه

أراد من المتلقي أن يلتفت إلى قضية مهمة وخطيرة، وهي الكيان الإسلامي، والذود عنه، كما زاد عنه الرسول الأعظم وصحابته المجاهدون، الذين بذلوا أنفسهم من أجله، حتى ارتفعت كلمة (لا إله إلا الله)، فافتتاحه بهذه المقدمة تهدف إلى أغراضٍ توصيليةٍ لدى المتلقي، وتفضي إلى مستلزمات مؤثرة في النفوس.

ومن خلال هذا الافتتاح المتمثل بالاصطفاء والاختيار للنبي الأكرم عليه السلام، يُشير الإمام عليه السلام إلى فكرة اصطفائه هو (صلوات الله عليه) -أيضاً-؛ لأن النبي وأهل بيته اصطفاء واختيار واحد؛ لأنهم يمثلون نفس النبي عليه السلام، وذهب بعض العلماء إلى أنهم مصطفون لاصطفائه عليه السلام، مفسراً ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، قال الطوسي: «وفي قراءة أهل البيت - وآل محمد: على العالمين»، وقال -أيضاً-: آل إبراهيم هم آل محمد الذين هم أهله، والآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزّهون؛ لأنّه لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك^(١٧)، وأشار الرازي إلى شمول النبي الأكرم عليه السلام في الاصطفاء من آل إبراهيم^(١٨).

لقد أخذ كتاب الإمام ما يقرب من نصف كلامه الشريف بالحديث عن النبي الأعظم عليه السلام ودعوته ورسالته الخالدة، مبتدئاً ببعثته حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى عند سدرة المنتهى، مستعرضاً مهمته في أمر الرسالة والدعوة في قوله: «نصح لعباده، وبلغ ما أرسله به»، وهاتان الجملتان نتيجة راجعة إلى ما تقدّم عليها من القول المتمثل بالاصطفاء والتكريم والاختيار لهذه الرسالة، فعَدَّ ذلك واجباً مكلفاً به، وكلامه (صلوات الله عليه) في نصحه وتبليغه عليه السلام فيه إشارة إلى نصح

الأمة وإبلاغها في أهل بيته وخاصته، أتهم أولو الأمر الذين يُتبعون، ولعلّ كلامه في أمر التبليغ ارتبط بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، ذكر الرازي في سبب نزولها أقوالاً، منها: أمّا نزلت في «فضل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ولما نزلت هذه الآية، أخذ بيده، وقال: «مَنْ كُنْتُ مولاهُ، فعليّ مولاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»، وقد أسنده إلى ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمد بن عليّ (١٩).

يظهر من الآية أنّ الأمر ليس بهيّن ولا سهّل، وهو ينفي مهمّته وإبلاغ رسالته العظيمة التي من أجلها بعثه في حال تلكئته عن إبلاغ أمرٍ لم يُصرّح به، بل جعله من مكنونات أسراره إلى نبيّه (صلى الله عليه وآله)، إذن، لا بدّ من أن يكون الأمر أعظم من ذلك، ويُمكن أن نطمئنّ إلى ربط كلام الإمام في النصح والتبليغ عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) من خلال كلامه اللاحق، حين بيّن مصرّحاً أنّهم: «أهلّه وأولياؤه وأوصياؤه وورثته»، في قوله: «وكنا أهلّه وأولياؤه وأوصياؤه وورثته، وأحقّ الناس، واستأثّر علينا قومنا بذلك».

من كلامه المتقدّم استعمل مثيراً أرجع القوم فيه إلى الزّمن الماضي، محدّراً من الوقوع فيما حدث سابقاً، متمنياً ألا يتكرّر ويعود، دلّ على ذلك بالفعل (استأثّر)، ودلالة الزّمن في العبارات المتقدّمة، وإن كانت قد أشارت إلى أحداثٍ ماضية، فهي تحمل إشاراتٍ للزّمن الحاضر، وهو زمن المتكلّم، وكذلك الزّمن المستقبل، وهو استعمال الفعل الناقص (كان) في قوله (صلى الله عليه وآله): «وكنا أهلّه وأولياؤه...»؛ إذ نلمح في الفعل استمراراً، وليس انقطاعاً وانقضاءً، فهم أهلّه

وأولياؤه وأوصياؤه وورثته وأحقُّ الناس به في أوَّل الخلق، وفي حاضرهم، وفي مستقبلهم؛ لأنَّهم خلَقوا من طينةٍ واحدةٍ.

تحصل دلالة الفعل على الزمن من خلال بناء الجملة وما يحيط بها من عناصر وقرائن يمدّها السِّياق وتركيب الكلام، أمَّا صيغته الصِّرفيّة، فلا تُفصح عن ذلك^(٢٠).

وقد جعل بعض الدّارسين الاستمرار واقعاً في (كان) في آياتٍ من التّنزيل العزيز، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (النساء: ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿وَكَُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١)، فقد أفادت معنى: (لم نزل)^(٢١).

تتسم لغة الإمام عليه السلام وهو يتحدّث عن أمورٍ مؤلمةٍ للنفس؛ لما فيها من تعدّد على حرمة أهل البيت عليه السلام، بالهدوء والتّوازن والانسجام، من دون تصعيدٍ للعنف، إلّا أنّها على هدوئها وتلطفها، فإنّها تحمل في داخلها تعنيفاً وتقريعاً وعتباً ولوماً، فلو نظرنا إلى قوله عليه السلام: «فاستأثر علينا قومنا»، نجد أنّه قد نسب القوم إليهم - وهم أهل الوحي -، فكم فيها من اللّطف والأدب والورع؛ إذ إنّ لم يأت بكلمة نابية وهو في موضع الحديث عن الحقّ والباطل، فلم يقل: (بغى علينا الطّغاة)، مثلاً، بل إنّ عدل عن ذلك ليومئ إلى شيءٍ خفيّ، وهو أنّ أهل بيت الرّسالة والوحي أكبر من أن يُقابلوا بالمثل، بل هم مثال للصّفح والتّسامح والصّلاح والسّداد، وهو يقتدي بتعبير القرآن الكريم، ففي كثيرٍ من الآيات، يأتي تعبیر الأنبياء مع أقوامهم وهم يتعرّضون منهم إلى أشدّ العذاب بلفظ: (يا قوم)، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦١)^(٢٢)، وإلى مثل هذا أشار الدّكتور عبدالكاظم الياسريّ إلى أنّ في خطابه «إشارة إلى

حقٌّ مغتصبٍ، ويقصد به الإمام: بيعة الغدير، التي عقد فيها الرسول الولاية بعده إلى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأشار إلى أنهم حين قبلوا ولاية غيرهم، فمن أجل حقن دماء المسلمين وحفظ وحدتهم^(٢٣)، وعزا ذلك إلى سموهم وارتفاع شأنهم، ولكونهم مصلحين لهذه الحياة، وإرساء دعائم الدين، وهم على علم بذلك، وغير خافٍ عنهم؛ إثارةً لمصلحة الدين، وحفاظاً على بيضة الإسلام وهو في طوره الأوّل، وينطلق الإمام عليه السلام في كلامه الشريف بروح ثابتة متيقّنة مطمئنّة، يدرك ذلك من خلال استعماله المؤكّدات، ووسائل الكلام من الإحالات والإشارات في الضمائر، وهي قوله: (نحن) (أنا)، وكذلك ألفاظ مكرّرة مصرّح بها، وهو لفظة: (الحقّ)، في قوله: «إنا أحقُّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا» من خلال (أفعل التفضيل) بينهم وبين غيرهم، كلّ إرادةً للحجّة على وجه السرعة والإيجاز، فالحقّ المستحقُّ هو لهم، فعمد عليه السلام في كلامه إلى استعمال هذه الإحالات المتمثّلة بالضمائر واسم الإشارة (ذلك)، والاسم الموصول (من) في قوله: «من تولّاه»، المشار به إلى حقّهم، وهذه من وسائل الإقناع في الخطاب، كما عدّ ذلك دارسو الحجاج في دراساتهم التداوليّة، فهذه الإحالات «تستحضر المحال إليه إلى طرفي الخطاب، ووظيفتها المقاصديّة تتّصل بالسياق المخصوص بها، لتوضيح غاية المتكلّم... وهي من ناحية الدلالة مؤكّدات؛ لأنّها مدعمة بالواقع المادّي الخارجي، وبالمؤكّد اللفظي أيضاً، وهي تنفيذ التأكيد والاختصار في اللفظ؛ لإغنائها عن ذكر المشار إليه واستحضاره في اللفظ»^(٢٤)، وتُسهم الإحالة بالصّير في اتّساق الخطاب؛ إذ أشارت إحدى الدّراسات إلى «أنّ الضمائر - وخاصةً منها ضمائر الغيبة - تقوم بوظيفتين: استحضار عنصر

متقدّم في خطابٍ سابقٍ، أو استحضار مجموع خطابٍ سابقٍ في خطابٍ لاحقٍ» (٢٥).

وفي قوله عليه السلام: «مَنْ تَوْلَاهُ» أحال بالضمير الغائب والاسم الموصول (مَنْ)؛ لأنّه أراد من كلامه أن يكون تعريضاً لفعل أولئك، متجاوزاً للتصريح بهم، مشيراً بذلك إلى شيءٍ غائبٍ؛ تقيلاً لأهمّيته عنده عليه السلام؛ لذا عمّد إلى المبهمات المتمثلة بهذه الإحالات، تاركاً الحكم للمتلقّي، لشده، ولعلي من قدره تعظيماً وتفخيماً له، حينما يدرك أنّ هذا الصّفح والتّجاوز يرجع إلى كرم الشّيء.

ونلمح في نصّه عليه السلام إظهارَ مظلوميّته بشكلٍ متوازنٍ وهاديٍّ وحكيمٍ، إشارة إلى ما أثار عن العرب من أنّ الظلم من ذوي القربى أشدّ على النفس من الأبعد؛ ولذا قال عليه السلام: «فاستأثر علينا قومنا»، ففي قوله هذا إشارة إلى القرابة من أولئك، وقد مثل الشاعر الحكيم هذا القول:

وظلمُ ذَوِي القُرْبَى أشدُّ مَضَاضَةً
على المرءِ من وقعِ الحسامِ المهْتَدِ (٢٦)

إنّ ما تقدّم من كتاب الإمام عليه السلام كان تمهيداً لما جاء من مهمّة الكتاب الذي بعث عليه السلام رسوله من أجلها، وقد جاءت كلمة (الرسول) مضافة إلى نفسه الشريفة من قوله: «رسولي»؛ زيادة في ثقته، وتوكيداً على إكرامه، والاستجابة إليه، وكان الإمام عليه السلام شديد الاهتمام بهذا الأمر؛ لخطورته؛ لأنّه يرتبط بأمر الأمة، يظهر ذلك في جزالة المعنى وقوّة الكلام؛ إذ كانت ألفاظه دالة على ذلك، كما في قوله عليه السلام: «وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُوْلِي»، فقد عمّد إلى استعمال الفعل (بعث)، وهو فعل يأتي متعدّياً بنفسه، ويأتي متعدّياً بوساطة حرف الجرّ (الباء)، وفي النّصّ الشريف جاء متعدّياً بنفسه، وفيه دلالاتٌ، منها: دلالته على الاستعداد والاهتمام

والسرعة، قال الفارابي: «وبعثه من منامه، أي: أهبّه، وبعث به، أي: وجه به»^(٢٧)، أي: جعله على أهبة الاستعداد، فقد توخى الإمام عليه السلام السرعة والحزم في الأمر، فاستعمله متعدياً بنفسه؛ لأنّ هناك فرقاً بين هذا الاستعمال وبين استعماله متعدياً بواسطة حرف الجرّ (الباء)، ذكر مصطفوي هذا الفرق، وهو: «كلُّ شيءٍ ينبعثُ بنفسه، فإنّ الفعل يتعدّى إليه بنفسه، فيقال: بعثته، وكلُّ شيءٍ لا ينبعثُ بنفسه، كالكتاب والهدية، فإنّ الفعل يتعدّى إليه بالباء، فيقال: بعثتُ به»^(٢٨).

يظهر هذا الاستعمال في مسألة تعدّي الفعل (بعث)، الوارد في نصّ الإمام عليه السلام، فإنّه لما كان الرّسول ممّن ينبعثُ بنفسه؛ لأنّ له إرادة، فقد تعدّى الفعل هذا بنفسه، وهذا ما سار عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (البقرة: ٢١٣)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾ (يس: ٥٢). ويستعمل فعل البعث في بدو الشيء وحدوثه وإيجاده ونشوئه، أي: في المواضع التي يُستحدث فيها ويبدأ أوّلاً، وأمّا الإرسال أو التّوجيه، فيستعمل في مرحلة لاحقة بعد البدو والنشوء، أمّا الإيصال، فيستعمل لما هو آخر السّير^(٢٩). وكان استعمال الفعل (بعث) موفّقاً؛ لما فيه من معنى مناسب في استعماله مع الرّسول، أو النّبّي، أو الملك، أو الحُكْم، أو النّقيب؛ لأنّه يُفيد الإنهاض^(٣٠)، ويبيّن أنّ هذا الرّسول قد أرسلَ لأمرٍ مهمٍّ من خلال ما أشار عليه السلام إلى الاسم الذي عرفه بأل التعريف (الكتاب)، في قوله: «بهذا الكتاب»، فقد تضمّن هذا الكتاب قيمة كبيرة لما يحمله من أمرٍ خطيرٍ، فهو لم يقل: (بعثتُ رسولي إليكم بكتابٍ)، بصيغة النّكرة، فيفهم أنّه كتابٌ كغيره من الكتب، ثمّ استأنف قوله بضمير المتكلّم (أنا)، في قوله: «وأنا أدعوكم إلى كتابِ الله وسُنّةِ نبيّه»، جاء بضمير المتكلّم (أنا) ليخصّ نفسه

الشريفة بالقيام بهذا الأمر من دون غيره؛ لأنه يرى أنه هو الأول بهذا الأمر، واستعمال ضمير المتكلم (أنا)، محيل ومعين على التواصل بين المتكلم والمرسل، ومن هنا أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أن هذه الضمائر والإحالات من المعينات، وهي: «وحدات للفظ ومؤثراته تُساهم في تحيين فعل التلّفظ إنجازاً وقولاً وفعلاً، عن طريق الضمائر وأسماء الإشارة...»^(٣١)، فظهرت قوة الإنجاز بالجملة الاستثنائية التي ابتدأت بالضمير المنفصل، وهي جملة اسمية فيها إخبار عمّا تضمّنه كتابه المرسل، متضمّنة الصدق والوضوح؛ لما تحمله من معنى الثبات والاستقرار. وينقل د. عبد القادر المهيري عن أحد علماء اللغة المعاصرين (أميل بنفيس) شيئاً يميّز به الجملة الاسمية، والظروف التي يحسن الاستعمال فيها، فيرى أنّها لا تُخصّص بزمان، ما «يؤهلها للتعبير عن الحقائق العامة والمبادئ القارّة، ويجعلها ملائمة للحكم والأمثال، ويفسّر استعمالها للاحتجاج وتقديم الأدلّة، لا لسرد الأخبار واستعراض الأحداث»^(٣٢)، وفي عبارته عليه السلام هذه، أخبر وكشف عن دعوته ونهضته وهدفه السامي، وفي الإخبار قوة في إنارة الحكم وإثباته، لترسيخ ذلك في نفس المتلقّي من الخبر^(٣٣).

ويتلاءم هذا وما أراد أن يدعو إليه فيما بعده من الكلام، وهما شيان عظيمان، ومن أجلهما يبذل العطاء ما يملكونه في هذا الوجود، ألا وهما: كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وفيه بيان ووضوح إلى أنّها تُعدّي عليهما، ويعود كلامه عليه السلام على متقدّم، وهو ما يحمله كتابه الذي أرسل إليهم يدعوهم فيه إلى التزام جادة الصواب، ويقدم في دعوته هذه الدليل والبرهان والسبب والعلّة لإقدامه على هذا الأمر، فيردف عليه السلام كلامه بقوله: «فإنّ السنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت»، فإنّ

هاتين العبارتين المختصرتين الوجيزتين قد اختصرتا الوضع القائم برُمَّته، والنظام الذي تسير عليه الأمة، وأحوال المسلمين، وما يُجدق بالدين الحنيف من مخاطر واستخفاف، ويدلّ هذا على بالغ حكمته ومراقبته للأُمور بعين البصيرة؛ ولأنّه يرى أنّ استقامة الحياة وكرامة الإنسان مرهونة بالعمل بكتاب الله وسُنّة نبيّه الكريم ﷺ؛ لأنّ السُنّة هي الكاشفة عن القرآن العظيم.

إنّ المحاسن والأسرار في قوله ﷺ هو ذلك الإيجاز البليغ الذي تنطوي وراءه معانٍ عميقة، ودلالات مكثفة تُثير نفس المتلقّي وتوقظه، ولاسيّما أنّ إمامة الدّين تعني عنده ذهاب كلّ شيءٍ في هذه الحياة، كرامته وعرضه وحقوقه، فماذا ينتظر بعد هذا البلاغ.

إنّ هذا الخطاب والمعاني التي يحملها ليست ببعيدة عن أبناء الأمة والمتلقّين لخطابه الشّريف؛ لأنّ أمر الدّين يهّم الجميع؛ لذا كان المتلقّي واعياً ومهيئاً لاستقبال ذلك الخطاب العظيم، فقد أثر في نفوسهم، وفي هذا إنجاح لإبلاغ خطابه وبيانه واستقباله، وهذا ما تؤكّده الدّراسات الحديثة، يقول أحد الباحثين عن دور المخاطب (المتلقّي): إنّهُ «عندما يُوضع الخطاب بين يدي القارئ أو السّامع، فإنّه يتعامل معه بطريقة الخاصّة في الفهم، مستعيناً في ذلك بثقافته وتجاربه وأحواله الخاصّة التي ينفرد بها عن غيره، وإنّ كانت في معظمها مشتركة بين أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه لغويّاً، وهو ما يُعطي لفهمه صبغةً موضوعيّةً إلى حدٍّ ما»^(٣٤).

لقد استعمل الإمام ﷺ ملمحاً جمالياً مثيراً للنفس من خلال رصف فنيّ احتوى عليه كلامه في العبارات المتضادّة، ليوقف متلقّي كلامه على حقيقة مهمّة تعني كلّ مسلم ذي مروءة على دينه وكرامة حياته، كما جاء في كلامه الكريم: «فإنّ السُنّة قد

أُميئت، وإن البدعة قد أُحييت»، فقد تمثل التّقابل اللفظي في العبارتين: (السنة والبدعة)، والفعلين: (أُميئت وأُحييت)، وهو أسلوبٌ فنيٌّ جماليٌّ يكشف عن المعنى، ويوصل إليه السّامع، وقد تنبّه إليه أهل البلاغة والنّقد قديماً، والتّضادّ أو التّقابل هو: «آليةٌ فنيّةٌ وجماليّةٌ تقوم بعملية ربط لفظيٍّ ومعنويٍّ بين أنساق أسلوب التّقابل، ثنائيّة كانت أم أكثر... إن مفهوم التّضادّ التّقابليّ يُمثّل آليّة الحدس الفنيّ الجماليّ الاستدلاليّ، التي تربط الجماليّة الفنيّة بمعادها النّفسيّ والموضوعيّ»^(٣٥)، فالمعادل النّفسيّ والموضوعيّ مهياً عند المتلقّين في الأمر الذي دُعوا إليه، ما جعل التّعبير بالتّضادّ منجزاً فعلياً مؤثراً لديهم.

لقد ختم الإمام عليه السلام كتابه الشّريف بجملةٍ شرطيّةٍ كانت متضمّنةً ما احتواه المتقدّم من كتابه، وملخصاً لمفهومه، وهو قوله: «وإنّ تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرّشاد»، فهي خلاصة مشروعه الإصلاحيّ في الدّين والدّنيا. إنّ هذا الأسلوب الشّرطيّ الذي ختم به عليه السلام كلامه الشّريف جاء متماسكاً متراصّاً مترابطاً، يكشف عن البيان في أعلى مراميه؛ لما في الشّرط من مزايا تتجلّى في هذا المجال، وهذا ما أكّده أحد دارسيّ التّعبير القرآنيّ؛ إذ ذكر: «إنّ الأسلوب الشّرطيّ يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً ملاحظاً فيه ترتّب المسبّب على السّبب، فإذا ذُكرت أداة الشّرط، وأردفت بفعل الشّرط، تشوّقت النّفس إلى ما ذكر ما سيكون، فإذا ذُكر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التّشويق، تمكّن أيّما تمكّن»^(٣٦). فلنحظ الدقّة في صياغة كلامه الشّريف؛ إذ جاءت جملة الشّرط بالوصل (العطف) من الفعل المضارع المعطوف (تطيعوا)، على الفعل المضارع المعطوف عليه (تسمعوا)، وجمع هنا بين (السّمع والطّاعة)، وجاء بالسّمع مقدّماً على الطّاعة؛

إذ لم يقل ﷺ: (إن تطيعوا أمرى، وتسمعوا قولى)؛ لأن الطاعة تالية للسمع، ولأنه هو الأساس في تلقي الشىء وإدراكه وفهمه، ثم الإقبال عليه طوعاً، ثم جاء جواب الشرط، وهو قوله ﷺ: «أهدكم سبيل الرّشاد»، وهو غاية في الحكمة والسداد، وأعلى مراتب التهذيب والكمال؛ إذ لم يقل: أصدق عليكم بالأموال والهبات والعطايا وغيرها من مغريات الحياة؛ بل إنه (صلوات الله عليه) عمد إلى هذا الاختيار من القول، وهو جواب للشرط الذي ذكره؛ لأن الرّشد والرّشاد مفهوم يحمل معاني شاملة واسعة محيططة بأطراف من الحياة الدّنيا والآخرة، وهو أدخل في النّفس، وأجلى للبصيرة، فمن هُدي إلى الرّشد، فقد اقترب من التّمَام والكمال، وهذه السّعة في مدلول اللفظة ومفهومها تجعل فكر المتلقّي يجول حول معاني هذا اللفظ غير المحدّدة في الجواب به عن كلّ مذهبٍ، ولا يقف عند معنى واحدٍ، وهذا فعلٌ إنجازيٌّ مؤثّرٌ، ويُبنى عن نظريته ﷺ التي يحملها، وهدفه الذي يصبو إليه؛ ولأنّ هذا أثر من النّظرة القرآنيّة المتعالية؛ ولأنّ خلّقه القرآن، كما وُصف النّبىّ الأعظم ﷺ: «كان خلّقه القرآن»، فهو ﷺ ينطق عن القرآن كما في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٣٨)، وقوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩).

إنّ أركان جملة الشرط في خطابه ﷺ جاءت بالأفعال المضارعة، وهي: (تسمعوا، تطيعوا، أهدكم)؛ إذ يطلب منهم الاستمرار والمداومة على هذه الأفعال لينالوا الرّشد والفلاح، وقد أشار د. فاضل السّامرائي إلى ذلك فيما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وقد قارن بين الأفعال الواردة في هذه الآية بالفعل المضارع،

وبين الأفعال الماضية في سورة الإسراء من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩)، قال: «وذلك لأنَّ إرادة الثَّواب تتجدد؛ لأنَّ الثَّواب يتجدد، بخلاف الآخرة، فإنَّها واحدة، وهذا السَّرُّ في أنَّه قال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ بالفعل الماضي، لكنَّه قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ بالمضارع» (٣٦).

الخاتمة

إنَّ السَّمة البارزة فيما انطوى عليه خطابه الشَّريف الموجَّه إليهم، من أوَّل ما بدأ به وهو المقدِّمة والمفتِّح، إلى آخره ونهايته، كان يغلب عليه السَّمة الإيانيَّة، ومناصرة الحقِّ والدِّفاع عن الدِّين الغضِّ الجديد، ومقارعة الأهواء والزيغ؛ لأنَّه يُمثِّل معدن هذه المبادئ وأصالتها وجوهرها؛ وما يصدر عنه عليه السلام، إنَّما يصدر عن نفسٍ تفيض بما انطوت واحتوت عليه من مكنوناتٍ وأسرار أودعها الله في هذه النَّفس الكريمة، وما تحمله من مُثُل وثقافة دينيَّة نقيَّة؛ إذ كان الموقف الذي بثَّ فيه الإمام دعوته وبلاغه يستدعي إثارة الوجدان والشَّعور بالنَّهوض والانتصار للدِّين الحنيف، وهو ما يعبر عنه بسياق الموقف عند الدَّارسين، ويشمل «كُلَّ ما يقوله المشاركون في عمليَّة الكلام، وما يسلكونه، كما يشكِّل الخلفيَّة بها تتضمَّنه من سياقاتٍ خبرات المشاركين، وقد أشار (فيرث) إلى أنَّ كَلَّ إنسانٍ يحمل معه ثقافته، وكثيراً من واقعه الاجتماعيِّ حيثما حلَّ»^(٣٧).

إنَّ خطاب الإمام عليه السلام حقَّق أهدافه، ووصل إلى مسامع المرسل إليهم، وأثر في نفوسهم، فاستجاب عددٌ كبيرٌ منهم، وهمَّ آخرون بنصرته؛ لما وجدوا فيه من صدقٍ ومنفعةٍ كبيرةٍ هزَّت أركان نظام الحكم الأمويِّ، فاضطربت الأوضاع السياسيَّة على إثر ذلك، وتبَّه الغافلين عمَّا هم فيه من سباتٍ وغفلةٍ، فتحرَّكت على إثر ذلك كثيرٌ من الضَّائر، فسلامٌ عليه يوم وُلد، ويوم استشهد، ويوم يُبعثُ حيًّا، وله الحمد في الآخرة والأولى.

الهوامش

- ١- يُنظر: تاريخ الطبري: ٣٥٧/٥، والكامل في التاريخ: ٣/١٣٥.
- ٢- يُنظر: أعيان الشيعة: ٢/٤٠٤-٤٠٦.
- ٣- تاريخ الطبري: ٣٥٧/٥، ويُنظر: مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ص ١٢٨-١٣٢.
- ٤- يُنظر: البيان في تفسير القرآن: ٨/٤٢٩-٤٣٠، والميزان: ٢٢/٤٤-٤٧، ونعوت الرسول محمد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم - دراسة دلالية - مجيد بدر ناصر: ص ١٠٥.
- ٥- مقاييس اللّغة: ٣/٢٩٢، (صفو)، ويُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٨٨ (مادّة صفو)، واللّسان: ١٤/٤٦٣ (مادّة صفو).
- ٦- الميزان: ١٧/٤٥.
- ٧- التّحرير والتّنوير: ٨/٣٠٥.
- ٨- الفروق اللّغويّة: ص ٣٠٠.
- ٩- المصدر نفسه: ص ١٤٣.
- ١٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٣١٩.
- ١١- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية: ص ١٧٥-١٧٦.
- ١٢- شرح نهج البلاغة: ٥/١٣٦، خ ٦٥.
- ١٣- المصدر نفسه: ٦/١٩١، خ ٨٢.
- ١٤- الصّحيفة السّجّاديّة: ٤/١.
- ١٥- المصدر نفسه: ١/٢٢٤.
- ١٦- المصدر نفسه: ١/٢٢٥-٢٢٦.
- ١٧- البيان في تفسير القرآن: ٣/٤٤١.
- ١٨- يُنظر: التّفسير الكبير: ٣/٢٠٠-٢٠١، وتفسير البيضاوي: ١/١٣، والبحر المحيط: ٢/٦٩٢.

- ١٩- التفسير الكبير: ٤/ ٤٠١.
- ٢٠- يُنظر: مناهج الدرس النحويّ في العالم العربيّ في القرن العشرين: ص ١٨٦.
- ٢١- يُنظر: معاني النحو: ١/ ١٩٣.
- ٢٢- يُنظر: الآيات في السُّور: البقرة: ٥٤، الأنعام: ٧٨، الأعراف: ٦٥.
- ٢٣- تأملات في خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى وجوه البصرة: الصّفحة الرّئيسة، موقع مكتبة العتبة الحسينيّة: www.ImomHussain-lib.com
- ٢٤- تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة: ص ٢٣١.
- ٢٥- الخطاب القرآنيّ- دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق: ص ٢٣٢.
- ٢٦- شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات: ص ٢٠٩.
- ٢٧- ديوان الأدب (فعل يفعل): ص ٣٥٤.
- ٢٨- التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/ ٣١٨-٣١٩.
- ٢٩- يُنظر: التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/ ٣٢٠.
- ٣٠- المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم (بعث): ١/ ١٤٤.
- ٣١- التّداوليات وتحليل الخطاب: ص ١٧.
- ٣٢- نظرات في التّراث اللّغويّ العربيّ: ص ٤٣-٤٤.
- ٣٣- يُنظر: تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة: ص ١٧٤.
- ٣٤- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدّلالة في العربيّة: ص ١٥٥.
- ٣٥- التّقابل الجماليّ في النّصّ القرآنيّ- دراسة جماليّة فكريّة وأسلوبية: ص ١٥٦.
- ٣٦- خصائص التّعبير القرآنيّ وسماته البلاغيّة: ١/ ٢٠٨.
- ٣٧- معاني النحو: ٤/ ٥٠-٥١.
- ٣٨- المعنى وظلال المعنى / أنظمة الدّلالة في العربيّة: ص ١٢٠.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أعيان الشيعية، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات.
- ٣- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٤- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر، محمد بن جرير، الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٩٢م.
- ٥- تأملات في خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى وجوه البصرة، د. عبد الكاظم الياصري، موقع مكتبة العتبة الحسينية: www.ImamHussain-lib.com/arbic/Pages/bohth056.php
- ٦- التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر، محمد بن الحسن، الطوسي (٤٦٠هـ) تحقيق: أحمد حبيب قيصر العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١.
- ٧- التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٨- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المحقق العلامة المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، القاهرة، لندن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٩- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة- دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- ١٠- التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة، www.alukh.net
- ١١- تفسير البيضاوي، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن

- محمد، البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربيّ - بيروت، مؤسسة التاريخ العربيّ.
- ١٢- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ط ٤، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ١٣- التّقابل الجماليّ في النّصّ القرآنيّ (دراسة جماليّة وأسلوبية)، د. حسين نعمة، منشورات دار النّمر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ١٤- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الفارابيّ، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- ١٥- الخطاب القرآنيّ - دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق، د. خلود العمّوش، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن (د.ت).
- ١٦- خصائص التّعبير القرآنيّ وسنانه البلاغيّة، د. عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعنيّ، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط ١)، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ١٧- ديوان الأدب، لأبي إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم الفارابيّ (٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونغمان، ٢٠٠٣م.
- ١٨- شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات، لأبي بكر، محمد بن القاسم، الأنباريّ (٣٢٨هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٦، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٥م.
- ١٩- شرح نهج البلاغة، عبدالحميد بن هبة الله، المدائنيّ، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربيّ، بغداد، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ٢٠- الصّحيفة السّجّادية، الإمام عليّ بن الحسين بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: السيّد رحيم الحسينيّ، النّاشر: الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، قسم العلاقات العامّة، ط ١، ١٤٣٦هـ.
- ٢١- الفروق اللّغويّة، لأبي هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل، العسكريّ (٣٩٥هـ)، علّق عليه: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٢٢- الكامل في التّاريخ، عزّ الدّين، أبو الحسن، عليّ بن أبي عبدالكريم، ابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمريّ، مؤسسة المظفر الثّقافيّة، العراق، النّاشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- ٢٣- لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم، ابن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٢٤- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٥- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٢م.
- ٢٦- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- ٢٧- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، دار القلم، انتشارات ذوي القربى، إيران، قم، ط ٣، ١٤٢٤ق-١٣٨٢هـ.ش.
- ٢٨- مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٢٩- مكاتيب الأئمة عليهم السلام، علي الأحمدي الميانجي، تحقيق: مجتبی فرجی، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، إيران، قم، ط ٥، ١٣٣١ق-١٣٨٩ش.
- ٣٠- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، د. عطا محمد موسى، دار الإسرائاء، عمان الأردن، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ٣١- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة المجتبي للمطبوعات، إيران، قم، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٣٢- نظرات في التراث اللغوي، د. عبدالقادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٣٣- نعوت الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم - دراسة دلالية - رسالة ماجستير، مجيد بدر ناصر، مقدّمة إلى كليّة التربية، جامعة البصرة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

رسالة البَسْمَلَةِ لمهذبِ الدِّينِ البَصْرِيِّ
كان حياً (١٠٨٥ هـ) / تحقيق

Resalat Al-Basmala by Muhathib Al-Deen
Al-Basry

أ.م.د. قاسم خلف مشاري السَّكِينِيّ
جامعة البصرة / كَلِيَّةُ الآداب / قسم اللُّغة العربيَّة

Assistant Professor .Dr. Qassim Kh. Meshari
Department of Arabic Language/College of
Arts/University of Basrah

ملخص البحث

يُعدّ مهذب الدين البصريّ، الذي عاش في البصرة، وتوفّي في القرن الحادي عشر الميلاديّ، من المؤلّفين الكثيرين؛ إذ تبلغُ مؤلّفاته المئات، فهو عالمٌ في فنون متنوّعة من المعارف، ما بين التّفسير، والحديث النبويّ الشّريف، واللّغة، والنّحو، والصّرف، وغير ذلك، رحل في طلب العلم، وزار بلداناً إسلاميّةً عديدةً. و(رسالة البسملة) إحدى آثاره العلميّة المخطوطة، وهي على صغرها تتضمّن آراءً نحويّةً مهمّةً لكبار النّحاة والمفسّرين، كابن الحاجب، والزّمخشريّ وغيرهم. بيد أنّ ما ورد في هذه الرّسالة هو مجموعة آراءٍ استقاها المهذب من العلماء، عكست ثقافته ومرجعياته المعرفيّة، ولم ينفرد بشيءٍ جديد. وفيما له صلة بصفة المخطوطة، فهي مكتوبة بخطّ النّسخ، واضحة القراءة إلّا ما ندر، ولا تتجاوز صفحاتها ستّ صفحات. وامتاز أسلوب المؤلّف بالدقّة العلميّة، والعرض الموضوعيّ المبسّط، معتمداً على مصادر يذكرها، ويشير إلى مؤلّفيها. وإحياء لأثرٍ علميٍّ بقي مخطوطاً لسنواتٍ متهادية، شرعت بتحقيق هذه الرّسالة، وقد انصبّ عمليّ على تحريج تلك الآراء من مظانّها، وكتابة تراجم مختصرة لأصحابها، وشرح بعض المفردات، وهي خطواتٌ تعارف عليها المحقّقون.

Abstract

Muhathab Al-Deen Al-Basry, who lived in Basra and died in the Eleventh Century, was a prolific author. His research interests have been diverse including interpretation, Hadith (Prophetic traditions), Arabic language, grammar, morphology, and other fields. He visited a number of countries for the sake of scholarly knowledge. Resalat Al-Basmala is one of his manuscripts. Though small in size, the manuscript contains very important viewpoints of distinguished grammarians and interpreters such as bin Al-Hajeb, Al-Zamakhshary, etc. The opinions found in the Resala (letter) are those of some scholars and savants, not his own views. The manuscript has been written in naskh handwriting. It is generally legible and written in 6 pages. The style is characterized by scholarly accuracy and simple and objective exposition with reference to various authors. The present paper is an attempt to highlight these views, note down short biographies of the authors concerned, and explain some lexical items.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدأت المحاولات الأولى لفهم القرآن الكريم مع بداية نزول الآيات القرآنية، فبعدها فهم الناس- وفي مقدمتهم الصحابة- القرآن بصورة إجمالية، وأن فيه دعوة إلى التوحيد، أخذت عقولهم تتطلع إلى معرفة مفردات القرآن الكريم، ومعرفة الجديد فيها من أفكار، فكان النبي ﷺ أول المفسرين، فكلما نزلت آية بادر إلى توضيح مرادها، وشرح كلماتها، معتمداً على ما يُوحى إليه. ثم تابع الصحابة، وفي طليعتهم الإمام عليّ عليه السلام، تفسير القرآن الكريم، كلٌ بحسب جهده، إلى أن ظهر تفسير عبد الله بن عباس عليه السلام، المسمّى بـ (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس)، كأول تفسير.

والبسملة، التي هي اختصار لـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) من الآيات التي تحدّث عنها النبي ﷺ، وبيّن أهميتها، مؤكداً أنّ أيّ عملٍ لا يبدأ بها أتر، ليكون العمل بذلك، وما يتضمّنه من المعنى، مباركاً بذكر الله تعالى، ولئلا يكون العمل باطلاً مبتوراً؛ لأنّ نصيب أيّ عملٍ من البقاء بقدر ما لله فيه من نصيب، كما جاء في الأثر.

وللبسملة فضائل تفرّدت بها عن سائر آيات الكتاب المبين، فهي أوّل شيء

كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنْ زَبَانِيَةِ جَهَنَّمَ، فَلْيَتَعَهَّدْ قِرَاءَةَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فَعَدَدُهَا تِسْعَةٌ عَشْرَ حُرُوفًا، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ وَقَايَةً مِنْ خَازِنٍ مِنْ خِزْنَةِ جَهَنَّمَ»^(٢)، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ الْخَاصَّةِ بِهَا.

وَآيَةُ الْبِسْمَلَةِ تَنْطَوِي عَلَى أَسْرَارٍ خَفِيَّةٍ، وَمَعَانٍ كَثِيرَةٍ، فَقَدْ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ شِئْتُ لِأَوْقَرْتُ سَبْعِينَ بَعِيرًا مِنْ تَفْسِيرِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(٣)، وَهِيَ لَيْسَتْ وَاحِدَةً فِي كُلِّ السُّورِ، بِمَعْنَى أَنَّ آيَةَ الْبِسْمَلَةِ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ هِيَ غَيْرُهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ كَتَبَ رِسَالَةً فِي بِسْمَلَةِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ^(٤). وَآيَةُ الْبِسْمَلَةِ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ^(٥). وَالْأَسْمَاءُ الشَّرِيفَةُ الْوَارِدَةُ فِيهَا تَشْتَمِلُ عَلَى بَرَكَاتٍ عَظِيمَةٍ، فَيَرَى بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ (الرَّحْمَنَ) فِيهَا رَحْمَةٌ شَامِلَةٌ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْخَلْقِ، فَلَوْلَاهَا لَمَّا رُزِقَ الْكَافِرُ قَطْرَةَ مَاءٍ، وَأَنَّ (الرَّحِيمَ) فِيهَا رَحْمَةٌ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٦). وَالرَّحْمَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الدُّنْيَا جِزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ مِائَةِ جِزْءٍ، فِي الرِّوَايَاتِ الْمَأْثُورَةِ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاكَمُونَ»^(٧). وَالرَّحْمَةُ النَّازِلَةُ تَرْجِعُ إِلَى اسْمِ (الرَّحْمَنِ)، وَالتَّسْعَةُ وَالتَّسْعُونَ تَرْجِعُ إِلَى اسْمِ (الرَّحِيمِ)، فَسَبِّحَانِكَ رَبِّي مَا أَعْظَمَ رَحْمَتَكَ.

من آثار العلماء في تفسير البسملة

أشارت كُتُبٌ كثيرة إلى جهود العلماء في شرح البسملة وتفسيرها، فذكرت كتبٌ ورسائلٌ وضعت لذلك، وكان ابن خزيمة^(٨) أول الشّراح بعد النبي ﷺ، والإمام عليّ بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما، والصّحابة، فله (كتاب البسملة)، وللخطيب البغداديّ كتاب في البسملة^(٩)، ولأحمد بن عليّ بن يوسف، المعروف بـ (البونيّ)^(١٠) (رسالة السّرّ الكريم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم)، ولأبي شامة (ت ٦٦٥هـ) (كتاب البسملة)^(١١)، ولعليّ القاريّ كتاب في البسملة، ولمحمد البابليّ (ت ١٠٧٧هـ) كتاب (عقد الدرّ النّظيم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم)^(١٢).

وفي (الفهرس الشّامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط)، ذكر لرسائل كثيرة عن البسملة وإعرابها وشرحها، تقرب من المائة رسالة، وأكثرها مفقود^(١٣).

نبذة عن حياة المؤلّف

هو مهذب الدّين، أحمد بن عبّيد الرّضا، المولود في البصرة^(١٤)، والمتوفّي في سنة (١٠٩٠هـ)، بحسب ما تُرجم بعض المظانّ، وهو مؤلّف مكثّر، أحصينا له في كتابه (المناهج) الذي حقّقناه^(١٥) ثمانية وعشرين كتاباً، وفاتنا الكثير؛ إذ تبلغ مؤلّفاته المئات، وقد رأيتُ في خزانة نزار المنصوريّ مخطوطة في تفسير القرآن الكريم تزيد على ستمائة صفحة. وإنّ كلّ كتبه لا تزال مخطوطة، ما عدا سبعة كتب أو رسائل تقريباً، قد حقّقت، منها: (فائق المقال)، تحقيق: غلام حسين قيصريّة، و(المناهج، أو المقنعة الأنيسة والمغنية النّفيسة)، الذي حقّقتُه بالاشتراك مع الدكتور توفيق

الحجاج، وهذا المخطوط الذي نحققه اليوم الموسوم بـ (رسالة البسْملة)، أو (كلام على البسْملة). واكتفيت بمقتطفٍ من حياته؛ لأنني استوفيتُ الكتابة عن حياته في كتاب المناهج.

منهج رسالة البسْملة

في هذه الرسالة شرح المؤلف دلالات مفردات البسْملة، وركز كلامه على مفردات البسْملة، وبيان اشتقاق أسائها، وهي على صغرها، كشفت عن الثقافة النحويّة التي يتمتع بها المؤلف، وأشار إلى المصادر التي استقى منها علومه، ككتب الأخفش^(١٦)، والزجاج^(١٧)، والزخري^(١٨)، والسكاكي^(١٩)، وابن الحاجب^(٢٠)، وابن مالك^(٢١)، وغيرهم؛ ولأن عملي هو تقديم نصٍّ محقّق، وإخراجه على الصورة التي أرادها المؤلف، فقد آثرتُ عدم التوسّع بالشرح، فلربّما أخرجني الإسهاب عن الهدف الأصليّ، وأبعدني نوعاً ما عن ضوابط التحقيق.

وقد نهج المؤلف نهج الأقدمين في عرض البسْملة، ومال إلى آراء النحويّين أكثر من ميله إلى آراء المفسّرين، ويبدو أنّه اتخذ من سبقه في شرح البسْملة وتفسيرها نهجاً للكلام عن البسْملة، فقد سبقه علماء المسلمين في بيان أسرارها، كما مرّ بنا، وتفتقر هذه المخطوطة إلى المقدّمة الوافية؛ إذ اكتفى صاحبها بسطرين، ثم بدأ ببيان اشتقاق الاسم، دارجاً آراء النحويّين، ومعولاً على آراء المدرستين البصريّة والكوفيّة. وقد تضمّنت المخطوطة إعراب مفردات البسْملة، فبيّن المؤلف دلالة الاسم عند المدرستين، ثم علّل اختفاء الباء من كلمة (اسم)، مستشهداً بآراء النحاة، معرّجاً على اشتقاقات مفردات (لفظ الجلالة، والرّحمن،

والرَّحِيم)، مبيِّناً العلة في تقديم (الرَّحْمَن) على (الرَّحِيم).
 وكانت أغلب مصادره من كتب النحو، ككتاب سيويه^(٢٢)، وشرح الكافية لابن الحاجب، والجمل للزجاجي^(٢٣) والكشاف للزمخشري، وغيرهم.
 وتضمَّنت المخطوطة آراء النحويين والصرفيين من مدرستي الكوفة والبصرة، وكان يرجَّح آراء المدرسة البصريَّة، وهو في ذلك ينسبُ كلَّ رأي إلى صاحبه، مصرِّحاً بالمصدر، ككتاب: (أسرار العربية) مثلاً.
 ويتَّصف أسلوب المؤلف بالخبرة اللغويَّة العالية.

وصفُ المخطوطة

بعد حصولي على نسخة مصوَّرة عن الأصلية (ورقيَّة)، موجودة في خزانة الدكتور نزار المنصوري، نزيل كربلاء؛ إذ تكرم عليَّ بنسخها -جزأه الله خيراً ومغفرةً ورحمةً- عندما زرته في نهاية سنة ٢٠١٥م، وقد صوَّرها هو عن مكتبة مجلس الشورى في طهران، بدأت بتحقيقها.
 والمخطوطة بخطَّ المؤلف؛ إذ لم يرد ذكرُ لناسخها، وأرجَّح أن يكون مهذبَّ الدين هو الذي يخطُّ مؤلفاته، فكلُّ مخطوطاته متشابهة الخطِّ، وهو (خطُّ النسخ)، فقد رأيتُ مخطوطة (المناهج)، التي حقَّقتها بالاشتراك مع الدكتور توفيق الحجَّاج، ومخطوطة (رسالة في الخطِّ)، ومخطوطة (تفسير القرآن الكريم)، ومخطوطة رسالة البسملة، وكلُّها مكتوبة بالخطِّ نفسه. وقد ذكر في بدايتها اسمه، ما يؤكِّد نسبتها إليه؛ إذ قال بعد التَّحْمِيد: «وَبَعْدُ، فَيَقُولُ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ وَالرِّضَا، الْمُشْتَهَرُ بِالْمُهَذَّبِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّضَا، هَذَا بَعْضُ الْكَلَامِ عَلَى الْبَسْمَلَةِ،

وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ فِي البِدَايَةِ وَالتَّكْمِلَةَ»^(٢٤).

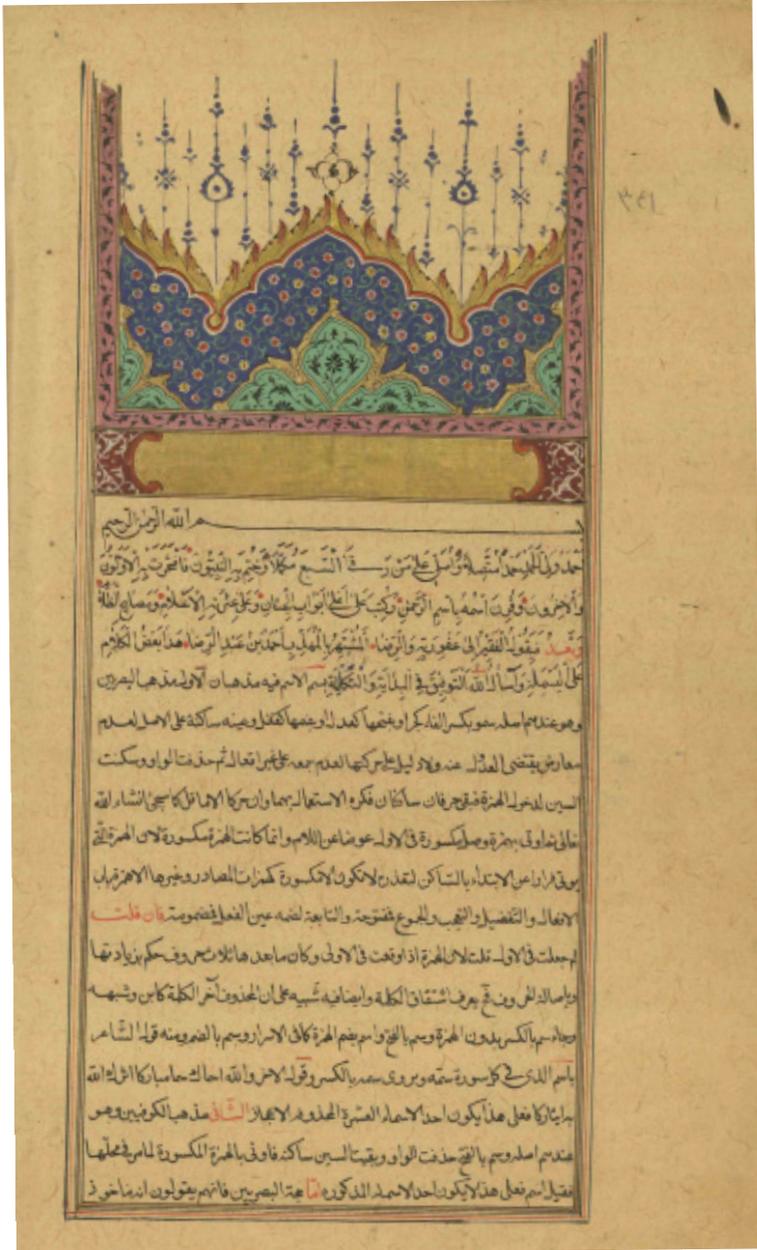
وهي نسخة وحيدة ملوَّنة واضحة، عدد صفحاتها ست صفحات، ويخطّ واضح هو (خطّ النسخ) كما ذكرنا، وإن لم يكن مشكولاً، وفي كلّ صفحة خمسة وعشرون سطراً، وفي كلّ سطر ست عشرة كلمة، ولم يتخلّل المخطوطة حرم، أو طمس، أو غموض، ما عدا كلمة أو كلمتين، أشرت إليهما في موضعهما من المخطوطة، وهي خالية من التعلّيقات والحواشي والهوامش.

عملي في التحقيق

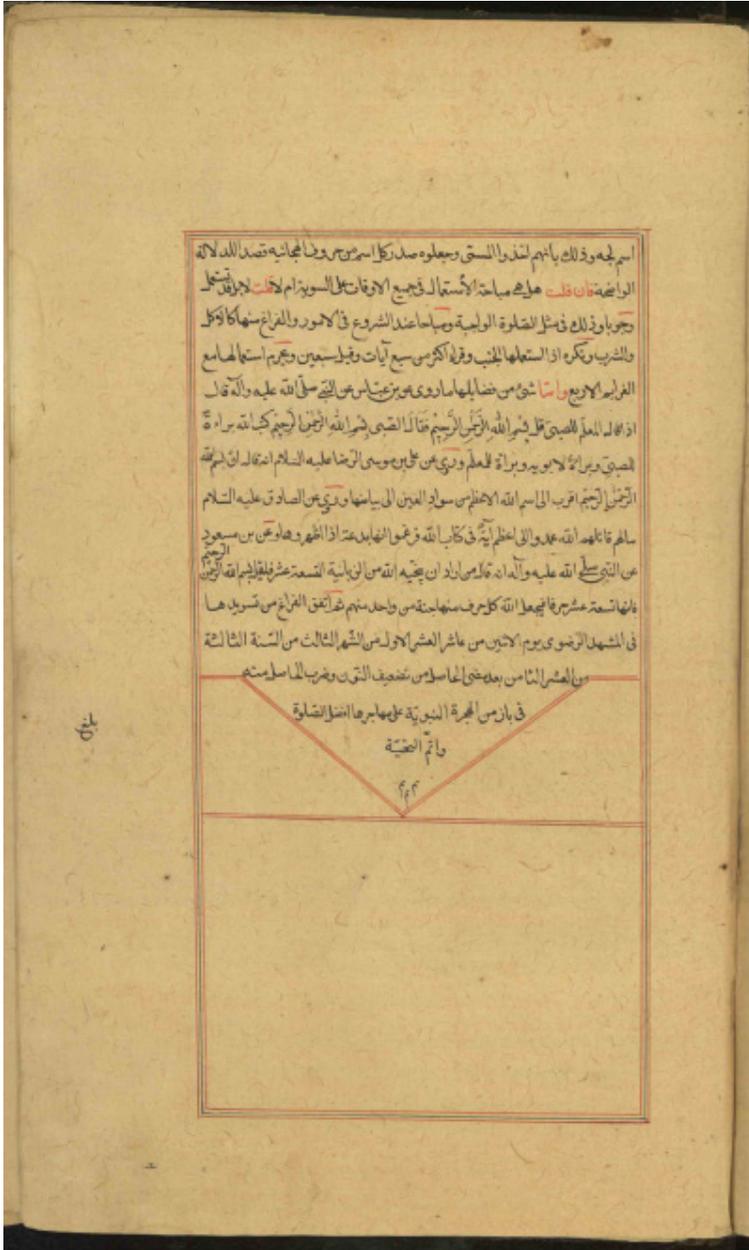
عملاً بضوابط التحقيق وخطواته ومناهجه، أتبعْتُ الخطوات الآتية في تحقيق المخطوطة:

- ١- كتبتُ تعريفاً بالمؤلف تضمّن نبذةً عن حياته ومؤلفاته ومكانته العلميّة.
- ٢- قدّمتُ عرضاً موجزاً واصفاً فيه المخطوطة.
- ٣- ضبطتُ النّصّ إملائياً وصرفياً ونحوياً، وأدخلتُ علامات التّرقيم، وأشكلتُ النّصّ بما يُناسبه من الحركات.
- ٤- عارضتُ النّصوص الواردة في المخطوطة بالأصل الذي وردت فيه، وأشرتُ إلى الأصول في الهوامش.
- ٥- خرّجتُ الآيات القرآنيّة، وخرّجتُ الآيات الشعريّة من مظانّها.
- ٦- وضحّتُ المطلوب توضيحه في الهوامش، وأشرتُ إلى بيان دلالة المصطلح الغامض من النّصّ، وعدتُ إلى المعاجم لإزالة عُجمة اللفظ.
- ٧- كتبتُ تراجم للأعلام الواردة أسماؤهم قدر الإمكان.

- ٨- حاولتُ جهد قدرتي ضبط النَّصِّ المحقَّق، ووضع الحركات عليه، ليكون مقروءاً بسهولة، وقد عانيتُ كثيراً في قراءة بعض الكلمات، ولولا عودتي إلى بعض المصادر ما كان بوسعي قراءتها وضبطها على وفق ما أَرادها مؤلِّفها. وقد ضُمَّتُ المخطوطة اختصاراً ككلمة (فح)، التي تكرَّرت، وتعني: (فحينئذٍ)، فأثبتتُ كتابة (فحينئذٍ)، بدلاً من (فح).
- ٩- عمدتُ إلى درج سنة وفاة كلِّ عَلمٍ ورد ذكره بعد اسمه في المتن.
- ١٠- وضعتُ كلمة (هكذا) بعد الكلمة، أو نصف الجملة، التي صعب عليَّ قراءتها؛ توخياً للأمانة العلميَّة.
- ١١- وضعتُ أقواساً للآيات الشريفة التي كانت مختلطة مع سطور المخطوطة.
- ١٢- كان المؤلِّف يستخدم الياء اللينة بدلاً من الهمزة، ككلمة (النظائر)، فأثبتتُ الهمزة وكتبتها (نظائر)، وكلمة (فضائل)، أثبتتُ مكانها (فضائل).
- ١٣- وضعتُ الروايات التي جاءت في المخطوطة بين أقواس.



الصفحة الأولى من المخطوطة



الصفحة الأخيرة من المخطوطة

رسالة البسملة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ وَيَا الْحَمْدِ حَمْدًا مُتَّصِلًا، وَأُصَلِّي عَلَى مَنْ رَفَى السَّعِ (٢٥) مُكَمَّلًا، وَخُتِمَ بِهِ النَّبِيُّنَ، فَافْتَحَرْتُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَقُرِنَ اسْمُهُ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ (٢٦)، وَكُتِبَ عَلَى أَعْلَى أَبْوَابِ الْجَنَانِ، وَعَلَى عِثْرَتِهِ (٢٧) الْأَعْلَامِ، وَمَصَابِيحِ الظَّلَامِ. وَبَعْدُ، فَيَقُولُ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ وَالرِّضَا، الْمُشْتَهَرُ بِالْمُهَذَّبِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرِّضَا: هَذَا بَعْضُ الْكَلَامِ عَلَى الْبَسْمَلَةِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ فِي الْبِدَايَةِ وَالتَّكْمِلَةَ. (بِسْمِ): الْاسْمُ فِيهِ مَذْهَبَانِ؛ الْأَوَّلُ: مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَصْلُهُ (سِمُو) بِكَسْرِ الْفَاءِ كَحَبْرٍ (٢٨)، أَوْ يَفْتَحُهَا كَعَدَلٍ، أَوْ يَضْمُهَا كَقَفْلٍ، وَعَيْنُهُ سَاكِنَةٌ عَلَى الْأَصْلِ؛ لِعَدَمِ مَعَارِضٍ يَقْتَضِي الْعُدُولَ عَنْهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى حَرَكَتِهَا؛ لِعَدَمِ جَمْعِهِ عَلَى غَيْرِ أَفْعَالٍ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْوَاوُ وَسُكِّنَتِ السَّيْنُ لِدُخُولِ الْهَمْزَةِ (٢٩)، فَبَقِيَ حَرْفَانِ سَاكِنَانِ، فَكِرَةٌ الْاسْتِعْمَالِ بِهِمَا، وَإِنْ حُرِّكَا، إِلَّا مَا قَلَّ، كَمَا سَيَجِيءُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى-، ثُمَّ أُوتِيَ هَمْزَةٌ وَصَلَّ مَكْسُورَةٌ فِي الْأَوَّلِ عِوَضًا عَنِ اللَّامِ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْهَمْزَةُ مَكْسُورَةً؛ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ الَّتِي يُوتَى [بِهَا] فِرَارًا عَنِ الْإِبْتِدَاءِ بِالسَّاكِنِ لِنَعْدْوِهِ، لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةً، كَهَمْزَاتِ الْمَصَادِرِ وَغَيْرِهَا، إِلَّا هَمْزَةَ بَابِ الْأَفْعَالِ وَالتَّفْضِيلِ وَالتَّعَجُّبِ وَالجُمُوعِ، فَمَفْتُوحَةٌ، وَالتَّابِعَةُ لِضَمَّةِ عَيْنِ الْفِعْلِ، فَمَضْمُومَةٌ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جُعِلَتْ فِي الْأَوَّلِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الْهَمْزَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الْأَوَّلَى، وَكَانَ مَا بَعْدَهَا ثَلَاثَةَ حُرُوفٍ، حُكِمَ بِزِيَادَتِهَا وَبَأْصَالَةِ الْحُرُوفِ، فَحِينَئِذٍ يُعْرَفُ اسْتِثْقَاؤُ الْكَلِمَةِ، أَيْضًا فِيهِ شَبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْمَحذُوفَ آخِرَ الْكَلِمَةِ،

كابن وشبهه، وجاء (سِم) بالكسر بدون الهَمْزَة، و(سَم) بالفتح، و(أَسْم) بِضَمِّ الهَمْزَة، كما في الأسرار^(٣٠)، و(سُم) بالضم، ومنه قول الشاعر:

بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سُمُّهُ^(٣١)

وَيُرْوَى (سِمُهُ) بِالْكَسْرِ^(٣٢)، وقول الآخر:

وَاللَّهُ أَسْمَاكَ سُمًّا مُبَارَكًا أَتَرَكَ اللَّهُ بِهِ إِشَارَكَ^(٣٣)

فَعَلَى هَذَا يَكُونُ أَحَدَ الْأَسْمَاءِ الْعَشْرَةِ الْمَحذُوفَةِ الْأَعْجَازِ^(٣٤).

الثاني: مذهب الكوفيين، وهو عندهم أصله (وسَم) بالفتح، حذفت الواو وبقيت السين ساكنة، فأوتي بالهمزة المكسورة^(٣٥)؛ لما مر في محلها، فقيل: اسم، فعلى هذا لا يكون أحد الأسماء المذكورة. أما حجة البصريين، فإنهم يقولون: إنه مأخوذ من السُمُو^(٣٦)، وهو العلو والارتفاع؛ لأنه علا على مسماه، وعلا على ما تحته من معناه، وأيضا يقع خبرا، أو محبرا، بخلاف قسيمه، أعني: الفعل والحرف، فإنها ليسا بهذه المثابة؛ لأن الأول لا يقع إلا ليجزيه^(٣٧) به، والحرف صلة، فلهذا ازداد شرفا، وسما عليها.

وأما حجة الكوفيين، فإنهم يقولون: إنه مأخوذ من الوَسْم، وهو العلامة^(٣٨)؛ لأنه سمة على مسماه ويعرف بها؛ وذلك لأن التلظظ بزيد مثلا يدل على مدلوله، وهي الذات المعلومة، وتعرف به، فكانت علامة عليها.

وما ذهب إليه البصريون هو المختار^(٣٩)، وأما ما ذهب إليه الكوفيون ففاسد من وجوه، سندكرها - إن شاء الله تعالى -، وإن كان مختارا بحسب المعنى. ثم اعلم أولا: أن التصغير والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها، ومن ثم قيل في باب عند التصغير: بويب، وفي جمعه عندهم: أبواب، ثم اعلم ثانيا: أن الصرفيين

قالوا في تصغيره: (سُمِّيَ) (٤٠)، وأصله (اسم)، وأصله (سَمُو)، ثُمَّ ضُمَّ أَوَّلُهُ لِلتَّصْغِيرِ، وَفُتِحَ ثَانِيهِ، وَزِيدَ يَاءُ التَّصْغِيرِ السَّاكِنَةِ الثَّلَاثَةِ، فَصَارَ (سُمِيُو)، فَاجْتَمَعَتِ الْيَاءُ السَّاكِنَةُ مَعَ الْوَاوِ الْمُتَحَرِّكَةِ، وَانْتُخِرَ بِقَلْبِ الْوَاوِ يَاءٌ دُونَ الْعَكْسِ وَإِذْعَامِهَا فِيهَا، كَمَا فِي سَيِّدٍ وَمَيِّتٍ وَمَرْمِيٍّ، فَفَقِيلَ: سُمِيٌّ، وَلَمْ يَرُدْ: وَسُمِيمٌ، تَصْغِيرَ اسْمٍ، فَهَذَا الْوَجْهُ الْأَوَّلُ.

الثاني: قالوا في تكسيره: أسماء، وأصله أسماو (٤١)، وَقَعَتِ الْوَاوُ الَّتِي هِيَ لِأَمِّ الْفِعْلِ مَتَطَرِّفَةً بَعْدَ الْأَلْفِ الزَّائِدَةِ، الَّتِي هِيَ لِإِنْبَاءِ الْجَمْعِ، قَلْبَتِ هَمْزَةً، كَمَا فِي: كِسَاءٍ، وَرِدَاءٍ، وَسَمَاءٍ، فَفَقِيلَ: أَسْمَاءٌ، وَلَمْ يَرُدْ: أَوْسَاءٌ، جَمْعُ اسْمٍ.

الثالث: أَنَّ وُجُودَ الْهَمْزَةِ فِي الْأَوَّلِ يُبْنَى عَلَى أَنَّ الْمَحذُوفَ هِيَ اللَّامُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُعَوِّضُ عَنِ اللَّامِ غَالِبًا، لَا عَنِ الْفَاءِ، أَلَا تَرَى ابْنَأَ أَصْلَهُ (بَنُو) كـ (حِيلَ)، حُذِفَتْ مِنْهُ اللَّامُ، وَعَوِّضَتْ عَنْهُ الْهَمْزَةُ فِي الْأَوَّلِ، وَ(عِدَّةٌ) أَصْلُهُ (وَعَدَدٌ)، حُذِفَتْ مِنْهُ الْفَاءُ وَلَمْ يُعَوِّضْ عَنْهُ الْهَمْزَةُ، ثُمَّ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ الْبَاءُ الْجَارَّةُ، وَكَانَتِ الْهَمْزَةُ فِيهِ لِلْوَصْلِ كَمَا تَقَرَّرَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحَذَفَ، حُذِفَتْ، وَعَمِلَتْ الْبَاءُ بِهِ الْجَرِّ، فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ عَمِلَتْ الْبَاءُ، وَلِمَ كَانَ عَمَلُهَا الْجَرُّ دُونَ غَيْرِهِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ حُرُوفَ الْجَرِّ مُلَازِمَةٌ الْأَسْمَاءِ، وَكُلُّ مَا لَازِمٌ شَيْئًا وَهُوَ خَارِجٌ عَنْهُ فِي الْحَقِيقَةِ أَثَرٌ فِيهِ غَالِبًا، وَأَمَّا عَمَلُهَا الْجَرُّ؛ لِأَنَّ الرَّفْعَ أَخَذَهُ الْفِعْلُ لِلْفَاعِلِيَّةِ وَالْإِبْتِدَاءِ لِلْمُبْتَدَأِ (٤٢) وَغَيْرِهِ مِنْ عَوَامِلِ الرَّفْعِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَالنَّصْبُ أَخَذَهُ لِلْمَفْعُولِيَّةِ، فَبَقِيَ الْجَرُّ، فَأَخَذَتْهُ حُرُوفُ الْجَرِّ وَالْمُضَافُ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ جَعَلَهُ عَامِلًا، فَإِنْ قُلْتَ لَهُ حُذِفَتْ الْهَمْزَةُ مِنْهُ فِي الْخَطِّ وَالْقِيَاسِ إِثْبَاتًا فِيهِ؛ لِأَنَّهَا هَمْزَةٌ وَصَلٌ تُحَذَفُ مِنَ اللَّفْظِ لَا غَيْرٍ، وَيَشْهَدُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٤٣)، قُلْتُ:

حَذَفُهَا فِي الْحَطِّ تَبَعًا لِحَذْفِهَا فِي التَّلْفُظِ؛ وَذَلِكَ لِثِقَلِهَا وَلِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ بِالْبِسْمَلَةِ، فَنَاسَبَ ذَلِكَ، كَمَا لَا يَخْفَى، بِخِلَافِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، وَقِيلَ: طَوَّلَتِ الْبَاءُ تَعْوِضًا عَنِ الْهَمْزَةِ^(٤٤)، وَبُنِيَتْ عَلَى الْكَسْرِ لِزُورِمِهَا الْحَرْفِيَّةِ وَالْجُرِّ، وَإِنْ كَانَ الْقِيَاسُ فَتَحَهَا مُحَقِّقًا؛ لِأَنَّ كُلَّ حَرْفٍ جَاءَ لِمَعْنَى وَهُوَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى الْفَتْحِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ صَاحِبُ الْكَشَافِ^(٤٥)، كَلَامَ الْإِبْتِدَاءِ، وَوَاوِ الْعَطْفِ وَالْقَسَمِ، وَغَيْرِهَا، وَالْفَاءُ لِمَعَانِيهِ بِأَسْرِهَا، فَلَا يَرُدُّ نَحْوُ كَافِ التَّشْبِيهِ وَمَنْ، فَافْتَهَمَ، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ، أَوْ أَبْتَدِئُ، أَوْ أَتْلُو؛ لِأَنَّ مَا يَتَّبِعُ التَّسْمِيَةَ مَطْلُوبٌ لِأَبْدِئُ مِنْهُ، كَمَا أَنَّ الشَّارِعَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَلٍ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، كَانَ مَعْنَاهُ: بِسْمِ اللَّهِ أَشْرَعُ، أَوْ أَبْتَدِئُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، كَالذَّبْحِ إِذَا ذَبَحَ، وَالْمُسَافِرِ إِذَا حَلَّ بِمَكَانٍ أَوْ ارْتَحَلَ مِنْهُ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، كَانَ الْمَعْنَى: أَذْبَحُ، أَوْ أَحَلُّ، أَوْ ارْتَحَلُ، وَنَظِيرُهُ فِي حَذْفِ الْمُتَعَلِّقِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾، أَي: أَذْهَبُ^(٤٦)

ومنه قول الشاعر:

صَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ: يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتَكَ الْأَوَاقِي^(٤٧)

أي: أقبلت، أو جاءت.

وقول الآخر:

فقلت: إلى الطَّعَامِ، فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيْقٌ: يَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا^(٤٨)

أي: هَلُمُّوا، ومنه قولهم: بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينِ^(٤٩)، وَبِالْيَمْنِ وَالْبَرَكَاتِ، أَي: أَنْكَحْتَ، أَوْ تَزَوَّجْتَ، أَوْ أَعْرَسْتَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قُدِّرَ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْمُتَعَلِّقِ؟ قُلْتُ: لِمَا كَانَ الْأَهْمُ مِنَ الْمُتَعَلِّقِ وَالْمُتَعَلِّقِ بِهِ هُوَ الْأَوَّلُ دُونَ الثَّانِي، وَكَانُوا يَبْتَدِئُونَ

بأسماء آلهتهم، فيقولون: باسم اللات وباسم العزى، وجب تقديمه عليه لهذا، وللإختصاص أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥٠)، بتقديمه على الفعل، ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾^(٥١)، اللهم إلا إذا قدر مصدرًا، كما هو رأي البصريين، فحينئذ يقدم لئلا يلزم تقديم معموله عليه، وهو جائز، وأتى منه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ﴾^(٥٢)، و﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾^(٥٣)، فإن السعي والرفقة مصدران آخرًا عن معموليهما؛ وذلك لأن الظرف مما يكتفيه راحة الفعل، فلا وجه لرأيهم، وأيضاً يلزم على رأيهم أن يعمل محذوفًا، وأجيب عنه بما مر. وأما قوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ بتقديم الفعل، فإنه لما كانت أول سورة نزلت، فكان تقديمه أثبت وأوقع وأولى؛ لأنه الأهم وهو ظرف، وقيل: إنه متعلق بـ(مفتتحًا)، أي: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، فحينئذ يجوز تأخيرها، فيقال: اقرأ باسم ربك مفتتحًا، هكذا نقل في حاشية الكشاف. فإن قلت: ما معنى: فيه، وما معنى: تعلقها، قلت: معناها الاستعانة^(٥٤)، وتعلقها كتعلق السكين بالذبح، أو الترك، وحينئذ يكون تعلقها كتعلق الدهن بالإنبات، كما في قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾^(٥٥).

والله: اسم علم مفرد موضوع للذات الواجب^(٥٦) المستجمع لجميع صفات الكمال، دالة عليه دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى، ما ظهر منها وما لم يظهر؛ ولذلك يقال: هذا الاسم من أسماء الله تعالى؛ لأنه يقال: الرحمن والرحيم والواحد والعظيم من أسمائه، ولا يقال بالعكس، وقيل: اسم لمفهوم ذات الواجب، فيكون كليًا انحصار في فرد، فلا يكون علمًا؛ لأن مفهومه جزئي، وفيه نظر؛ لأننا لا نسلم أن مفهومه كلي؛ للاتفاق، على أن قولنا: لا إله إلا الله كلمة توحيد، وإذا

كَانَ مَفْهُومُهُ كَلِيًّا، وَالْكَلِيُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ كَلِيٌّ يَصْدُقُ عَلَى كَثِيرِينَ، فَكَيْفَ يُسْتَفَادُ التَّوْحِيدُ مِنْهُ، وَأَصْلُهُ إِلَهٌ بِالتَّنْكِيرِ، ثُمَّ عُرِّفَ بِلَامِ التَّعْرِيفِ، فَاسْتَثْقَلَتِ الْهَمْزَةُ، فَحُذِفَتْ، وَفُخِّمَ لِلتَّعْظِيمِ؛ لِمَا فِي التَّفْخِيمِ مِنْهُ، ثُمَّ لَمَّا وَقَعَتْ بَعْدَ الْمِيمِ الْمَجْرُورَةِ بِالْبَاءِ رُقِّقَتْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ إِذَا تَقَدَّمَ حَرْفٌ مَضْمُومٌ أَوْ مَفْتُوحٌ أَوْ ابْتَدَى بِهَا فُخِّمَتْ، وَإِذَا تَقَدَّمَ حَرْفٌ مَكْسُورٌ رُقِّقَتْ، كَمَا بَيَّنَّ فِي مَوْضِعِهِ، وَقِيلَ: أَصْلُهُ (الإله)، حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ وَعُوِّضَتْ عَنْهَا لَامُ التَّعْرِيفِ، فَقِيلَ: اللهُ؛ وَلِذَلِكَ يُقَالُ: يَا اللهُ بِالْقَطْعِ، كَمَا يُقَالُ: يَا إِلَهَ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، كَرَجُلٍ، يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ، سِوَاءَ كَانَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ أَوْ لَا، ثُمَّ غُلِبَ عَلَى الْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ جَلُّ جَلَالِهِ، كَتَغْلِيْبِ النَّجْمِ عَلَى الثُّرَيَّا مَعَ أَنَّهُ اسْمٌ لِكُلِّ كَوْكَبٍ، وَالْبَيْتُ عَلَى الْكَعْبَةِ، وَالْمَدِينَةُ عَلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَكَذَا، وَهُوَ اسْمٌ لِصِفَةٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُقَالُ: شَيْءٌ إِلَهٌ، كَمَا لَا يُقَالُ: شَيْءٌ فَرَسٌ، بَلْ يُقَالُ: إِلَهٌ مَعْبُودٌ، كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ مَحْمُودٌ، وَالصِّفَاتُ لِأَبْدَلِهَا مِنْ مَوْصُوفٍ، فَتَأَمَّلْ. وَ(الله) بِالْحَذْفِ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الْمَعْبُودِ بِالْحَقِّ، وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ الرَّازِيُّ^(٥٧): أَصْلُهُ (الإله)، ثُمَّ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ اسْتِثْقَالًا لَهَا، فَلَمَّا حَذَفُوهَا، نَقَلُوهَا كَسْرَتَهَا إِلَى اللَّامِ السَّاكِنَةِ قَبْلَهَا، فَقَالُوا: اللّاه، فَحَرَّكُوا لَامَ التَّعْرِيفِ، وَمِنْ حَقِّهَا السُّكُونُ، فَالْتَقَتْ لِأَمَانٍ مَتَحَرَّكَانِ^(٥٨)، وَحَقُّ الْأَوَّلِ^(٥٩) مِنْهُمَا السُّكُونُ، فَاسْكَنُوهَا، وَأَدغَمُوهَا فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَ: اللهُ، وَنظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾^(٦٠)، كَانَ فِي الْأَصْلِ (لكن أنا)، فَحَذَفُوا الْهَمْزَةَ، وَحَوَّلُوا فَتَحَّتْهَا إِلَى النُّونِ قَبْلَهَا، فَصَارَتْ (لكننا)، وَهَكَذَا حَكَى الْفَرَّاءُ^(٦١)، وَأَمَّا مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ اللَّامَ عُوِّضَتْ عَنِ الْهَمْزَةِ بَعْدَ نَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَيْهَا وَحَذْفِهَا، فَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِلزُّورِ الدَّوْرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَذْفَ الْهَمْزَةِ مَوْقُوفٌ عَلَى نَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى اللَّامِ،

ونقل حركتها موقوفٌ على حذفها؛ ليتأتى تعويض اللام عنها، وأجيب بأن نقل الحركة موقوفٌ على الحذف؛ لأنَّ العوض لا يُؤتى به إلا بعد حذف العوض عنه^(٦٢)، وعلى كلِّ تقديرٍ، فهو مُستقٌّ من لاه^(٦٣) اشتقاقاً جعلياً^(٦٤)، فلا يلزم منه أن يكون صفةً؛ لأنَّ اعتبار ذلك لترجيح الاسم، لا لصحة الإطلاق، كما ذكره السكاكي^(٦٥)، ومعناه: الحفا[كذا]، كما قال الشاعر:

لأهت فليس ترى يوماً ببارزةً ياليتها خرَجَتْ حَتَّى عَرَفْنَاها^(٦٦)

وقيل: الظهور، وهو مجرورٌ بإضافة الاسم إليه، وهل العامل فيه المضاف أو اللام المقدرة، ففيه خلافٌ، فذهب بعضهم إلى الأوَّل، لقولهم: كلُّ اسمٍ أُضيفَ إلى اسمٍ آخرَ هو العاملُ فيه، وهو مذهب سيبويه^(٦٧)، وآخرون إلى الثاني، وهو مذهب الزجاج.

(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ): صِفَتَانِ لِلَّهِ، بُنِيَا لِلْمُبَالِغَةِ مِنْ رَحِمَ بِالكَسْرِ، وَالرَّحْمَةُ لُغَةٌ: الرَّأْفَةُ وَالْعَطْفُ وَالْحُنُوُّ، وَالرَّحْمَنُ أَكْثَرُ مِبَالِغَةً لِزِيَادَةِ بِنَائِهِ^(٦٨)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْبِنَاءِ تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى، كَمَا فِي: كَسَرَ وَكَسَّرَ، وَهُوَ خَاصُّ اللَّفْظِ عَامُّ الْمَعْنَى، وَالرَّحِيمُ بِالْعَكْسِ، وَهَذَا لَا يُوصَفُ بِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَّا قَوْلُ بَنِي حَنِيفَةَ فِي مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ^(٦٩): رَحْمَانُ الْيَمَامَةِ، فَتَعَنَّتْ مِنْهُمْ وَكَفَرُوا. وَلَمَّا كَانَتْ رَحْمَتُهُ تَعْمُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ فِي الدُّنْيَا، وَتَخْصُ الْمُؤْمِنَ فَقَطُّ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قِيلَ: رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَرَحِيمُ الْآخِرَةِ، وَرَحْمَةُ الدُّنْيَا مُقَدَّمَةٌ عَلَى رَحْمَةِ الْآخِرَةِ، قُدِّمَ عَلَى الرَّحِيمِ لِلْمُنَاسَبَةِ، فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قُدِّمَ الْأَبْلَغُ عَلَى مَا هُوَ دُونُهُ، وَالْقِيَاسُ التَّرْقِيُّ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى، كَمَا يُقَالُ: عَالِمٌ نَحْرِيرٌ^(٧٠)، وَفَقِيهٌ طَبْنٌ^(٧١)، وَحَكِيمٌ نَطَاسِيٌّ^(٧٢)، وَفَيْلَسُوفٌ نَقْرِيسٌ^(٧٣)، وَكَاتِبٌ حَازِقٌ، وَصَانِعٌ مَاهِرٌ، قُلْتَ: الرَّحْمَنُ مُتَنَاوِلٌ لِأَصُولِ النِّعَمِ وَعِظَامِهَا وَجِلَالِهَا،

والرَّحِيمُ كالتَّكْمِلَةِ، فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ مَا دَقَّ مِنْهَا وَعَدَبَ وَطُفَّ؛ وَلِذَلِكَ أُرِدِفَ،
 وَالرَّحْمَنُ مُجْرورٌ عَلَى الوَصْفِيَّةِ لِمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ أَنَّ الصِّفَةَ تَتَّبِعُ المَوْصُوفَ فِي
 أَرْبَعَةٍ مِنْ عَشْرَةٍ^(٧٤)، وَالعَامِلُ فِيهِ هُوَ العَامِلُ بِمَتَّبِعِهِ، أَوْ بِنَفْسِ التَّبَعِيَّةِ، وَالأَصْحَحُ
 الأَوَّلُ، وَالرَّحِيمُ كَذَلِكَ، وَقِيلَ: الرَّحْمَنُ بَدَلٌ لَانْعَتْ، وَالرَّحِيمُ بَعْدَهُ نَعْتُ لَهُ، كَمَا فِي
 المَعْنَى، فَيَكُونُ العَامِلُ فِيهِ مَحذُوفًا، مُمَاتِلٌ لِلعَامِلِ فِي المَتَّبِعِ؛ لِمَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ البَدَلَ عَلَى
 نِيَّةِ تَكْرِيرِ العَامِلِ، فَعَلَى الأَوَّلِ يَكُونُ صِفَةً، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمْخَشَرِيُّ^(٧٥) وَابْنُ
 الحَاجِبِ، وَعَلَى الثَّانِي عِلْمًا، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الأَعْلَمُ وَابْنُ مَالِكٍ، فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ
 هُوَ مُنْصَرَفٌ أَمْ لَا؟ قُلْتُ: بَلْ غَيْرُ مُنْصَرَفٍ، فَإِنْ قُلْتَ: شَرَطُ مَنَعِ صَرَفِ (فَعْلَانَةِ)
 الصِّفَةِ وَجُودِ (فَعَلَى)، وَهُوَ بَاطِلٌ، قُلْتُ: كَمَا أَنَّ وَجُودَ (فَعَلَى) بَاطِلٌ، فَكَذَلِكَ وَجُودُ
 (فَعْلَانَةِ)^(٧٦) أَيْضًا، وَالمُرَادُ مِنْ وَجُودِ (فَعَلَى) انْتِفَاءُ (فَعْلَانَةِ)، وَهُوَ حَاصِلٌ، فَحِينَئِذٍ
 لَا عِبْرَةَ بِامْتِنَاعِ التَّائِيثِ لِاخْتِصَاصِ العَارِضِ، فَالأَوَّلَى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الأَصْلِ، وَهُوَ
 القِيَاسُ عَلَى نَظَائِرِهِ، هَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمْخَشَرِيُّ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مُنْصَرَفٌ، وَهُوَ الأشْهَرُ،
 فَتَأَمَّلْ. وَهُمَا صِفَتَانِ مُشَبَّهَتَانِ مُشْتَقَّتَانِ مِنْ فِعْلٍ مُتَعَدٍّ، وَلَكِنَّهُ يُؤَوَّلُ بِالأَلْزَمِ، كَمَا فِي
 قَتِيلٍ وَجَرِيحٍ، فَإِنَّهُمَا مُشْتَقَّتَانِ مِنْ: جَرَحْتُهُ وَقَتَلْتُهُ، فَهُوَ جَرِيحٌ وَقَتِيلٌ، وَيَجُوزُ فِيهِمَا
 النِّصْبُ بِتَقْدِيرِ فِعْلٍ، وَالرَّفْعُ بِتَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ، وَالجُرْ- وَهُوَ الأَصْلُ-؛ لِمَا تَقَرَّرَ، وَنُصِبَ
 الأَوَّلُ وَرُفِعَ الثَّانِي بِمَا مَرَّ وَبِالعَكْسِ، ثُمَّ البِسْمَلَةُ لَيْسَتْ بِآيَةٍ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ عِنْدَ قُرَّاءِ
 المَدِينَةِ وَالبَصْرَةِ وَالسَّامِ، وَإِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ وَالتَّبَرُّكِ بِالإِبْتِدَاءِ بِهَا، كَمَا بُدِيَ بِهَا فِي كُلِّ
 أَمْرِ ذِي بَالٍ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يُجْهَرُوا بِهَا فِي الصَّلَاةِ، وَآيَةٌ عِنْدَ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَالكُوفَةِ؛ وَلِذَلِكَ
 يُجْهَرُونَ بِهَا، وَهُوَ الأَصْحَحُ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ تَرَكَهَا، فَقَدْ تَرَكَ مَائَةَ وَأَرْبَعِ
 عَشْرَةَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِذَا تُلِّيتُ، فَلَا بُدَّ مِنْ اتِّصَالِ المِيمِ بِالأَلَامِ مِنَ الجَلَالَةِ،

مَعَ حَذْفِ الهمزةِ بالتَّلْفِظِ، وَتَرْقِيقِ لَامِهَا، كَمَا مَرَّ، وَاتِّصَالَ هَائِهَا بِالرَّاءِ، وَنَوْنِ الرَّحْمَنِ بِرَاءِ الرَّحِيمِ، مَعَ حَذْفِ الهمزتينِ وَتَفخِيمِ الرَّاءِ مِنْهُمَا؛ لِعَدَمِ مَقْتَضِي التَّرْقِيقِ، وَإِدْغَامِ اللَّامِ مِنْهُمَا فِيهَا؛ لِأَنَّهَا مِنَ الحُرُوفِ الشَّمْسِيَّةِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ حُرُفًا: الدَّالُّ وَالطَّاءُ وَمَا بَيْنَهُمَا وَالتَّاءُ وَالثَّاءُ وَالنُّونُ^(٧٧)، فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ ابْتَدَأَ بِهَا فِي أَوَّلِ الكُتُبِ، قُلْتَ: لِوَجْهِه؛ الأَوَّلُ: لَمَّا كَانَ اللهُ تَعَالَى أَوَّلَ المَوْجُودَاتِ نَاسَبَ اسْمُهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ المَكْتُوبَاتِ، الثَّانِي: عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يَبْدَأْ بِاسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرٌ»^(٧٨)، الثَّلَاثُ: اقْتِدَاءً بِالكِتَابِ العَزِيزِ، الرَّابِعُ: اقْتِدَاءً بِدَوِّ^(٧٩) فِي التَّصْنِيفِ، الخَامِسُ: تَبَرُّكًا بِاسْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ تَسْمِيَتِهَا بِالبِسْمَلَةِ، قُلْتَ: وَجْهُ تَسْمِيَتِهَا بِهَا دَلَالَةٌ عَلَيْهَا، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ إِيدَاعِ اللَّفْظِ دَلَالَةً عَلَى المَعْنَى، وَهِيَ عِلْمٌ لَقَوْلِنَا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَالتَّهْلِيلِ^(٨٠)، وَالحَوْلَقَةِ^(٨١)، وَالتَّرْجِيعِ^(٨٢)، وَالحِيعَلَةِ^(٨٣)، فَإِنَّهَا أَعْلَامٌ لِمَعَانِيهَا، وَنظيرُهُ دَلَالَةُ التَّسْمِيَةِ عَلَى المُسَمَّى، كَالجِسْمِ فَإِنَّهُ اسْمٌ لِحِجَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهم أَخَذُوا المُسَمَّى وَجَعَلُوهُ صَدَرَ كُلِّ اسْمٍ مِنَ الحُرُوفِ الهِجَائِيَّةِ، قَصْدًا لِلدَّلَالَةِ الواضِحَةِ، فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ هِيَ مُبَاحَةٌ لِلاِسْتِعْمَالِ فِي جَمِيعِ الأَوَاقَاتِ عَلَى السُّوِيَّةِ أَمْ لا؟ قُلْتَ: لا، بَلْ قَدْ تُسْتَعْمَلُ وَجُوبًا، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ الصَّلَاةِ الواجِبَةِ، وَمُبَاحًا عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي الأُمُورِ وَالفِرَاقِ مِنْهَا، كالأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَتُكْرَهُ إِذَا اسْتَعْمَلَهَا الجُنُبُ، وَقَرَأَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِ آيَاتٍ، وَقِيلَ: سَبْعِينَ، وَيُحْرَمُ اسْتِعْمَالُهَا مَعَ العَزَائِمِ الأَرْبَعِ^(٨٤).

وَأَمَّا شَيْءٌ مِنْ فَضَائِلِهَا مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا قَالَ المُعَلِّمُ لِلصَّبِيِّ: قُلْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ الصَّبِيُّ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَتَبَ اللهُ بَرَاءَةً لِلصَّبِيِّ، وَبَرَاءَةً لِأَبُوَيْهِ، وَبَرَاءَةً لِلْمُعَلِّمِ»^(٨٥)، وَرُوِيَ عَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبُ إِلَى اسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ

مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَى بَيَاضِهَا»^(٨٦)، وَرُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ (عليه السلام): «مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، عَمَدُوا إِلَى أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَرَعَمُوا أَنَّمَا بَدَعَةٌ إِذَا أَظْهَرُوهَا»^(٨٧)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّبَانِيَّةِ التَّسْعَةَ عَشَرَ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِنَّهَا تِسْعَةٌ عَشَرَ حَرْفًا، فَيَجْعَلُ اللَّهُ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا جُنَّةً مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ»^(٨٨).

ثُمَّ اتَّفَقَ الْفَرَاغُ مِنْ تَسْوِيدِهَا فِي الْمَشْهَدِ الرَّضْوِيِّ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مِنْ عَاشِرِ الْعُشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ الثَّلَاثِ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْعُشْرِ الثَّامِنِ بَعْدَ مُضِيِّ الْحَاصِلِ مِنْ تَضْعِيفِ النُّونِ وَضَرْبِ الْحَاصِلِ مِنْهُ فِي بَازٍ^(٨٩)، مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى مُهَاجِرِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّحِيَّةِ، تَمَّ تَمَّ..

الهوامش

١- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، الهذليُّ، أبو عبد الرَّحْمَنِ: صحابيُّ، من أكابرهم، فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكَّة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأوَّل مَنْ جهر بقراءة القرآن بمكَّة. كان خادماً رسول الله الأمين، وصاحب سرِّه، ورفيقه في حلِّه وترحاله وغزواته، ولي بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ بيت مال الكوفة، ثمَّ قدم المدينة في حكم عثمان، فتوفِّي فيها عن نحو ستِّين عاماً. له (٨٤٨) حديثاً. وأورد الجاحظ (في البيان والتبيين) خطبة له، ومختارات من كلامه، توفِّي سنة (٣٢٢هـ)، للمزيد: يُنظر: الأعلام: ١٨٦/٥، والبيان والتبيين: ١١١/٢، وأنساب الأشراف، للبلاذري: ٢٠٤/١.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٢٠٧/٨٨، وإغاثة الطالبين، البكري الدمياطي: ١٠/١.

٣- يُنظر: تفسير مجاهد: ١٠/١، واللفظ نفسه في إحياء علوم الدين: ٣/٥١٥.

٤- يُنظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، قسم علوم القرآن، فقيه تفصيل لذلك.

٥- يُنظر: ٩٦/٨.

٦- الأحزاب: (٤٣).

٧- أخرج أحمد وأبو داود عن جندب بن عبد الله البجليِّ، قال: جاء أعرابيُّ، فأناخ راحلته، ثمَّ عقلها، ثمَّ صلى خلف رسول الله ﷺ، ثمَّ نادى: اللَّهُمَّ ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حضرتَ رحمةً واسعةً، إنَّ الله خلق مائة رحمة، فأنزل رحمةً يتعاطف بها الخلق، جنبها وإنسها وبهائمها، وعنده تسعة وتسعون». الدرُّ المشور: ١٣٠/٣.

٨- ابن خزيمة: هو محمَّد بن إسحاق بن خزيمة، السلميِّ، إمام نيسابور في عصره. كان فقيهاً مجتهداً، عالماً بالحديث. مولده ووفاته بنيسابور. رحل إلى العراق والشَّام والجزيرة

- ومصر، تزيد مصنفاته على (١٤٠)، منها كتاب: (التوحيد وإثبات صفة الرب)، طبع كبيراً وصغيراً، و (مختصر المختصر)، المسمى: (صحيح ابن خزيمة، طبع منه ثلاثة مجلدات، حققها الدكتور مصطفى الأعظمي. توفي سنة (٣١١هـ)، للمزيد في ترجمته يُنظر: فتح القدير، الشوكاني: ١/١٨، وله أخبار في المحلّي، لابن حزم: ٤٠٨/٩، وأدب الإملاء والاستملاء: ص ٦، والأعلام: ٢٩/٦.
- ٩- يُنظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي: ٣/١١٤٠، وسير أعلام النبلاء: ١٨/٢٨٩، وميزان الاعتدال: ١/٤٨٠، ولسان الميزان ابن حجر: ٢/١٩٣.
- ١٠- يُنظر: معجم المطبوعات العربيّة، إيلان سركيس: ١/٦٠٨؛ توفي سنة (٦٢٢هـ)، صاحب كتاب (شمس المعارف الكبرى)، وهو غير أحمد بن القاسم، الجزائري، (ت ١١٣٩هـ)، صاحب كتاب (خواصّ البسملة).
- ١١- يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ٨/١٦٥، والمحاضرات والمحاورات، للسيوطي: ص ١٥٩، وقد حققه عدنان عبد الرزاق في رسالة ماجستير من جامعة أم درمان بالسودان، وطبع في الإمارات سنة (١٤٢٥هـ)، وكشف الظنون: ٢/١٤٠٢، وهديّة العارفين، البغدادي: ١/٥٢٥، والبيان في تفسير القرآن، السيّد الخوئي: ص ١٥٥.
- ١٢- يُنظر: إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي: ٢/١٠٨.
- ١٣- يُنظر: الفهرس الشامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط، قسم علوم القرآن، ففيه تفصيلٌ لذلك.
- ١٤- يُنظر: معجم المؤلفين: ١/٢٧٣، والأعلام: ١/١٥٠، وقيل: إنّه من الحلة، يُنظر: مرآة الكتب: ص ٢.
- ١٥- صدر عن (مركز تراث البصرة)، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العباسيّة المقدّسة سنة ٢٠١٥م.
- ١٦- أبو الحسن، سعيد بن مسعدة، المعروف بالأخفش، كان مولى لبني مجاشع، أخذ النحو من سيّويه، توفي سنة (٢١٥هـ)، يُنظر: طبقات الزبيدي: ص ٧٤، ومراتب النحويين: ص ١٠٩، وشذرات الذهب: ٢/٣٩.
- ١٧- هو أبو إسحاق، إبراهيم بن السريّ الرّجاج، النّحويّ، اللّغويّ، ممّن صحّب المبرّد،

- توفي في سنة (٢١٠هـ)، للمزيد، يُنظر: تاريخ بغداد: ٨٩/٦، وإنباه الرواة: ٥٩/١، وطبقات الزبيدي: ص ١٢١، وشذرات الذهب: ٢٥٩/٢، والعبر: ١٤٨/١، ومعجم الأدباء: ١/١٣٠.
- ١٨- المُفسر المشهور محمود بن عمر، جار الله، الرَّحْشَرِيُّ، نسبة إلى زَمْخْشَر، من قرى خوارزم، عالم موسوعي مؤلف وشاعر، له من الكتب: الفائق في غريب الحديث، والكشاف عن حقائق التنزيل، وريبع الأبرار، وغيرها، توفي بخوارزم سنة (٥٣٨هـ)، يُنظر: خزانة الأدب: ١٥/٥، والأنساب: ١٤٣/٣، ومعجم البلدان: ١/١١، واللُّباب في تهذيب الأنساب: ٧٤/٢.
- ١٩- سراج الدِّين، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر محمد بن عليّ، الخوارزمي، الأديب، المشهور بـ (السَّكَّائِي)، له من التصانيف: كتاب (مفتاح العلوم) في النَّحو والأدب، وكتاب (الطلسم) فارسيّ، توفي في خوارزم سنة (٦٢٦هـ)، يُنظر: هديّة العارفين: ٥٥٣/٢، ومعجم المطبوعات العربيّة: ١/١٠٣٣، والأعلام: ٨/٢٢٢.
- ٢٠- أبو عمرو، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الرُّومِيّ، المصريّ، ثمّ الدَّمَشَقِيّ، ثمّ الإسكندرِيّ، الفقيه، النَّحْوِيّ، المعروف بـ (ابن الحاجب)، جمال الدِّين، ولد في صعيد مصر، قرأ على الشَّاطِبيّ. من آثاره: الأملِي، ومختصر الأصول، والشَّافِيَة في الصَّرف، والكافية في النَّحو، شرحها الرُّضِيّ الاسترأبادي، وتوفي بمصر سنة (٦٤٦هـ)، للمزيد في ترجمته، ينظر: معجم البلدان: ١/٤٩١، ووفيات الأعيان: ٣/٢٤٨، وبغية الوعاة: ١٣٤/٢، وهديّة العارفين: ١/٦٥٤.
- ٢١- هو الشَّيْخ جمال الدِّين، محمد بن عبد الله بن مالك، أبو عبد الله، الطائِيّ، الجيانيّ، النَّحْوِيّ، له تصانيف مشهورة، وأشهرها الألفِيَة في النَّحو، شرحها ولده بدر الدِّين، ولد بجيان أو حيان، وأقام في حلب، توفي بدمشق سنة (٦٢٦هـ)، يُنظر: الأعلام: ٣١/٧، والبداية والنَّهاية: ١٣/٣١٢.
- ٢٢- عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقَّب بـ (سيبويه)، تلميذ الخليل، صاحب الكتاب المشهور، توفي سنة (١٨٠هـ)، للمزيد من ترجمته، يُنظر: الكامل في التَّاريخ: ٦/٢٣٨، ووفيات الأعيان: ٣/٤٦٣، وتاريخ الإسلام: ١٥/١٦٦، والوفاء بالوفيات: ٨/٥، وغريب الحديث: ١/١٥٥.

٢٣- عبد الرحمن بن إسحاق، أبو القاسم الزّجاجي، النّحويّ، البغداديّ، سكن دمشق وحدث بها عن محمّد اليزيديّ، وعليّ بن سليمان الأخفش، والزّجاج، ونفطويه، وابن الأنباريّ، وغيرهم، من أشهر كتبه: كتاب (الجمل)، توفيّ سنة (٣٤٠هـ)، للمزيد، يُنظر: إنباه الرّواة: ١٦٢/٢، وطبقات الزّبيديّ: ص ١٢٩، وتأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة: ص ٦، ووفيات الأعيان: ٣١٧/٢، وإكمال الكمال، ابن ماكولا: ٢٠٦/٤، ونبيل الأوطار، للشّوكانيّ: ٢٢٧/٦، والأعلام: ٦٩/٤.

٢٤- مقدّمة المخطوطة.

٢٥- إشارة إلى الإسراء والمعراج.

٢٦- كناية عن ذكره ﷺ في الأذان والتشهد في الصّلاة.

٢٧- عترة الرّجل: أصله. وعترة الرّجل: أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمّه ذنباً، يُنظر: العين (عتر): ١/١٠٠، وعترة كلّ شيء: نصابه، وأصله، وفي المثل: (عادت لعتريها لميس). المحيط في اللّغة: ١/٧٩، وعترة الرّجل: نسله. جهرة اللّغة: ١/١٨٦.

٢٨- يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيّين: ١/٢٢. والاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيّز الفاعل والمفعول به)، يُنظر: الإيضاح في علل النّحو، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق، الزّجاجيّ: ص ٤٨، وذكر العكبريّ: أنّ للاسم سبع لغات، يُنظر: إملاء ما منّ به الرّحمن: ١/١٠٤.

٢٩- الهمزة من حروف عالم الشّهادة والملكوت، لها من المخارج أقصى الحلق، وعنده: أنّ الحروف قسم منها من عالم الشّهادة، وقسم من عالم الغيب، يُنظر: الفتوحات المكيّة: ص ٢٢٧.

٣٠- يقصد: كتاب (أسرار العربيّة)، لعبد الرحمن بن محمّد بن عميد الله، أبو البركات الأنباريّ (ت ٥٧٧هـ)، وقد طُبِع ثلاث مرّات، الأولى: في ليدن سنة (١٨٨٦م)، والثانية: بتحقيق محمّد بهجة البيطار من مطبعة التّركي بدمشق سنة (١٩٥٧م)، والثالثة: بتحقيق محمّد حسين شمس الدّين سنة (١٩٩٧م).

٣١- روى أبو زيد في نوادره: قال رجلٌ -زعموا أنّه من كلب-:

أَرْسَلَ فِيهَا بَازِلًا يُقَرِّمُهُ وَهُوَ بِهَا يَنْحُو طَرِيقًا يَعْلَمُهُ
بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سُمِّهُ

والبازل: البعير الذي انشق نابه، وهو في السنة التاسعة، و(يقرمه): يتركه عن الاستعمال، وهو من الشواهد النحوية، يُنظر: نوادر أبي زيد: ص ١٦٦، وورد الرجز بكسر السين في معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١ / ٣٩، وبين الزجاج: أن الألف في (ابن) للوصل، تقولُ في تصغيره: (بُني).

٣٢- ومنه قول الشاعر:

وعامنا أعجبنا مقدّمه يُدعى: أبا السّمح وقرضاب سُمه
والبيت في الإنصاف: ١ / ٢٢، بلا عزو، وقرضب الرجل: إذا أكل خبزاً يابساً.
٣٣- البيت لأبي خالد القناني، (شاعر أموي عاصر قطري بن الفجاءة)، لم أعر على سنة وفاته، وهو القائل:

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم ألق أمّ حكيم
من الخفّرات البيض لم يُر مثلهما شفاءً لذي بثّ ولا لسقيم
يُنظر: معجم شواهد العربيّة: ص ٦٦٧، والإنصاف: ١ / ٢١، وإصلاح المنطق: ص ١٣٤، وشرح المفصل: ١ / ٢٤، واللّسان: ١٤ / ٤٠١.

٣٤- مثل: ابن من بنو، واسم من سمو... الخ، أي: المحذوف أوّله أو آخره.

٣٥- يُريد همزة الوصل.

٣٦- الاسم: أصلُ تأسيسه؛ السّموّ، وألفُ الاسم زائدة، ونقصانه الواو، فإذا صغرت، قلت: سُمّي، وسميت، وأسّمت، وتسمّيت بكذا، قال:
باسم الذي في كلّ سورة سُمه

العين (سمو): ٧٧ / ٢. ويُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٤، لابن الأنباري، ففيه تفصيلٌ وافٍ لكلّ هذه الآراء.

٣٧- في هامش النسخة: ن. ل: لیسند به.

٣٨- هذه عبارة ابن الأنباري بتصرّف، يُنظر الإنصاف: ١ / ١٧.

٣٩- وهذا رأي ابن الأنباري وعبارته، يُنظر: الإنصاف: ١ / ٢١.

٤٠- يُنظر: الإنصاف: ١ / ٢١.

٤١- هكذا وردت.

٤٢- هكذا كُتبت في المخطوطة، كان الكتاب يُطوّلون الباء، وقد رُوي أنّ عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ)، قال لكتابه: «طوّلوا الباء، وأظهروا السّينات، ودوّروا الميم، وألحق بها ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾»، يُنظر: حلية الأولياء: ٢٥٣/٥، وكتاب البسملة للمقدسيّ: ص ٥٦٩، والأعلام: ٥٠/٥، وتفسير النَّسفيّ: ١٧/١.

٤٣- سورة العلق: (١).

٤٤- يُنظر: الكشّاف: ١٠/١، وبغية الوعاة: ٢٧٩/٢، ومعاني القرآن، للأخفش: ٢/١، وقد فصلّ الأخفش القول عن ألف (الوصل)، فقال: «فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً»، موصول؛ لأنك تقول: (ثبّتنا عشرة)، يُنظر: معاني القرآن: ٣/١.

٤٥- يُنظر: الكشّاف: ١٠/١.

٤٦- سورة النمل: (١٢).

٤٧- البيت لعدديّ بن ربيعة (٩٤ ق هـ)، الملقّب بـ(الزّير سالم) من أبيات يرثي أخاه مُهلِلاً:

صَرَرَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ	يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتَكَ الْأَوَاقِي
مَا أَرْجِي فِي الْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامِي	قَدْ أَرَاهُمْ سُقُوبًا بِكَأْسِ حَلَاقِي
إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْماً وَعِزْماً	وَحَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِي
حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَرْبَدٌ لَا يَنْدُ	فَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْثَةٌ رَاقِي
فَارِسٌ يَضْرِبُ الْكَتِيبَةَ بِالسَّيِّدِ	فِ دِرَاكٍ كَلَاعِبِ الْمِخْرَاقِي

يُنظر: الحماسة البصريّة: ١٠٣/١، والأوقاي: جمع واقية.

٤٨- البيت:

فقلتُ: إلى الطّعام، فقال منهم فريقي: يحسدُ الإنسَ الطّعاما
لتأبّط شراً بلفظ (نحسد النَّاسَ)، يُنظر: ديوان تأبّط شراً: ص ٢٥٦.

وهو الشّاهد رقم (٣٠٨) في ألفية ابن مالك، والشّاهد في البيت (يا عديّاً)، حيث اضطرّ الشّاعر إلى تنوين المنادى، ولم يكتفِ بذلك، بل نصبه مع كونه مفرداً علماً، ليُشابهه به المنادى المعرب المتّون بأصله، وهو النّكرة غير المقصودة.

وفي اللسان: «فقلتُ: إلى الطّعام، فقال منهم زعيم: نحسدُ الإنسَ الطّعاما»، على لسان

الجن، فهم يحسدون البشر على نعمة الطعام.
 ٤٩- الرِّفَاء والبنين يُدعى بهما للمتزوج، والرِّفَاء الالتحام والالتئام والاتِّفاق، ومنه أخذ رفاء الثوب، يُنظر: أدب الكاتب: ص ٥٠، وجمهرة الأمثال: ٣٠٦/١، وجمع الأمثال: ١/١٤٤، وموسوعة أمثال العرب: ٣/٣٢٠.

٥٠- سورة الفاتحة، (٤).

٥١- ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، سورة هود، (٤١).
 ٥٢- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا آبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، سورة الصافات: (١٠٢).
 ٥٣- ﴿الرَّانِيَّةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، سورة التور: (٢).

٥٤- مغني اللبيب: ١/١٠٣، وفيه: أن من فوائد الباء الاستعانة (ومنه باء البسملة)، ويُنظر: جمع البيان في تفسير القرآن: ١/٤٢.

٥٥- ﴿وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَيْغٌ لِلْأَكْلِيلِ﴾، سورة المؤمنون: (٢٢).
 ٥٦- وتباينت آراء العلماء في لفظ الجلالة (الله)، هل هو مشتق أو مرتجل؟ فقيل: إنه مرتجل، وإن الألف واللام لازمة له لا للتعريف، بدليل دخول (ياء) النداء عليه، وهو رأي الزجاجي، يُنظر: اشتقاق أسماء الله: ص ٢٣، ورأي سيويه: أنه مشتق من الفعل (لاه)، وشاهده قول ذي الأصبع العدواني:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسبٍ عني، ولا أنت ديسان فتخزوني
 والبيت في الديوان من قصيدة مطلعها:

يَا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الْهَمِّ مَحْزُونٍ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا أَمَّ هَارُونَ
 يُنظر: الديوان، بتحقيق عبد الوهاب محمد علي العدواني، ومحمد نائف الدليمي، الموصل: ص ٨٩.

وفيه: أن «لاه ابن عمك أصله: (الله در ابن عمك)، فحذف المضاف، وناب عنه المضاف إليه، وحذف من (الله) لام الجر والتي بعدها، كما ذكر السيوطي في شرح شواهد المغني:

- ١/ ٤٣٢، وورد البيت في معجم شواهد العربية: ص ٥٢٢.
- ٥٧- هو أبو الهيثم الرازي اللغوي، أحد أئمة العربية، له كتاب: (الشامل في اللغة)، وكتاب: (زيادات معاني القرآن)، وغير ذلك، وكان بارعاً في الأدب، توفي سنة ست وسبعين ومائتين. تاريخ الإسلام: ٤٩٩/٢٠.
- ٥٨- هكذا في الأصل، والصحيح: متحرّكتان.
- ٥٩- هكذا في الأصل، والصحيح: الأولى.
- ٦٠- سورة الكهف: (٣٨).
- ٦١- يحيى بن زياد بن عبد الله، الديلمي، أبو زكريا، كان أعلم الكوفيين بالنحو واللغة، أخذ النحو عن الكسائي وعن يونس، من أشهر مؤلفاته: (معاني القرآن)، و (المقصود والممدود)، وكان من ندماء الرشيد والمأمون، له أخبار مستفيضة في وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان: ج ٦، توفي سنة (٢٠٧هـ)، وهو في طريقه إلى مكة المكرمة، يُنظر المعارف: ص ٥٤٥، ونزهة الألباء: ص ٩٨، والبغية: ٣٣٣/٢، والأنساب: ص ٤٢٠، وتهذيب اللغة: ١/١٨، وشذرات الذهب: ٢/١٩، وطبقات الزبيدي: ص ١٤٣.
- ٦٢- وفي المقام الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، للشيخ إبراهيم الكفعمي، قال: «ويرى بعض العلماء: أن هذا الاسم المقدس يدل على الأسماء الحسنى كلها، التي هي تسعة وتسعون اسماً؛ لأنك إذا قسمت الاسم المقدس في علم الحروف على قسمين، كان كل قسم ثلاثة وثلاثين، فتضرب الثلاثة والثلاثين في حروف الاسم المقدس بعد إسقاط المكرر، وهي ثلاثة، تكون عدد الأسماء الحسنى». المقام الأسنى: ص ٢٧. ومعنى لاه: خفي، يُنظر اللسان (خفي)، وذكر الكفعمي: أن لفظ الله مشتق من وجوه، و«أن هذا الاسم الشريف دال على الذات المقدسة الموصوفة بجميع الكمالات، حتى لا يشدّ به شيء، وباقى أسمائه تعالى لا تدلّ أحادها إلا على آحاد المعاني، كالقادر على القدرة والعالم على العلم. أو فعل منسوب إلى الذات، مثل قولنا: الرحمن، فإنه اسم للذات مع اعتبار الرحمة، وكذا الرحيم والعليم. والخالق: اسم للذات مع اعتبار وصف وجودي خارجي. والقُدوس: اسم للذات مع وصف سلبي، أعني: التّقدس، الذي هو التّطهير عن النقائص. والباقي: اسم للذات مع نسبة وإضافة،

- أعني: البقاء، وهو نسبة بين الوجود والأزمنة؛ إذ هو استمرار الوجود في الأزمنة. والأبدِيّ: هو المستمرّ في جميع الأزمنة، فالباقي أعمّ منه. والأزليّ: هو الذي قارن وجوده جميع الأزمنة الماضية المحقّقة والمقدّرة. المقام الأسنى: ص ٢٦.
- ٦٣- في الأصل: والحذف والمعوّض عنه، وما أثبتناه أوفىّ بالسِّياق.
- ٦٤- الاشتقاق الجعليّ كأنّ نقول: استحجر الطين، واستنوق الجمل.
- ٦٥- يُنظر: مفتاح العلوم: ص ١٥، وقال الزّجاج: «سَقَطَتِ الألف من (بسم الله) في اللَّفظ، وكان الأصل: (باسم الله)؛ لأنها ألف وصل، دخلتْ لِيُتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى النُّطْقِ بالسَّاكِنِ، والدَّلِيلُ على ذلك: أنّك إِذَا صَغَّرْتَ الاسمَ، قلتَ: سُمِّيَّ، والعرب تقول: هَذَا إِسْمٌ، وهذا أُسْمٌ، وهذا سِمٌّ، يُنظر: معاني القرآن: ١/ ٣٩.
- ٦٦- ويروى: بخارجة، بدل: بارزة، يُنظر: المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى: ص ٢٥، ولمْ أعثر على قائله.
- ٦٧- يُنظر: الكتاب: ١/ ٣٩.
- ٦٨- ذكر الطّوسيّ في التّبيان: «أنّ الرّحمن والرّحيم اسمان مشتقان من الرّحمة، وهي النّعمة التي يُستحقّ بها العبادة، وهما موضوعان للمبالغة، وفي رحمان خاصّة يختصّ الله بها، وقيل: إنّ تلك المزيّة من حيث فعل النّعمة التي يستحقّ بها العبادة، لا يُشاركه في هذا المعنى سواه». التّبيان: ١/ ٢٨.
- ٦٩- كان مسيلمة أطلق على نفسه (رحمن الياومة)، وأيدته بنو حنيفة، وهم قومه، وهو مسيلمة الكذاب، واسمه الحقيقيّ مسلمة بن حبيب الحنفيّ، من بني حنيفة، أو مسيلمة بن ثامة بن كثير بن حبيب الحنفيّ، كان أشهر الذين ادّعوا النّبوة في زمن النّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. وأطلق الأسود العنسيّ على نفسه رحمن اليمن، يُنظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١١/ ٢٩.
- ٧٠- التّحرير تعني: الفطن والعاقل، يُنظر: اللّسان (نحر).
- ٧١- الطّبن بفتح الطّاء والباء: الفطنة للخير، والتّبن للشرّ، ورجلٌ طبنٌ: فطنٌ حاذقٌ عالمٌ بكلّ شيءٍ. يُنظر اللّسان (طبن): ٧/ ١٣٢.
- ٧٢- النّطاسيّ: الماهر والحاذق.
- ٧٣- التّقريس: الدّليل الحاذق.

- ٧٤- هي: العدد، والنوع، والإعراب، والتنكير والتعريف.
- ٧٥- يُنظر: الكشاف (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل): ص ٢٥، والأعلم يُريد به: الأعلم الشتمري.
- ٧٦- هكذا فهمتُ العبارة وأثبتتها.
- ٧٧- الحروف الشمسية أربعة عشر، وهي: (ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن)، والقمرية مجموعة في عبارة: (إبغ حجك وخف عقيمه).
- ٧٨- بحار الأنوار: ٣٠٥ / ٧٣، والذّرّ المنثور، للسيوطي: ١٠ / ١.
- ٧٩- (بدو) هكذا وردت.
- ٨٠- التهليل: هو قول: لا إله إلا الله.
- ٨١- والحوقة أيضاً، وهي قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.
- ٨٢- الترجيع هو قول: إنا لله وإنا إليه راجعون.
- ٨٣- حيعل، حيعلة، فهو مُحْيَعَل، حَيْعَلُ الْمُؤَدَّنُ: قال: حَيَّ عَلَى الصَّلَاة.
- ٨٤- سور العزائم الأربع هي: سورة السجدة، وسورة فُصِّلَتْ، وسورة النجم، وسورة العلق، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ بالعزائم؛ لأنَّ سجدة التلاوة فيها واجبة.
- ٨٥- بحار الأنوار: ٢٥٧ / ٨٩، ويُنظر: تفسير سورة الفاتحة، وأسرار (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، محيي الدين بن عربي: ص ١٠٧، قال: إِنَّ بِسْمِ اللَّهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ تَفْسِيرٌ عَلَى حِدَةٍ.
- ٨٦- تفسير العياشي: ٣٥ / ١، وبحار الأنوار: ٢٣٣ / ٨٩.
- ٨٧- بحار الأنوار: ٢١ / ٨٢، وفي ذيل الحديث: «وهي (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)».
- ٨٨- بحار الأنوار: ٢٥٧ / ٨٩.
- ٨٩- يعني ذلك: أن تاريخ الفراغ من كتابة المخطوطة كان في مطلع الشهر الثالث من سنة (١٠٧٣) هجرية.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- ٣- أدب الإملاء والاستملاء، السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ١٩٨٩ م.
- ٤- أدب الكاتب، مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، محمد الدالي، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦ م.
- ٥- أدب الكتاب، أبو بكر، محمد بن يحيى، الصولي (ت ٣٣٦ هـ)، تحقيق: محمد بهجت الأثري، بنظر وتعليق: محمود شكري الألوسي، المكتبة العربية، بغداد، والمطبعة السلفية بمصر، ١٣٤١ هـ.
- ٦- اشتقاق أسماء الله، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق، الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، ط ١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩ م.
- ٧- إصلاح المنطق، يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط ١، دار المعارف، مصر، ١٩٨٧ م.
- ٨- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦ م)، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ١٩٧٩ م.
- ٩- إكمال الكمال، ابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ١٠- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف، القفطي (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢ م.
- ١١- إملاء ما من به الرحمن، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين، أبو

- البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ١٣- إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، تصحيح: رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط.)، (د.ت).
- ١٤- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق، الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق: مازن المبارك، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- ١٥- بحار الأنوار، المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: إبراهيم الميانجي، ومحمد باقر البهبودي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ١٦- البداية والنهاية، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م.
- ١٧- البسملة، شهاب الدين، أبو محمد المقدسي (ت ٦٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان عبد الرزاق الحموي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٥ م.
- ١٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ١٩- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر، محمد بن الحسن، الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د.ت).
- ٢٠- البيان والتبيين، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسن السندوي، ط ٢، دار إحياء العلوم بيروت، ١٩٩٩ م.
- ٢١- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣١ م.
- ٢٢- تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (د.ت).
- ٢٣- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ٢٤- تذكرة الحفاظ، الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دائرة المعارف العثمانية، ط ٣، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٧ م.
- ٢٥- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)، دار الفكر للطباعة

- والنَّشر، (د.ت).
- ٢٦- تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عيَّاش، السَّلَمِيُّ، السَّمَرَقَنْدِيُّ (ت ٣٢٠هـ) مؤسَّسة الأعلَمِيَّ للمطبوعات، بيروت ١٩٩١م.
- ٢٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السَّلَامَة، دار طيبة، ١٩٩٩م.
- ٢٨- تفسير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد، النَّسْفِيُّ (ت ٧١٠هـ)، تقديم: قاسم الرَّفَاعِيَّ، ط ١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.
- ٢٩- جهرة أمثال العرب، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد الحميد قطامش، المؤسَّسة العربيَّة الحديثَّة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٣٠- جهرة اللُّغة، محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ١٩٨٧م.
- ٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير، الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، أبو فهر-أحمد شاكر أبو الأشبال، (د.ت).
- ٣٢- الحماسة البصريَّة، علي بن الحسن البصري (توفي حدود ٦٥٩هـ)، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، ط ١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٩م.
- ٣٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، أحمد، الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، ط ١، مطبعة السَّعادة، مصر، ١٩٣٣م.
- ٣٤- خزانة الأدب، البغدادي (ت ١٠٩٢هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وأميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
- ٣٥- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدِّين السَّيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنَّشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- ٣٦- ديوان تأبط شرًّا وأخباره، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
- ٣٧- ديوان ذي الإصبع العدواني، حرثان بن محرث (ت ٢٥هـ)، تحقيق: عبد الوهَّاب علي محمد العدواني، ومحمد نائف الدَّليمي، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٣م.
- ٣٨- سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدِّين المنجد وآخرين، دار

- المعارف بمصر، ١٩٦٢م.
- ٣٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، مكتبة القدس القاهرة، ١٣٥٠هـ.
- ٤٠- الصّاحبيّ في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشّومي، ط١، مؤسّسة بدران، ١٩٦٣م.
- ٤١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، القشيريّ (ت ٢٦١هـ) دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- ٤٢- طبقات النّحويّين واللّغويّين، أبو بكر، محمّد بن الحسن، الزّبيديّ (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٤م.
- ٤٣- العبر في أخبار من عبّر، الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: فؤاد السيّد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦١م.
- ٤٤- العين، أبو عبد الرّحمن، الخليل بن أحمد، الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السّامرائيّ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- ٤٥- غريب الحديث، ابن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: محمّد عبد المعيد خان، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ.
- ٤٦- الفتوحات المكيّة، محيي الدّين بن عربي (ت ٦٣٨هـ)، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٥م.
- ٤٧- الفهرس الشّامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط، مؤسّسة آل البيت (ع)، ١٩٨٧م.
- ٤٨- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار التاريخ، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ٤٩- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، جار الله الزّخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٦م.
- ٥٠- اللّباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير الجزريّ (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ٥١- مجمع الأمثال، أبو الحسن الميدانيّ (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط٢، مطبعة السّعادة، مصر، ١٩٥٩م.

- ٥٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي، الفضل بن الحسن، الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٥٥ م.
- ٥٣- المحلّ، ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الفكر، (د.ت).
- ٥٤- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٥ م.
- ٥٥- مرآة الكتب، علي بن موسى بن محمد بن شفيع (ت ١٣٣٠ هـ)، تحقيق: محمد علي، ط ١، مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٤٠٠ هـ.
- ٥٦- المعارف، ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، ط ٢، مطابع دار المعارف، مصر، ١٩٦٩ م.
- ٥٧- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- ٥٨- معاني القرآن، أبو زكريا، يحيى بن زياد لقرء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥ م.
- ٥٩- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري سهل، الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط ١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م.
- ٦٠- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار المامون، القاهرة، ١٩٣٦ م.
- ٦١- معجم شواهد العربية، عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٢ م.
- ٦٢- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (ت ١٣٩٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٦٣- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف، الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٩٨٧ م.
- ٦٤- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، ط ٢، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م.
- ٦٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، ط ٤، دار الساقى، ٢٠٠١ م.
- ٦٦- المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنی، تقي الدين بن إبراهيم بن علي، الكفعمي

- (من أعلام القرن التاسع الهجري)، تحقيق: فارس الحسون، ١٤١٠هـ.
- ٦٧- موسوعة أمثال العرب، د. أميل بديع يعقوب، دار الجليل، بيروت.
- ٦٨- كتاب المناهج، مهذب الدين البصري (كان حياً سنة ١٠٩٠هـ)، تحقيق: توفيق الحجّاج وقاسم خلف السكيني، ط ١، مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة- العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٥م.
- ٦٩- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، جمع ونشر: حسين الأعلمي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م.
- ٧٠- النوادر في اللغة، سعيد بن أوس، أبو زيد، الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: سعيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٤م.
- ٧١- نيل الأوطار، الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، دار الجليل، بيروت لبنان، ١٩٧٣م.
- ٧٢- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ٧٣- الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك، الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ٢٠٠٠م.
- ٧٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد، المعروف بابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

مِنْ أَعْلَامِ البَصْرَةِ: اللُّغَوِيُّ والنَّحْوِيُّ
(أَبُو الفَضْلِ الرِّيَاشِيِّ)

Abu Al-Fadhl Al-Riyashy:

A Distinguished Basrah Linguist and
Grammarians

م. د. عمّار غالي سلمان
مديريّة التّربية في البصرة

Dr. Ammar Gh. Salman

Lecturer

Directorate of Education, Basrah

ملخصُ البحث

تناولَ البحثُ عالماً من أعلامِ البصرة (... - ٢٥٧هـ)، شهد له الكثير من العلماءِ بالفضل والعلم. ولد في البصرة، واعتنق المذهب البصريَّ في النحو، وكان مؤمناً بأحقيَّة رِوَاه. وقد جاءَ بحثنا لِيُسلِّطَ الضَّوءَ على سيرة ذلك العالم وأثره العلميِّ، فاتَّسَقَ البحثُ بمقدِّمةٍ تضمَّنَت إمامةً يسيرةً عن البصرة وحياتها العلميَّة، ثمَّ التعرِيفَ ببعض العلماء الذين سكنوها؛ ليأتيَ قسماً البحث، فيختصُّ القسم الأوَّل بالتعرِيف بالسيرة الذاتية لأبي الفضل الرِّياشيِّ - بصورةٍ مقتضبةٍ - والآخر ليختصَّ بسيرة الرِّياشيِّ العلميَّة، وجاءَ على ثلاثة مباحث؛ تكفَّلَ المبحث الأوَّل بشعر الرِّياشيِّ، وقد جمعتُ فيه ما وقع تحت يدي من شعره؛ ثمَّ جاءَ المبحث الثاني ليتناول رِوَى الرِّياشيِّ المعجميَّة، وآراءه التي بُثَّت في الكتب المعجميَّة؛ وقد أوضحتُ الاختلافات التي رآها الرِّياشيِّ، التي عدَّت أصلاً يُؤخَذُ به، بعد ذلك جاءَ المبحث الثالث ليختصَّ بالحديث عمَّا رآه الرِّياشيِّ في جملةٍ من القضايا النحويَّة؛ موضحين - بعد ذلك - أهمَّ النتائج التي توصلَ إليها البحث، ومنها أن الرِّياشيِّ لم يكن راويةً للشعر العربيِّ وحسب، بل كان شاعراً، وله الكثير من القصائد الجياد؛ وكان متأثراً بمدرسة البصرة اللُّغويَّة؛ ومؤمناً بأحقيَّة آراء أساتذتها، على الرُّغم من مخالفته لهم في بعض الآراء؛ وعلى الرُّغم

من عدم وصول شيء من كتبه ومؤلفاته، إلا إننا نجد بالإمكان جمع آرائه المتفرقة في الكتب وإخراجها بكتابٍ خاصٍّ به، إلى غير ذلك مما سيجده القارئ في طيات البحث، وقد أُلحِقَ البحثُ بثبوتٍ للهوامش، بعده قائمة المصادر والمراجع.

Abstract

The present paper is about a prominent Basra scholar (--- – 257 of Hijra). He adopted the principles of Basra School of Grammar and was a deep believer of the precedence of his visions. The paper gives in the introduction a summary of Basra and its eminent scholars. Then follows an outline of Al-Riyashy biography including his scholarly career. He is highlighted as a poet, a lexicographer, and a grammarian. It is concluded that Al-Riyashy is a capable poet through the poems gathered. He was profoundly influenced by Basra School of Language. His various views could be gathered in a book or books due to their importance.

مقدمة

تُعدّ البصرة من بين أكبر المدن التي مَصَّرها المسلمون؛ وقد ذُكر في سبب تسميتها آراء متعدّدة من بينها أنّ البصرة سُمّيت نسبةً إلى اسمٍ معرَّبٍ من أصل (بس رآه)؛ ومعناه الأرض ذات الطُّرق الكثيرة والمتشعبة، التي انشعبت منها أماكن مختلفة ومتعدّدة^(١)؛ وعُرفت البصرة -فيما بعد- من بين أفضل المنازل الصّالحة للسُّكنى، وكذلك عُرفت بكثرة الماء والكلاء؛ فهي أرض قريبة من المشارب والمراعي^(٢).

وقد اجتمع فيها النّاس من كلّ حدبٍ وصوبٍ؛ وازدهر فيها العلم، وانتشرت فيها مواطن العلم والمعرفة. وقد اشتهرت بمراكز ثقافيّة، ومن أهمّها موقعين ثقافيين؛ أولهما: المسجد الجامع؛ وثانيهما المربد؛ وهو موضع كان معروفاً عند العرب قبل تمصير البصرة؛ إذ كان يُمثّل مكان استراحة المسافرين؛ فهو يُطلق على كلّ مكانٍ حُبِسَتْ فيه الإبل؛ لذا قيل عنه: مَرَبَدُ النِّعَمِ؛ ثمّ تحوّل إلى سوق للإبل والدّواب^(٣).

ولقد تعاضد هذان المركزان على نشر الثّقافة والدّعوة إلى العلم؛ فتلاقحت الأفكار فيها، وتلاقّت الآراء، وتفاعلت الحضارات؛ لذا صيغت العقليّة البصريّة بصيغةٍ مركّبةٍ؛ إذ إنّها لم تكن بالعقليّة العربيّة الخالصة؛ ولا هي بالأجنبيّة الخالصة؛

بل تثلث بالتمازج والانصهار؛ فكانت مزيجاً بين هذه وتلك؛ بيد أن الطابع العربي كان الغالب؛ لأن العربية لغة القرآن الكريم، ولغة الدولة -آنذاك-^(٤).
وقد شهد مسجد البصرة الجامع مجالس قراء القرآن ومجالس علماء اللغة والنحو؛ واختلف طلاب العلم إلى تلك المجالس، وازدهموا عليها؛ ومن بين العلماء الذين عرفوا بتدريس القراءات أبو عمرو بن العلاء، الذي شهد ازدحام الطلاب على حلقاته؛ حتى وصفه من رأى حلقاته المتوافرة وعكوف الطلاب عليها قائلاً: «...كأد العلماء أن يكونوا أرباباً»^(٥).

وقد شهد المسجد الجامع -أيضاً- حلقة مكتظة بطلاب العلم وأهل الفضيلة؛ حتى أن الطلاب يزدحمون في اتخاذ مجالس لهم فيها؛ هذه الحلقة كان شيخها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد انكشفت من حولها الحلقات الأخرى؛ وتصاغرَتْ دونها دروس العلم؛ إذ بلغت الغاية في التدريس والمذاكرة للعلم؛ وقد وصلت أعلى المراتب في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه؛ وأستاذها أول من استنبط علم العروض؛ وحصر أشعار العرب به؛ وهو أول من عمل كتاباً معجمياً سماه العين، الذي تهيأ له به ضبط اللغة؛ وكان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم^(٦).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل عرفت البصرة بعلماء أفذاذ كان من بينهم عبد الملك بن قريب الأصمعي، وهو صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والمُلح، وقد أخذ عن عددٍ من الأساتذة، من بينهم شعبة بن الحجاج، والحمّادين، ويعقوب بن محمّد، وغيرهم^(٧). وقد عُرف بمكانة علمية سامية، قيل: إنّه حفظ ستّة عشر ألف أرجوزة؛ وقيل: أنّه ما عبر أحد عن العرب بمثل

عبارة الأصمعي^(٨).

ولكثرة علمه وغازاته، عُرف بكثرة مريديه واتّساع رقعة حلقاته؛ فقد تتلمذ على يديه الكثير من العلماء، من بينهم: القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأحمد بن محمد اليزيدي، ونصر بن عليّ الجهضمي، ورجاء بن الجارود، وأبو الفضل، العباس بن الفرج الرياشي^(٩).

والرياشي، هو أحد أعلام الفكر البصري؛ وقد عُرف بكثرة روايته عن الأصمعي، حتى عدّ من بين تلامذته النابهين^(١٠). ولم يقف الرياشي عند علم اللغة وحسب؛ بل عُرف بمكانته العلمية المرموقة، وتمكّنه من كلّ مفاصل علوم اللغة - أعني: النحو والصرف-، وقد شهد أبو عثمان المازني بتبحره في علم النحو؛ إذ يقول: «قرأ الرياشي عليّ كتاب سيبويه، فاستفدتُ منه أكثر مما استفاد مني»^(١١).

مما تقدّم يتّضح أنّ الرياشي كان عالماً موسوعياً، تنقل بين علم النحو والصرف، وله رؤاه في الدلالة المعجمية للألفاظ، وأغرم بقول الشعر وحفظ شعر الآخرين وروايته. وللتعرّف على حياته عن كثب، ارتأينا أن نُقسّم البحث على قسمين؛ يشمل القسم الأوّل الحديث عن سيرة الرياشي الذاتية؛ أمّا القسم الثاني، فسيكون معنياً بسيرة الرياشي العلمية ورؤاه التي ذكرتها الكتب ونسبتها إليه.

القسم الأول: السيرة الذاتية لأبي الفضل الرياشي

١ - اسمُه وكنيته ولقبُه:

هو العباس بن الفرَج؛ ويكنى بـ(أبي الفضل)^(١٢)؛ وهي كنيةٌ وقع اتفاقٌ من ترجم له عليها. عُرف بلقب (الرياشي)، بكسر الراء وفتح الياء وبعد الألف شيئاً معجمة^(١٣)؛ ويبدو أن لقبه جاءه من أبيه؛ فرياش «هو اسم رجلٍ من جذام، وكان والد المتسبب إليه عبداً له، فُسبب إليه»^(١٤). وإذا كان أبو الرياشي مولياً لرجلٍ من جذام، فإن الرياشي كان مولياً لمحمد بن سليمان بن عليّ، البصري^(١٥)؛ واختلف في نسبة الأخير، فقيل: نسبه الهاشمي^(١٦)؛ ورأي آخر أن نسبه يرجع إلى العباس، فهو محمد بن سليمان بن عبدالله بن العباس ابن عبد المطلب^(١٧). وهناك من رأى أن ريش مولى (عباسة) زوجة محمد بن سليمان الهاشمي^(١٨)، فالتحصّل أن الرياشي كان بصرياً، ومولياً للعرب هو ووالده.

وقد عُرف الرياشي بحبه للعلم وشغفه به، وقد طلب العلم من أساطين العلماء في عصره؛ فتلمذ على عددٍ غير قليلٍ من حملة العلم، فمن بين الذين تتلمذ عليهم الأصمعيّ، وغيره من العلماء^(١٩)؛ أمّا أبو عثمان المازنيّ، فقد أخذ عنه الرياشيّ النحو؛ إذ قرأ عليه كتاب سيبويه^(٢٠). والمدقق في حياة الرياشي يجد أنه كثير الرواية عن الأصمعيّ، شديد الالتصاق به، حتى وُصف بأنه راوية للأصمعيّ^(٢١).

ووصف الرياشي بسعة علمه باللّغة والشعر؛ فلا غرو أن يكثُر مريدوه

والآخذون عنه؛ فقد تتلمذ على يديه جمعٌ كثيرٌ، وأبرزهم: أبو العباس، محمد بن يزيد المبرِّد؛ وأبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد، الأزدي، وغيرهما الكثير^(٢٢).

٢- تصانيفه:

لقد ذُكرَ مَنْ ترجمَ للرِّياشيِّ سعةَ علمه واتِّساعَ حفظه؛ فقد نُقلَ أنَّه: « كان يحفظُ كُتُبَ أبي زيد وكتب الأصمعيِّ كلِّها »^(٢٣). وقد صنَّفَ الرِّياشيُّ جملةَ تصانيف، فُقِدَتْ جميعها، ولم يصل إلينا إلاَّ أسماؤها؛ وهي^(٢٤):

أ- كتاب الخيل.

ب- كتاب الإبل.

ج- كتاب ما اختلفَ أسماؤه من كلام العرب.

٣- مكانته العلميَّة:

لقد ذُكرَ كلُّ مَنْ ترجمَ حياةَ الرِّياشيِّ طرفاً تنمَّ عن مكانته العلميَّة وسبقه الثَّقافي؛ فقد نقل أبو بكر الزبيديُّ روايةً عن الرِّياشيِّ نفسه أنَّه قال: « تحفَّظتُ كُتُبَ أبي زيد ودرستُها؛ إلاَّ أنِّي لم أجالسه مجالستي للأصمعيِّ؛ وأمَّا كُتُبُ الأصمعيِّ، فإنِّي حفظتها لكثرة ما كانت تتردَّد على سمعي، لطول مجالستي له »^(٢٥).

فالرواية في ظاهرها توضِّح مدى تمكُّن الرِّياشيِّ من علم اللِّغة؛ لأنَّ حفظ كتب أبي زيد والأصمعيِّ يعني حفظ أكثر كتب اللِّغة؛ ثمَّ إنَّ الرواية ذكرت (تحفَّظت)، وهذا يبيِّن مدى شدَّة تعلق الرِّياشيِّ بالعلم واستيعابه مضامين ما حفظ.

وقد تتلمذ الرِّياشيُّ على أبي عثمان المازنيِّ بالنَّحو المتمثِّل بقراءة الرِّياشيِّ لكتاب سيبويه عليه؛ يقول المازنيُّ في ذلك: « قرأ عليَّ الرِّياشيُّ الكتاب، وهو أعلمُ به

منّي»^(٢٦). وفي قول المازنيّ تصريح واضح بتفوق الرّياشيّ بإدّة الكتاب خاصّة؛ وهو تفوق يجزّ إلى التفوق في النّحو العربيّ بعامّة؛ لأنّ كتاب سيبويه يُمثّل البلغة في مادّة النّحو العربيّ.

ووصفه السّيرافيّ بأنّه كان عالماً باللّغة والشّعْر^(٢٧). وكان أبو العبّاس ثعلب يُجِلّه ويُفضّله على كثيرٍ من أهل العلم^(٢٨). وقد نقلَ محمد بن عبد السلام الحُشَنيّ: أنّه رأى إِعظام أبي حاتم للرّياشيّ؛ فيقول: «وأشهدُ لرأيتُ أبا حاتم يكفر بين يدي الرّياشيّ ويعظّمه ويُجِلّه؛ وكان أبو حاتم أسنَّ من الرّياشيّ بسنة، ولكنّه كان يُعطيهِ الحقَّ لفضله عليه، وما هو فيه»^(٢٩).

وقد وصفه أحد المؤرّخين بأنّه النّحويّ صاحب العربيّة^(٣٠)؛ وهو وصفٌ ينمُّ عن مكانةٍ مرموقةٍ للموصوف، وتمكّن من اختصاصه.

ووصفه الخطيب البغداديّ، قائلاً: «كان من الأدب وعلم النّحو بمحلّ عالٍ...»^(٣١)، وهذا الوصف يدلُّ على موسوعيّة الرّياشيّ في علوم اللّغة بعامّة؛ لأنّ الوصف جمّع شقّي اللّغة المتمثّلين بالنّحو والأدب - شعراً ونثراً -.

وكثيراً ما نُصّب الرّياشيّ حكماً لغويّاً لتحديد الصّحيح الذي وقع فيه اختلاف بين أكابر العلماء؛ فقد وقع خلاف بين أهل اللّغة في مفردة (جرج)؛ ف قيل في معناه: الأرض الغليظة؛ وأرض جرجة - بالجيم - : ذات الحجارة؛ وجواد الطّريق^(٣٢). وقد اختار أبو زيد الجيم في (جرج)؛ أمّا الأصمعيّ، فقد اختار الخاء فيها (خرجة الطّريق)^(٣٣)؛ وعندما سُئل الرّياشيّ، صحّح رأي الأصمعيّ على سواه^(٣٤).

ومن بين المواضيع التي وقع فيها الاختلاف، وكان للرّياشيّ رأي تحكيميّ؛ لفظ (حنبج) - بالحاء -، قيل: معناه: البخيل؛ والحنبج: أضخم القمل؛ وهو

الضخم الممتليء من كل شيء^(٣٥)، وقد وقع شبه اتفاق بين علماء اللغة على أن اللفظة تبدأ بالحاء، إلا إن الأصمعيّ -خلافاً للغويّين- يقول بالحاء، والخبج -بالحاء والجيم- عنده القمل^(٣٦)؛ إلا إن الرياشيّ يحكم للأصمعيّ بالصواب؛ إذ يقول: «... والصواب عندنا ما قال الأصمعيّ»^(٣٧). ثم إنه عرّف عن الرياشيّ حرصه الشديد على الصحيح من اللغة، ورفضه ما كان يقع من أخطاء الرواة وتصحيقاتهم؛ فقد سُئل الرياشيّ في معنى (مُحَارَف)، الوارد في قول ابن مسعود: «موت المؤمن بعرق الجبين، تبقى عليه البقية من الذنوب، فيُحَارَف بها عند الموت»^(٣٨)؛ فأجاب: مُحَارَف بمعنى: يُقَايَس؛ ولكنه عندما سمع من سألته عن المعنى يقرأه (يُجَازِف لا يُحَارَف)، رفض التصحيح، قائلاً: «يأخذون هذا فيروونها عني هكذا»^(٣٩). مما تقدّم، يتّضح أن الرياشيّ كان على مرتبة علمية عالية، ومن بين العلماء المهتمين باللغة والمحافظة عليها.

٤- مذهبه اللغويّ والدينيّ:

وُلد الرياشيّ في البصرة وإليها نُسب^(٤٠)؛ وكان مهتماً بآراء مدرسة البصرة، ومقدّماً إياهم على غيرهم؛ فقد نُقل عن أبي زيد بن دريد: أنه رأى رجلاً في الوراقين بالبصرة، وهو يُفَضِّل كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكّيت؛ ويُقدّم الكوفيّين على غيرهم؛ وعندما استشير الرياشيّ فيما قاله الرجل؛ أجاب، قائلاً: «إنّنا أخذنا -نحن- اللغة عن حرشة الصّباب، وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السّواد وأصحاب الكوامخ»^(٤١)؛ فالرياشيّ يُريد في قوله أن يؤصّل لقضية مهمّة، وهي أنّ اللغة يجب أن تُؤخذ من أصولها؛ وبهذا يكون الاستدلال بأقوال أهل اللغة الأُصلاء، الذين لم يُحاطوا الأقوام الأخر واجب

على مَنْ يمتهن اللّغة؛ وأمّا مَنْ سمع من غير أهل اللّغة، فلا يُعتدُّ بقوله؛ وإنّه يُلمّح -أيضاً- إلى أنّ اللّغة التي عند الأصلاء هي اللّغة الصّحيحة، التي تُمثّل اللّغة الأمّ؛ وبهذا تكون اللّغة ولهجاتها على ألسنة الأصلاء صحيحة دائماً؛ وفي قوله يؤسّس لقضيّة عصر الاحتجاج وأماكنه؛ فالبدو الرّحل هم أهل اللّغة، وقولهم حجّة يجب التمسك به؛ وزمانهم هو زمان الاحتجاج؛ وعندما استوطنوا المدن، فإنهم خرجوا عن قاعدة الاحتجاج. وأمّا قوله: (أخذنا -نحن-)، فإنّه يُصرّح فيه بانتهاه إلى المدرسة البصريّة وتمسّكه بها، واعتقاده القاطع بأحقّيتها، وصحّة منهجها الذي اختطّه لها زعماء المدرسة.

وقد عرّف الريّاشيُّ بموسوعيّته لجميع العلوم اللّغويّة، فلم يُخصّص بقسمٍ دون آخر؛ وهذا القول شهد به مَنْ عاصره؛ فقد نُقل عن محمّد بن عبد السّلام الحنسيّ، قوله: « كان المازنيُّ في الإعراب، وأبو حاتم في الشّعر والرّواية؛ وكان الريّاشيُّ في الجميع؛ وكان أهل البصرة إذا اختلفوا في شيءٍ، قالوا ما قال فيه أبو الفضل؟ فانقادوا لقوله وروايته »^(٤٢)؛ فالنّصّ المتقدّم واضح الدّلالة على مكانته بين أبناء مدينته؛ فقد جعلوه حكماً بينهم، يؤخذ بقوله، ويُستنار برأيه؛ وهذا القول يُثبت مذهبه اللّغويّ الذي تمسّك به، وسَمّته الذي سار عليه؛ فهو بصريُّ المولد والفكر والاعتقاد.

أمّا مذهبه الدّينيّ، فقد كان الريّاشيُّ مسلماً، ولم يصرّح بمعتقده؛ وأكثر مَنْ ترجم له لم يذكروا معتقده الدّينيّ؛ وإنّما ذكّر ما له من فضلٍ في علوم اللّغة والأدب؛ إلّا أنّ السّمعانيّ في كتابه (الأنساب)، زعم بأنّ الريّاشيّ كان من أهل السّنة^(٤٣)، ولم يذكر لنا دليلاً على ما قال، في حين ذكر أبو بكر الزّبيديّ: أنّ ولاء

العبّاس بن الفرّج الرّياشيّ كان لبني هاشم؛ وأمّا دليله في هذا، فيستند إلى قصّة عبوديّة أبيه، فيقول: «وإنّما كان أبوه عبداً لرجلٍ يُقال له: رِياش، فباعه من رجلٍ من بني هاشم، فأعتقه الهاشميُّ»^(٤٤)؛ فالرواية كأنّها تُومئ إلى ردِّ الجميل الذي فعله الهاشميُّ المتمثّل بعِتق عبده؛ وأنّ العبد أصبح على دين مُعتقه؛ ولكنّ المدقّق في حياة الرّياشيّ يجده ذكّر أحاديث تُنبئُ باعتقاد الرّجل الجازم بحقّ أهل البيت عليهم السلام على الأمتة؛ فمن ذلك ما رواه الرّياشيُّ بسنده عن أبي عمرو بن العلاء، الذي يروي عن جدّه، الذي سمع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: « ما أصبْتُ من فينكم إلا هذه القارورة، أهداها إليّ الدهقان، ثمّ نزل إلى بيت المال، ففرّق كلّ ما فيه، ثمّ جعل يقول:

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً»^(٤٥).

فالرواية في ظاهرها توضّح منهج الإمام عليّ عليه السلام في الحياة، وزهده فيما في أيدي النّاس؛ وهي تلمّح بتأثر النّاقل بسيرته، وتطبّعه بطبائعه؛ فقد نُقل عن زهد الرّياشيّ وورعه رواية عن ابن دريد، عندما سأله عمّن يستقي علمه؟ فأجابه الرّياشيُّ: بأنّه يأخذ عن فلان؛ فردّ أبو زيد على الرّياشيّ - بعد مناظرة جرت بين الرّياشيّ والشّخص المأخوذ منه العلم-: بأنك تأخذ علمك عنه وأنت أعلمُ منه؛ فأجاب الرّياشيُّ ابنَ دريد، بقوله: «ما طلبنا هذا حين طلبناه لموضع الأجر»^(٤٦)؛ فالرواية واضحة المعالم على تواضع الأخير واحترامه للآخرين؛ وما قول أبي عثمان المازنيّ: «قرأ عليّ الرّياشيُّ الكتاب، وهو أعلمُ به منّي»^(٤٧)؛ إلاّ تعبير عن التّواضع الذي اتّصف به الرّياشيُّ؛ فهو يتتلمذ على يد أستاذٍ يُصرّح بأعلميّة التّلميذ الذي ما ترك أستاذه.

ثم أن الرياشي لشدة ورعه وتقواه، وصفه تلميذه المبرّد بالحماقة، مُعللاً بالقول: «ومن حُمقِه أنه إذا كان صائماً لا يبلغ ريقَه»^(٤٨)؛ فوصف الرياشي بالحماقة من تلميذه لا لشيء، سوى أنه كان محترّزاً في دينه، ومحتاطاً في عباداته. ثم أن الرياشي نقل أحاديث في مكانة أهل البيت عليهم السلام تتمّ بالمعرفة الحقّة له بفضلهم عليهم السلام؛ فقد نقل بسنده عن عائشة بنت طلحة، التي تروي عن أمّ المؤمنين عائشة في فضل السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام؛ إذ تقول - والقول لعائشة -: «ما رأيت من النَّاس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وآله [من فاطمة عليها السلام]، كانت إذا دخلت عليه رحّبَ بها، وقبّلَ يديها، وأجلسها في مجلسه؛ فإذا دخل عليها، قامت إليه، فرحّبَ به، وقبّلَ يديه...»^(٤٩).

والرياشي الذي وصفه ابن حبان بأنّه مستقيم الحديث^(٥٠)، يروي جواب الخليل بن أحمد عندما سأله أبو زيد النحوي عن سبب هجر النَّاس لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله قرباه؛ وموضعه من المسلمين موضعه، وعناؤه في الإسلام عناؤه؟ فيجيب الخليل قائلاً: «بهرّ - والله - نورُه أنوارهم؛ وغلبهم على صفو كلّ منهم؛ والنَّاس إلى أشكالهم أميل؛ أما سمعت الأول حيث يقول:

وكلُّ شكلٍ لشكله ألفٌ أما ترى الفيلَ يألَفُ الفَيْلَا»^(٥١).

فقول الخليل يحملُ استدلالاً عقلياً يعبرُ عن فضل الإمام عليّ عليه السلام على مَنْ

سواه.

وقد ذكّر الرياشي قصةً تُبيّن كرهه لمبغضي أهل البيت عليهم السلام؛ فقد نقل بإسناده قصةً وقعت مع الشّاعر ابن أبي حفصة، الذي ذمّ أهل البيت عليهم السلام، وتحامل عليهم

عند المهديّ العبّاسيّ، وعندما سُئِلَ عن سبب تحامله؛ أجاب: «ما أحدٌ أحبَّ إليّ منهم، ولكن لم أحدٌ أنفع عند القومِ منه؛ أي: من بغضهم، والتّحامل عليهم»^(٥٢). وقد روى الرياشيّ بسنده حديثاً رفعه لرسول الله ﷺ، يذكر فيه أئمة المسلمين بعده ﷺ؛ قال فيه: «إنّ الأئمةَ بعدي اثنا عشر من أهل بيتي؛ عليٌّ أوّهم، وأوسطهم محمّد، وآخرهم محمّد، وهو مهديّ هذه الأئمة، الذي يُصليّ خلفه عيسى بن مريم»^(٥٣).

من كلّ ما تقدّم، يتّضح لنا أنّ الرياشيّ كان صحيحَ المذهب، حسنَ المعتقد، لا يرى من حرجٍ في ذكر فضائل أهل البيت عليهم آلاف التّحيّة والسلام.

٥- ولادته وأسفاره وفاته:

اتّفق جميع من ترجم للرياشيّ على أنّه بصريّ، ولم يُصرّح أحدٌ بولادته بها؛ ويبدو من جمع القرائن أنّه وُلد بها؛ لأنّ والده كان مولياً لرجلٍ من جذام في البصرة؛ ثمّ أنّ الهاشميّ المعتق لوالده كان بصريّاً أيضاً^(٥٤).

والمتتبّع لحياة الرياشيّ يجده لم يكن كثيرَ التّرحال؛ فلمْ تذكر الكتب التي ترجمتْ له أنّه سافر إلى بلدٍ غير بغداد وسرّ من رأى؛ إذ قدّم إلى بغداد، وحدث بها؛ ولم تُحدّد زمن القدوم ومدّة إقامته فيها^(٥٥).

وقد حدّد الرياشيّ سنّيّ عمره؛ إذ نُقل عنه أنّه رُوي في البصرة عقب ذي الحجّة من سنة أربع وخمسين ومائتين؛ وعندما سُئِلَ عن عمره أجاب: بأنّه بلغ سبعاً وسبعين سنة^(٥٦).

توفّي الرياشيّ في البصرة مقتولاً سنة مائتين وسبع وخمسين؛ قتله الزّنج في مسجده، وهو قائمٌ يُصليّ الصّحى؛ ويُنقل: أنّه لم يُدفن إلّا بعد مدّة من الزّمن^(٥٧).

القسم الثاني: السيرة العلمية لأبي الفضل الرياشي

المطلع على حياة الرياشي العلمية يجده عالماً متعدد المواهب؛ صحيح أنه لم يُخلف كتباً، وما ألفه من كتب فُقدت ولم تصل إلينا، إلا أن آراءه العلمية ماثورة في أمهات الكتب المعتمدة؛ وهذه الآراء دلت على تعدد موهبته العلمية؛ وقد تنوعت رؤاه العلمية بين آراءٍ نحويّة، وأخرى معجميّة وصرفيّة، وعُرفَ بابع واسع في قول الشعر وحفظ شعر الآخرين وروايته والاستشهاد به؛ لذا عدّ الرياشي أحد الشعراء؛ لما قاله من أشعار، وسنقف في هذا المطلب على شيء من رؤاه العلمية، وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: الرياشي شاعراً

جمعت كتب التراجم كثيراً من الأبيات التي استشهد بها الرياشي على قضايا مرّت به، وقد كانت تلك الأبيات المستشهد بها إمّا أبيات وقصائد لشعراء آخرين ذكرها الرياشي على سبيل الاستدلال، وهذا القسم هو القسم الكبير، حتّى عدّ راويةً للأصمعيّ، الذي جمع كثيراً من شعر العرب؛ أمّا القسم الآخر المتمثل بشعره نفسه، فقد نُقل أن أبا حاتم السجستاني احتاج إلى أبياتٍ ليُطّيب بها نفس أحد الأمراء، الذي كان واجداً عليه؛ فقدم إلى أبي الفضل الرياشي طالباً منه أبياتاً ليزيل غيظ الأمير عليه، وقد قال أبو حاتم للرياشي: «لم أرَ أحداً أجيبه غيرك، قال- والقول للرياشي-: واستثنى على أبي حاتم دعوة؛ قيل له: أبو حاتم وفيها؛ قال: أبو حاتم لا يفي بها؛ وأنشد أبو العباس البيهقي (٥٨):

أَبَتْ لَكَ أَنْ يَخْشَى عَدْوَكَ صَوْلَةً عَلَيْهِ إِذَا مَا أَمَكَّنْتَكَ مَقَاتِلُهُ
شَمَائِلُ عَفْوٍ عَنْ أَبِيكَ وَرِثَتَهَا وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الرَّجَالِ شَمَائِلُهُ.

وقد كان الرياشي يجمع بين فكاهة الأديب وورع العالم الزاهد، فقد نقل محمد ابن العباس اليزيدي أنه قال: أنشدنا الرياشي شعراً قال فيه (٥٩):

يَا مَنْ رَوَى عِلْمًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَيَكْفَ عَنْ وَتَعِ الْهَوَى بِأَدِيبٍ
حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلًا مِنْ صَالِحٍ فَيَكُونُ غَيْرَ مَعِيبٍ
وَلَقَلَّمَا تُجَدِّي إِصَابَةً صَائِبٍ أَعْمَالُهُ أَعْمَالُ غَيْرِ مُصِيبٍ.

وهي أبياتٌ حكميةٌ يغلب عليها طابع النصيح والإرشاد، ولعل معناها مستمدٌ من قول النبي الأعظم ﷺ: «إِنَّ الْعِلْمَ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ» (٦٠).

ومن بين ما جادت به قريحة الرياشي الشعرية ما نقل عنه من قوله (٦١):

وَلَا تَكْتَبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسْرُكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

وهو بيتٌ حمل رداً عنيفاً على من ادعى العلم وهو يُجَلِّلُ ما حرّمه الله تعالى؛ كمن يدعي العلم ويُجَلِّلُ شرب الخمر، ويرى تحلة نكاح تسعة نساء بحجة أنّ القرآن الكريم قال بذلك (٦٢).

وقد يُؤتى بالشعر ليستدل على معنى اللفظ أو دلالاته؛ فلفظ (أوكب)؛ قيل في معناه: المواكبة للشيء؛ ويُقال: واكب البعير، وأوكب، بمعنى: سائر أو لآزم (٦٣)؛ ويأتي بمعنى: المواظبة على الشيء، يُقال: واكب الرجل على الأمر، بمعنى: واظب عليه (٦٤)، وقد رأى الرياشي أنّ الوكب بمعنى: النهوض للشيء، وأنشد قائلاً (٦٥):

وَصَاتَكَ بِالْعُهُودِ وَقَدْ رَأَيْنَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَوْكَبَ ثُمَّ طَارَا
 ووقف الرياشي عند لفظ (الحاذ)، وهو يرى أنّ الحاذ: هو الذي يقع عليه
 الذنب من الفخذين، من ذا الجانب وذا الجانب، واستدلّ على رأيه بقوله (٦٦):

وَتَلَفٌ حَازِيهَا بِذِي خَصَلٍ عَقَمْتُ فَنِعْمَ بُنْيَةَ الْعَقْمِ
 وَسُئِلَ الرَّيَاشِيُّ يَوْمًا عَنْ مَكَانَةِ بَنِي أُمِّيَّةٍ؛ فَأَجَابَ بِأَبْيَاتٍ تَنَمُّ فِي ظَاهِرِهَا عَنْ وَرَعٍ
 وَتَقْوَى، وَفِي بَاطِنِهَا عَنْ عَدَمِ مَوَالَاتِهِ لِهِمْ، وَالتَّبَرُّيِّ مِنْهُمْ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ (٦٧):

لَعَمْرِكَ إِنَّ فِي ذَنْبِي لَشُغْلًا لِنَفْسِي عَنْ ذُنُوبِ بَنِي أُمِّيَّةٍ
 عَلَى رَبِّي حَسَابُهُمْ إِلَيْهِ تَنَاهَى عِلْمُ ذَلِكَ لَا إِلَيْهَ
 وَليْسَ بِضَائِرِي مَا قَدْ أَتَوْهُ إِذَا مَا اللهُ أَصْلَحَ مَا لَدَيْهَ

وقد روي عن الرياشي أنّه أنشد قائلاً (٦٨):

يُدُّ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كَانَتْ تَحْمَلُهَا كَفُورٌ أَوْ شَكُورٌ
 وَعِنْدَ اللهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ وَفِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جِزَاءٌ
 وَالبَيْتَانِ يَعْبِرَانِ عَنْ حِكْمَةٍ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ
 وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
 (فُصِّلَتْ: ٣٤).

وقريبٌ من هذا المعنى، ما روي عن الإمام عليّ (عليه السلام): «المعروف أفضلُ الكنوز،
 وأحسنُ الحصون، لا يُزهدنك فيه كُفْرٌ مَنْ كَفَرَ، فقد يشكرُك عليه مَنْ لم يستمتع
 منه منك بشيء، فقد تُدركُ بشكرِ الشَّاكِرِ ما يضيِّعُ الجحودَ الكافر» (٦٩).

وعُرفَ الرياشيُّ بمحبّته للعلماء، وتبجيله لهم، أحياءً أو أمواتاً؛ فقد نُقلَ أنّه
 لما توفّي العالم البصريُّ النَّحويُّ، أبو عثمان المازنيّ، في عام (٢٤٧هـ)؛ وعندما

اجتازت جنازته على أبي الفضل الرياشي، رثاه، قائلاً^(٧٠):

لا يُبْعِدُ اللهُ أَقْوَاماً رُزئتُهُمْ أفناهُمُ حَدَثَانُ الدَّهْرِ والأَبْدِ
نمُدُّهُمُ كُلَّ يَوْمٍ من بَقِيَّتِنَا ولا يَؤُوبُ إلينا مِنْهُمُ أَحَدٌ

والمتتبع لحياة الرياشي يجد الزهد ماثلاً في أكثر مفاصل حياته، ومما نُقِلَ عنه في فضل العلم وطلبه^(٧١):

شَفَاءُ العَمَى حُسْنُ السُّؤَالِ وإنَّما يُطِيلُ العَمَى طَوْلُ السُّكُوتِ على الجَهْلِ
فَكُنْ سائِلاً عَمَّا عِنَّاكَ فَإِنَّمَا خُلِقْتَ أَخا عَقْلٍ لَتَسْأَلَ بالعَقْلِ

يتضح أن الرياشي لم يكن راويةً للشعر وحسب، بل له أبياتٌ جيادٌ تمثل بها ونُقلت عنه.

المبحث الثاني: رؤاه المعجمية

المطلع على حياة الرياشي يجد أنه لم يؤلف معجماً لغوياً، إلا أن آراءه اللغوية الدالة على معاني الألفاظ تجدها منتشرة في أغلب المعاجم اللغوية؛ ولهذا يمكن للباحث أن يجمع تلك الآراء المبعثرة تحت عنوان الآراء المعجمية.

فمن بين الألفاظ: لفظ (تهم)؛ فقد قيل في معناه: التغير؛ ف(تهم) اللحم إذا تغير؛ والتهم بمعنى: النائم^(٧٢)، وقد رأى الرياشي أن لفظ (تهم) يُعبر عن معنى آخر؛ إذ يقول: «أتهم الرجل: إذا أتى بما يُتهم عليه، ...، وأرض تهمه كفرحة: شديدة الحر»^(٧٣).

ويبدو أن اللفظ يُعبر عن التحوّل من حالة إلى أخرى؛ لذلك قيل: تهم فلان، بمعنى: ظهر عجزه وتخيّر؛ وتهم البعير، أي: استنكر المرعى الذي كان يأنس به.

وذكر الرياشي لفظ (زغل)، التي تحمل معنى الصَّبِّ بقوة، والدَّفْع للَسائل؛ فـ«زغله، كمنعه، يزغله زغلاً: صبه دفعا، ومجّه كأزغله، وزغل الجدِّي الأمَّ رضعها، والعين لغة فيه»^(٧٤). فالرياشي يرى أنَّ أصل اللَّفْظِ بالغين، أمَّا العين، فهي لغة فيه، وهناك مَنْ رأى أنَّ زغل ورغل يميلان المعنى نفسه، فرغل ورغث نظيران، ومنها زغل، ومعناها: أن يستلبَ الصَّبِيَّ الثدي، فيرتضعه حينئذٍ^(٧٥)؛ أمَّا الرياشي، فقد رأى أنَّ اللَّفْظَيْن يميلان معنى الإرضاع نفسه، إلَّا أنَّ زغل-بالزاي- الإرضاع الخاصَّ بمولود البشر، أمَّا الرَّغْل -بالراء-، فهو خاصُّ بالجدِّي^(٧٦). وبهذا نجد -على وفق ما يراه الرياشي- أنَّ اللَّفْظَيْن يتفقان في المعنى العام، أعني: الإرضاع، إلَّا أنَّ الإرضاع لطفل الآدمي يختلف عن إرضاع غيره من الكائنات الأخر.

ونُقِلَ عن الرياشي في مادَّة (فلت): أنَّ العرب تُسمِّي آخر يومٍ من شوال (فلتة)، من حيث أنَّ مَنْ لم يدرك ثأره وطلبه فيه فاتة^(٧٧). ويبدو أنَّ ما نُقِلَ عن الرياشي يُعبَّر عن التَّخصيص، فالخليل يرى: أنَّ (الفلتة) آخر يومٍ من الشَّهر الذي بعده شهر من الأشهر الحُرْم من غير تعيين^(٧٨).

وفي معنى لفظ (ربض)، رأى الكسائي: أنَّ الرِّبْض -بالضَّم- هو وسط الشَّيء؛ أمَّا بالتَّحريك، فهو بمعنى: نواحيه، والرِّبْوض للغنم والبقر والخيول^(٧٩)؛ وقد رأى الرياشي أنَّ «أربضتُ الشَّمْس؛ اشتدَّ حرُّها حتَّى يربض الطَّيبي والشَّاة، أي: من شدَّة الرَّمْضاء»^(٨٠). وهناك مَنْ يرى: أنَّ أربضتُ الشَّمْس بمعنى: أقامت، كما تربض الدَّابة، فبلغتْ غاية ارتفاعها، ولم تبدأ للنزول^(٨١). فالرياشي يرى الرِّبْض جلسة خاصَّة بالحيوان؛ والشَّمْس تجبره على تلك الجلسة، ولا دخل لحركة الشَّمْس فيها.

وفي معنى المثل الوارد عن العرب: (حال الجريض دون القريض)^(٨٢)؛ فقد قيل في معناه: أن الجريض بمعنى: الغصة، والقريض بمعنى: الجرّة، فالتكلم إذا غصّ لم يقدر على قرض جرّته^(٨٣)، وقد رأى الرياشي رأياً مخالفاً لمن سبقه، وهو: أن «الجريض والقريض يحدثان بالإنسان عند الموت، فالجريض: تبّلغ الرّيوق، والقريض: صوت الإنسان»^(٨٤).

ونقل عن الرياشي أنه أوضح قول العرب: (أكرأه مقاطرةً)، معناه: ذاهباً وجائياً؛ وأما قولهم: (أكرأه توضعاً)، بمعنى: دفعةً، والقطرة بالصمّ: الشّيء التّافه اليسير الخسيس^(٨٥).

ومن بين المفردات اللغوية: (اللهمياء)، فقد قيل عنها: أنّها موضع بنعمان الأراك، بين الطائف ومكة المكرمة^(٨٦)، وقد سئل الرياشي عن (اللهمياء)، فأجاب: «ماء لبني تميم، ينزلها ناسٌ من بني مجاشع...»^(٨٧).

ويبدو أن الرياشي لم يكن راويةً لأقوال أساتذته وحسب، بل كان مرجعاً لغويّاً يرجع إليه، وتنفّض عنده النزاعات، فمثال ذلك ما حدث في معنى لفظ (غطف)، فقد قيل: إن معناه: الخير والسبوغ في الشّيء، وهو متأّت من الغطف في الأشفار، ومعناه: كثرتها وطولها وانتشارها^(٨٨)، وهناك من رأى أن الغطف والعطف يجملان معنىً واحداً^(٨٩).

إلا أن ابن قتيبة اعترض على ذلك؛ ولهذا أرجع الأمر إلى عالم تُفصّ به النزاعات، فيقول ابن قتيبة: «سألت الرياشي فقال: لا أدري ما العطف، وأحسبه: الغطف بالغين»^(٩٠).

يتّضح أن الرياشي لا يرى تقارباً بين اللّفظين (غطف وعطف)، بل يرى بينهما

تباعداً معجمياً واضحاً.

ومما ورد في معنى (أغي)، أنه ضربٌ من النَّبات، وهو رأيٌ كثيرٌ من أهل اللغة^(٩١)، إلا أن الأخفش اعترض على هذا الرأي ورفضه، وجعل من عدم معرفة الرياشيِّ له دليلاً على صحّة ما ذهب إليه؛ إذ يقول: «لم أسمع أن أغيا نبتٌ في شيءٍ من كتب اللغة، ولم يعرفه الرياشيُّ؛ ولا فسره أبو حاتم»^(٩٢)، ففي قول الأخفش دليلٌ قاطعٌ على عظم مكانة الرياشيِّ، وتمكّنه من مذاهب العرب اللغويّة؛ فضلاً عن ذلك، أن الأخفش بجمعه بين الرياشيِّ وأبي حاتم أراد أن يُصرّح بمكانتهما معاً، وأنه لا يمكن التفاضل بينهما.

ومن الألفاظ اللغويّة: لفظ (الأولق)، وهو من (ولق)؛ ف«الواو واللام والقاف: كلمة تدلُّ على إسرار وخفّة، يُقال: جاءت الإبل تلقُّ، أي: تُسرِعُ»^(٩٣)، ومنه قول الشاعر^(٩٤):

وإلْقَةً تُرْعِثُ رَبَّاحَهَا وَالسَّهْلُ وَالنَّوْفَلُ وَالنَّضْرُ

وقد رأى الرياشيُّ أن (الأولق) يأتي بمعنى: الجنون، وهو على وزن (فوعل)، وإن شئت جعلته أفعال؛ لأنّه يُقال: ألق الرجل كعنى ألقاً، فهو مألوقٌ على وزن مفعول، بمعنى: جُنَّ^(٩٥)، ويبدو أن مَنْ قال بمعنى الإسراع كان ناظراً إلى الصّفة، أمّا الرياشيُّ، فقد كان ناظراً إلى الموصوف (المجنون)، الذي يتّصف بالسرعة والخفّة؛ ثمّ أن الرياشيِّ يستدلُّ على صحّة ما يذهبُ إليه بنقله ما أنشدهُ إليه أبو عبيدة:

كأنا بي من أراني أولق^(٩٦).

ومن المفردات: لفظ (الحوزاء)؛ وهو من (حوز)، ومعناه السير الشّدِيد

والرؤيد؛ وقيل: إن الحوز والحيز هو السوق اللين، ومنه: حاز الإبل يحوزها ويحيزها حوزاً وحيزاً، ساقها سوقاً رؤيداً^(٩٧).

وقد رأى الرياشي أن (الحوزاء) هي الحرب التي تحوز، بمعنى: تجمع القوم وتضمّمهم^(٩٨)، مستنداً في رأيه إلى قول الشاعر^(٩٩):

فَهَلَّا عَلَى أَخْلَاقِ نَعْلِي مُعَصَّبٍ شَغَبَتْ وَذُو الْحَوْزَاءِ يَحْفِزُهُ الْوِثْرُ

ومن الألفاظ التي ذكرها الرياشي: (السبب)؛ وهو من السبب؛ والمتبّع للمفردة في المعاجم اللغوية يجد أن أهل اللغة وقع بينهم اتفاق على أن (السبب) - ومفردها السببية - تعني: الخصلة من الشعر؛ إلا أن الاختلاف وقع في تحديد تلك الخصلة؛ فمن رأى أن السببية الخصلة من شعر الفرس، فيقال للفرس: (ضافي السبب)، إذا كان سابغ الذنب والعرف^(١٠٠)؛ وهناك من عمم في دلالة اللفظ؛ إذ جعله يعبر عن شعر الذنب والعرف والناصية^(١٠١)؛ وهناك من خصص اللفظ؛ فأبو عبيدة يرى: أن (السبب) يُطلق على شعر الناصية فقط، مستنداً على صحة ما يذهب إليه بقول الشاعر:

بِوَافِي السَّبَبِ طَوِيلِ الذَّنْبِ^(١٠٢).

وقد رأى الرياشي أن (السبب) هو الخصلة من شعر الفرس، إلا أنه خصّه بشعر الذنب فقط^(١٠٣)، فهو يتفق مع أبي عبيدة في التخصيص، إلا أنه يختلف معه في تحديد الموضع.

وهناك من رأى أن (السبب) يعبر عن شعر المرأة؛ إذ يقال: امرأة طويلة السبب، بمعنى: الدوائب^(١٠٤)، ويبدو أن هذا الرأي مبني على الدلالة المجازية للفظ لا الحقيقية.

ومن بين الألفاظ اللغوية: لفظ (زهمان) - بفتح الأول أو ضمّه، وسكون الثاني-، وهو من: زهم يزهم، والزّهومة: ريحٌ لحمٍ سمينٍ منتنٌ؛ يقال: لحم زهم وذو زهومة، بمعنى: ذو ريحٍ منتنٍ^(١٠٥)، وقد رأى الرياشيُّ: أنّ الزهمان كسكران - بفتح الأول - اسمٌ لكلبٍ^(١٠٦). وهناك من رأى غير ذلك، فقد نُقل عن ابن دريد (زهمان)، بضمّ الأول؛ أمّا معناه، فقد قيل: إنّّه وإد لبني أسد، كثير الحمض^(١٠٧).

ومن الموارد: قولهم: (عبُ الشمس)؛ فقد نُقل عن الرياشيِّ أنّه قال: «اجتمع أصحابنا على عبِ الشمسِ، أنّه ضوءها، وأنشد:

إِذَا مَا رَأَتْ شَمْسًا عَبَّ الشَّمْسِ شَمَّرَتْ
إِلَى رَمْلِهَا وَالْجُرْهُمِيِّ عَمِيدُهَا»^(١٠٨).

وهناك من رأى: أنّ (عبُ الشمس) هو لعبها؛ وأصله (عبء شمس)، والعبء بالهمز بمعنى العدل^(١٠٩)؛ وثمة فرقٌ بين قولهم: (عبُ الشمس)، وقولهم: (عبد شمس)، فقد رأى الرياشيُّ أنّها مختلفان، فالأول: نظرٌ إلى ضوء الشمس ونورها؛ أمّا الثاني، فهو اسمٌ لرجلٍ من قريش^(١١٠)، وهناك من خلطَ بين القولين، فابن الأعرابي يرى: أنّ (العبء) هو العدل، والنسبة إليه - إلى العبء - تكون (عبشمي)^(١١١).

ومن المفردات التي وقف عندها أهل اللّغة: (النَّحْبُ)، وهو من (نَحَبَ)، «النَّون والحاء والباء أصلان، أحدهما: يدلُّ على نذرٍ وما أشبهه من خطر، أو إخطار شيءٍ، والآخر: على صوتٍ من الأصوات»^(١١٢). وقد قيل في معنى (النَّحْبُ): إنّّه بمعنى النذر، أو السَّير السَّريع، أو الجهد، أو المدة والوقت^(١١٣)،

وقد رأى الرياشي النحْب يأتي بمعنى: الطويل، فقد نُقل عنه: يومٌ نحْبٌ، بمعنى: طويل، ويأتي بمعنى: الموت^(١١٤)، وقد ورد منه في التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)؛ فـ(قضى نَحْبَهُ): عبارة دلَّت على الموت؛ لأنَّ كلَّ حيٍّ من المخلوقات لا بدَّ من أن يموت، فكأنَّه نذر لازم في رقبته، فإذا مات، قضى نَحْبَهُ، أي: وفي بنذره، فيكون موته شهيداً وفاءه بنذره من الثبات مع النبي ﷺ^(١١٥).

ومن الموارد: لفظ (الخرفج)؛ وهو من: خرفج يُخرفج، وقيل في معناه: النَّاعم البص^(١١٦)؛ وهناك مَنْ رأى أنَّ الخرفج معناه: رغد العيش^(١١٧)؛ أمَّا الرياشي، فقد نُقل عنه أنه يرى: «المخرفج والخرفج والخرافج: أحسن الغذاء، وقد خرفجه. والخرفجة: سعة العيش، وعيشٌ مخرفج: واسع»^(١١٨).

مما تقدّم يتضح أنَّ الرياشي يرى أنَّ اللفظ يحمل أكثر من معنى، وإنَّ كانت المعاني المذكورة متقاربة.

ومن الألفاظ التي وقف عندها العلماء: لفظ (الإدراج)، وهو لفظ أُخذ من (درج)، و«درج: الدال والراء والجيم أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على مضى الشيء، والمضى في الشيء. من ذلك قولهم: درج الشيء، إذا مضى لسبيله، ورجع فلان أدراجه، إذا رجع في الطريق الذي جاء منه»^(١١٩)، ومن بين معاني الإدراج: المشي، تقول: درج الرجل، يدرج دروجاً ودرجاناً، بمعنى: مشى^(١٢٠)، وهناك مَنْ يرى الإدراج بمعنى: الموت، يُقال: درج فلان، أي: مات وذهب^(١٢١)، ومن ذلك، المثل الوارد عند العرب: «فلان أكذب من دَبِّ ودَرَج»^(١٢٢)، ومعناه: أكذبُ الأحياء

والأموات^(١٢٣)، وقد رأى الرِّياشيُّ أنّ الإدراج هو النَّزْعُ قليلاً قليلاً؛ ويقال: هم دَرَجٌ يديك، أي: طوعُ يديك^(١٢٤).

ومن بين الألفاظ: لفظ (المجاج)؛ وهو من: مَجَّ الشَّيءُ يَمْجُجُه؛ وقيل في معناه آراء متعدّدة؛ فقيل: (المَجَّ): هو حَبُّ كالعَدَسِ يقال له الماش؛ والمجاج: شراب العنب، ومجاج الجراد: ما يسيل من أفواهها^(١٢٥). وهناك مَنْ يرى أنّ المجاج هو العسل؛ لأنّ النَّحلَ تَمْجُجُه^(١٢٦)، وهو قولٌ يستند إلى ما ذُكِرَ من حديث النَّبيِّ ﷺ: «... كان يَأْكُلُ القِثَاءَ بالمِجَّاجِ»، أي: بالعَسَلِ؛ لأنّ النَّحلَ تَمْجُجُه^(١٢٧).
أمّا الرِّياشيُّ، فقد رأى أنّ (المجاج) هو العرجون، واستدلَّ على ذلك بقول الشاعر:

بِقَابِلٍ لَفَّتْ عَلَى المِجَّاجِ ...

فإذا كان (القابل) هو الفسيل، ف (المجاج) هو العرجون^(١٢٨).
ومن المفردات: (الجشْر)، وهي من: (جَشَرَ)، وهو يدلُّ على الانتشار والبروز، يقال: جَشَرَ الصَّبْحُ إذا أُنارَ، وأصبح بنو فلان جشراً، إذا برزوا^(١٢٩).
وقد قيل في (الجشْر) أقوال، منها: التَّرْكُ والتَّبَاعِدُ والإرسال^(١٣٠)، وقيل: الجشْر ما يكون في سواحل البحر وقراره من الحصى والأصداف، وأشباه ذلك^(١٣١).
وقد رأى الرِّياشيُّ أنّ (الجشْر) هي الحجارة الخشنة التي في البحر^(١٣٢)؛ يبدو أنّ الرِّياشيَّ يجمع بين أمرين، أحدهما: البروز، والثاني: الخشونة؛ وهو يُخَصِّصُ الحجارة، فليس كلُّ شيءٍ بارزٍ على البحر يصحُّ أن يُطلق عليه (الجشْر) عنده.
ومن الموارد: لفظ (الخبير)، وهو من: (خبر)، «الخاء والباء والراء أصلان، الأوّل: العِلْمُ، والثاني: يدلُّ على لِينٍ ورخاءٍ وغزارةٍ»^(١٣٣)، وقد حمل لفظ الخبير

معاني متعدّدة، ولعلّ المدقق يراها تعود إلى أصلٍ واحدٍ فقط، هو الغزارة في الشيء والرّخاوة فيه، فقد قيل: إنّ الخبير بمعنى: النّبات، وأصحاب هذا الرّأي يستندون إلى الحديث المرويّ عن الوفد الذي قدّم على النّبيّ ﷺ، وقالوا له: «يا رسول الله، أتيناك من عوّري تهامة على أكوار الميس، ترمي بنا العيس، نستجلب الصّبير، ونستجلب الخبير»^(١٣٤)، وهناك من رأى أنّ الخبير الوبر. وقول آخر يرى الخبير هو زبد أفواه الإبل، وهذا الرّأي مرويّ عن أبي عبيد^(١٣٥)، أمّا الرياشي، فالمرويّ عنه أنّه يرى الخبير هو الزّبد عموماً^(١٣٦)، هنا يتّضح أنّ الرياشيّ اختلف عمّن قبله بأنّه يرى تعميم الدّلالة لا تخصيصها في الزّبد.

ومن بين الموارد اللّغوية التي سُئل عنها الرياشيّ: دلالة الجملة الفعلية (يُحارَف)، الواردة في قول عبد الله بن مسعود: «موتُ المؤمن بعرق الجبين، تبقى عليه البقيّة من الذّنوب، فيُحارَف بها عند الموت»^(١٣٧)، فقد رأى الرياشيّ أنّ (يُحارَف) - بالحاء - بمعنى: يُقايَس ويشتدّ عليه الخطب^(١٣٨)، فيكون المعنى: أنّ المقايسة والسّدّة التي تقع عليه وترهقه حتّى يعرق لها جبينه، تقع كفاءً لما بقي عليه من الذّنوب، فتكون كفارةً له^(١٣٩)، وأنشد الرياشيّ قول أحد الشعراء مستدلّاً على المعنى الذي ذهب إليه:

ألا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ رَبِّي يُجِبُّنِي وَعَمراً كما أَحْبَبْتُ أُمَّ حَبِيبٍ
إِذَا مَا دَخَلْتُ النَّارَ إِلَّا تَحَلَّةً وَلَا حُورَفْتُ أَعْمَالُنَا بِذُنُوبٍ^(١٤٠)
وقد سمع الرياشيّ التّصحيف الذي وقع فيه من روى عنه البيت؛ إذ أُبدل (يحارَف) بـ (يجازف)، فأنكره أشدّ الإنكار؛ لما فيه من تغيير المعنى، فقد نُقل عن الرياشيّ قوله: «يأخذون هذا فيروونها عني هكذا، فإذا قيل: يجازف، قال: حدّثنا

الرِّيَاشِيُّ! أفترون الرِّيَاشِيَّ كان يُخَطُّ وَيُصَحَّفُ؟»^(١٤١).

يَتَّضِحُ أَنَّ الرِّيَاشِيَّ كان حريصاً على إيصال المفردة اللغوية سالمة من التصحيف؛ لأنَّ في تصحيفها غياب معناها الحقيقي؛ لذا وجدناه أشدَّ المنكرين على المصحَّف للمفردة.

وهناك مَنْ رأى أَنَّ المحراف هو الميل الذي تُختبر به الجراحة^(١٤٢).

ومن الموارد: لفظ (الذَّنَابِي)، فقد رأى الرِّيَاشِيُّ أَنَّ الأَصْلَ فيه ما كان لذي جناحٍ خاصَّة، وربَّما استعير للفرس، فيقال: ذنابي الفرس؛ أمَّا الذَّنْبُ - بفتح الذَّال - فهو لما سوى ذلك^(١٤٣)، وهناك مَنْ رأى غير ذلك، فقد نُقل عن الفراء: أَنَّ الذَّنَابِي شبه المخاط يقع من أنوف الإبل، والذَّنَابِي - بكسر الذَّال -: عقب كلِّ شيءٍ^(١٤٤).

ومن المفردات اللغوية: (الخييس)، وقد قيل في دلالاته أقوال، منها: أنه منبت الطِّرفاء وأنواع الشَّجر^(١٤٥)، وقيل: الخييس - بالكسر - هو الشَّجر الملتفَّ خاصَّة، وقيل: هو موضع الأسد، أي: عرينه^(١٤٦)، وقيل: إنَّ الخييس هو التَّغْيِير والتَّبَدُّل، وهو مأخوذ من: خاس السَّيِّء يخييس، بمعنى: تغيَّر وفسدَ؛ وقيل: إنَّ الخييس هو السَّجَن؛ لأنَّه يذلُّ المسجون ويغيِّره^(١٤٧)، وقد رأى الرِّيَاشِيُّ أَنَّ الخييس هي الأجمة^(١٤٨)، وهي عبارة عن مستنقعٍ يحتوي على ماءٍ وقصبٍ وأحراشٍ، ويراهُ - أيضاً - يأتي بمعنى: اللَّبَن، وقد نفى أن يكون هذا الرَّأي يعود لأستاذه الأصمعيِّ، قائلاً: إلاَّ أنَّ الأصمعيِّ لا يعرف ذلك^(١٤٩).

من كلِّ ما تقدَّم، اتَّضح لنا أنَّ الرِّيَاشِيَّ له آراء لغوية متعدِّدة، وأنَّ كتب المعاجم جعلته مرجعاً لها؛ إذ اعتمدت على آرائه كثيراً، فهو - وإن لم يكن له

كتابٌ مستقلٌ يجمع آراءه اللغوية-، إلا أن المعاجم التي ذكرت آراءه المتناثرة أوضحت مدى تعمقه في اللغة وتبحره فيها.

المبحث الثالث: رؤاه النحوية

عرفَ الرياشيُّ باهتمامه بعلوم العربية عموماً، وقد خصَّص لعلم النحو موضعاً واسعاً من اهتمامه، وقد وجدت له آراء نحوية انفرد بها عن غيره، ومن بين الموضوعات النحوية التي كان له رأي فيها:

١- إذا الفجائية:

وهو لفظ يحمل معنى الظرفية، وقد أُشربَ معنى الشَّرطية^(١٥٠). ووقع اختلاف في توجيهها بين الإسمية والحرفية، والإسمية الظرفية فيها، بين الزمانية والمكانية؛ ففي قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨)؛ فالآية المباركة تتكلم عن يوم القيامة، الذي يتم فيه النفخ، فيحدث ما بعد النفخ أن تعود الأرواح للموتى، فإذا هم قائمون من قبورهم، أو متوقفون ينظرون، بمعنى: ينتظرون، أو يقبلون بأبصارهم في الجوانب^(١٥١)، وقد وقع اختلاف في قراءة (قيام)؛ فزيد بن عليّ عليه السلام قرأ (قياماً) بالنصب على الحال من الضمير المتصل في (ينظرون)، فيكون خبر المبتدأ (هم) الجملة الفعلية (ينظرون)، وتكون الجملة جميعاً تحمل معنى الحال؛ لأنها محطّ الفائدة^(١٥٢)؛ وهناك من يُقدّر خبراً محذوفاً، فيصبح الكلام: (فإذا هم مبعوثون؛ أي: موجودون قياماً)، والنَّاصب للحال (قياماً) هو الخبر المحذوف^(١٥٣)، واختلف في (إذا) بين الحرفية والإسمية، فالكوفيون يقولون بحرفيتها، ويأتي بعدها جملة إسمية؛ ويجب أن

يُقَدَّرُ خبر، أو أنَّ الجملة الفعلية (ينظرون) هي الخبر للمبتدأ^(١٥٤).

أما البصريون، فقد قالوا بإسميتها. ووقع اختلاف في دلالتها على الظرفية بين المكانية، فيكون تقدير الكلام: فبالحضره هم قياماً^(١٥٥)، ويرى الرياشي أن (إذا) إسمية، وهي ظرف زمان، وتقدير الكلام: ففي ذلك الزمان الذي نُفخ فيه هم، أي: وجودهم^(١٥٦)، وبهذا التقدير احتيج إلى تقدير المضاف؛ لأنَّ ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجئة^(١٥٧).

وفي موضع آخر من مواضع (إذا الفجائية)، ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيئُهُمْ يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَمْهَا تَسْعَى﴾ (طه: ٦٦)، فالآية المباركة ذكرت حال النبي موسى ﷺ في وقت تخيل سعي حبال القوم وعصيئهم بتفاجئه بذلك الحدث^(١٥٨). والجملة (جملة المفاجأة)، بمعنى أن (إذا الفجائية)، وهي حرف عند الكوفيين، اسمٌ عند البصريين، وهي ظرف مكانٍ كما يراه المبرِّد، العامل فيها الجملة الفعلية (ألُقوا)^(١٥٩).

في حين أن الرياشي يرى أمها ظرف للزمان^(١٦٠)، وبهذا يكون تقدير الكلام: في ذلك الوقت الذي ألُقوا فيه وقع منه التخييل، لا في المكان.

و من موارد (إذا الفجائية) ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (الأعراف: ١٠٧)^(١٦١)، فالنص المبارك أوضح أن العصا تحوّلت إلى حية عظيمة (ثعبان)، وأن هذا الانقلاب حدث بسرعة فائقة، وأن استعمال الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب والتحوّل^(١٦٢)، وإذا كانت (إذا الفجائية) اسميةً ظرفيةً عند مدرسة البصرة؛ فإنَّ الاختلاف وقع بين الظرفية المكانية والزمانية؛ فالمكانية هو مختار سيبويه، كما حكاها عنه المبرِّد؛ و(ثعبان) خبرٌ للمبتدأ (هي)^(١٦٣).

وذكر أن الصحيح الذي عليه الناس هو مذهب الرياشي في أن (إذا الفجائية) ظرف زمان^(١٦٤)، وتقدير الكلام: في الوقت الذي تم انقلاب الثعبان، لا المكان.

٢- بيّنا:

من الموارد التي وقع الاختلاف فيها، وفي تأثيرها في الجملة المشتمة عليها، لفظ (بيّنا)، فقد قيل: إنّها لفظ يأتي للمفاجأة، ويُشترط فيها أن تقع أول الكلام^(١٦٥)، فهي عندهم بمنزلة الظروف المبهمة التي تتصدر الجمل، وتقبل التّصب على الظرفية^(١٦٦)، فعند إضافتها إلى الجملة التي بعدها، جئت بالفعل الذي عمل فيها، مثال ذلك قول الشاعر^(١٦٧):

فبيّناه يشري رحلَهُ قال قائلٌ: لمن جملٌ رخو المِلاط نجيبٌ

وقد رأى الأصمعيّ أن إضافة (بيّنا) إلى المصدر جائزة^(١٦٨). في حين قيل بجواز إضافة (بيّنا) إلى المصدر دون (بينما)^(١٦٩)؛ أمّا الرياشي، فقد رأى أن (بيّنا) يصحّ دخولها على الاسم والمصدر، « فإذا ولي لفظة بيّنا الاسم العَلَم، رفعت، فقلت: بيّنا زيدٌ قائمٌ جاء عمرو، وإن وليها المصدر، فالأجود الجرُّ »^(١٧٠).

٣- واو الحال و القول فيها:

يعرّف الحال بأنّه: الاسم الفضلة المفسّر لما انبهم من الهيئات^(١٧١)، ويأتي على أنواع، فمنها: الحال الاسم المفرد، والحال شبه الجملة الظرفية، مثالها (رأيتُ الهلالَ بين السحاب)، أو الجار والمجرور، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (القصص: ٧٩)؛ فقوله: (في زينته) حال متعلّق بـ«استقرّ أو مستقرّاً»^(١٧٢). وقد تكون الحال جملة خبرية لا إنشائية؛ لأن الأخيرة لا تأتي

حالاً^(١٧٣)، ويُشترط في الجملة الواقعة حالاً أن تحتوي على رابطٍ يربط بينها وبين صاحبها، وقد يجتمع فيها أكثر من رابطٍ، مثلاً: رابطها واو الحال، والضمير العائد على صاحب الحال، مثاله ما ورد في الذكر الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣)، أو الواو فقط، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (يوسف: ١٤)^(١٧٤)، ومن الشواهد التي يرى فيها ورود الحال جملة اسمية؛ قول الشاعر^(١٧٥):

نَصَفَ النَّهَارُ الْمَاءَ غَامِرُهُ وَرَفِيقُهُ بِالْغَيْبِ لَا يَدْرِي

فقد قيل: إن معنى البيت: «انتصف النهار، والماء غامرُهُ»، فحذفت الواو لفظاً وهي مقدرةٌ معنى^(١٧٦)، ف (الماء غامرُهُ) جملةٌ اسميةٌ في محلِّ نصب الحال، والرابط -أي: واو الحال- محذوف لفظاً، فقد خلا البيت من الرابط لفظاً، إلا أن الواو قدِّرت، وقد عدَّ ابن هشام المسألة من شواهد حذف واو الحال^(١٧٧).

وقد سجَّلت للرياشي أكثر من ملاحظةٍ على البيت المذكور آنفاً، فقد نُقل عنه أنه قال: «الذي يروي نَصَفَ النَّهَارِ، بالرفع، يُريد معنى الواو، أي: انتصف النهار، والماء غامرُهُ، وهو تحت الماء، يعني: الغواص وشريكه بالغيب، بحيث يغيب عنه ولا يدري ما حاله...»^(١٧٨). يتضح أن تقدير الواو الحالية لوجوب الرابط بين الحال وصاحبه إن كان الحال جملة^(١٧٩). ولعلَّ وجود الواو ليس شرطاً وجوبياً دائماً، بل وجودها وعدمها يتوقف على نوع الحال، «فالصَّابِطُ في دخول الواو وجوباً وامتناعاً وجوازاً أي أنها إن كانت الحال مؤكَّدة، فلا تدخل الواو لكمال الاتصال، وإن كانت غيرها، فإمَّا أن تكون على أصل الحال وطريقها، فالوجه فيه

ترك الواو، وإن لم يكن على أصل الحال، سواء كانت على طريقها أو لا فالوجه فيه الواو»^(١٨٠).

وقد رأى الرياشي أن الجملة الحالية ينبغي أن تحوي ضميراً يعود على صاحب الحال، فيقول في ذلك: «الحال إذا لم يرجع إلى الأول منها شيء، فهو قبيح في العربية»^(١٨١). ففي قوله تتكشف أمور، أولها: أن الحال الجملة ينبغي أن تحتوي على ضمير يعود على صاحبها، ثانيها: أن الحال ينبغي أن يسبق بصاحبه، بمعنى أن يكون صاحب الحال أولاً، ومن ثم الحال؛ لذا عبر الرياشي عن صاحب الحال بالأول، ليدل على التقدم الرتبي.

وقد تبني هذا الرأي أكثر من نحوي، فقد نقل عن ابن جني أنه في قولنا: «جاء زيد والشمس طالعة»، لا بد من تقدير ضمير في الجملة الحالية يعود على صاحب الحال^(١٨٢).

ثم إن الرياشي يرى أن الجيد في العربية أن يصير «النهار-بالفتح- ظرفاً للزمان؛ وقد رأى المازني الرأي عينه»^(١٨٣). وهناك من رأى أن النهار يُنصب على المفعولية لا الظرفية؛ لأن في النصب على الظرفية تجوز في الكلام، فيكون النهار منصوباً على المفعولية، من قولهم: نصفت الشيء^(١٨٤).

٤- وجوب تنكير المفعول له:

المفعول له هو المصدر المفهم علة المشارك لعامله في الوقت والفاعل^(١٨٥)، وقد وضعت شروطاً لعمله، أوصلها بعضهم إلى خمسة، وهي: كونه مصدراً، وكونه قلبياً، كالرغبة وما شاكلها، وكونه علة، وأن يكون متحداً بالمعلل به وقتاً، واتحاده به فاعلاً^(١٨٦)، وقد جعل الزركشي شرط العلية شرطاً مهماً، حتى عرف

المفعول له بها؛ إذ يقول: « هو اسم علة للفعل المعلل به »^(١٨٧).
 أما الرِّياشيُّ، فقد عَزِيَّ له في باب المفعول له شرطٌ يُفيد أنّ المفعول له يجب فيه
 التَّنكير، وعلّة ذلك عنده مشابهته للحال والتَّمييز^(١٨٨).

وهناك مَنْ رأى أنّ هذا الشرط ليس بواجب؛ لأنّ المفعول له كثيراً ما جاء
 معرفة، ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
 الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٣)، رأى أبو السَّعود العمادي: أنّ ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾
 منصوب بـ «يجعلون» على العلة - المفعول لأجله -، وإن كان معرفة بالإضافة،
 وهو مشابه لقول الشاعر^(١٨٩):

وأغفر عوراءَ الكريمِ ادِّخارَهُ وأعرضُ عن شتمِ اللئيمِ تكْرماً

ومن تبنّى رأي الرِّياشيِّ رأى أنّ الآية المباركة لا بدّ فيها من التَّقدير، فقوله
 تعالى: ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾، بمعنى: محاذرين الموت، وبهذا تكون الإضافة لفظيّة،
 ويكون المفعول له نكرة^(١٩٠).

وقد رأى ابن عقيل: أنّ المفعول له المستكمل للشرط له ثلاثة أحوال لا حال
 واحدة، أوها: أن يكون مجرداً من الألف واللام والإضافة (نكرة)، وثانيها:
 أن يكون معرفاً بأل، وثالثها: أن يكون معرفاً بالإضافة؛ وكلّها يجوز أن تُجرَّ
 بحرف التعليل (اللام)، لكن الأكثر فيما تجرّد عن الألف واللام والإضافة^(١٩١).
 ويبدو أنّ هذا الرّأي يلاقي قبولاً عند جمهور النّحويّين؛ لكثرة الشّواهد المؤيِّدة
 له، ولا يحتاج إلى تقدير.

٥- الإفراد والجمع:

يُعدّ جمع التّكسير مورداً مهماً من موارد الجمع الأخر، وسُمّي بذلك؛ لأنّ مفرده يتغيّر بناؤه بزيادة أو نقصٍ أو تبديلٍ لغير إعلال^(١٩٢)، ومن موارد ما جاء في قول الشاعر:

وكانَ حياً قبلكم لم يشربوا فيها بأقلبةٍ أجنّ زعاق

فقد ورد في البيت (أقلبة)، وقد نُقل عن الرياشي أنّ (أقلبة) «جمع قلب، بمعنى: البئر، وهذا يدلّ على تذكير القلب؛ لأنّه قال: أقلبة، والجمع قلب، ولكن جاء به على رغيّف وأرغفة للجمع القليل»^(١٩٣)، وقد اعتمد رأي الرياشي، ومن جاء بعده لم يزد شيئاً على ما ذكر، فالجوهر يري أنّ (أقلب) جمع تكسير، وجمع قلّة، أمّا جمع الكثرة، فهو (قُلب على فُعل)^(١٩٤).

ومن الألفاظ المفردة: (سرر)، فقد قيل في معناها: إنّها أفضل موضع من الأرض، وجمعها (أسرّة)^(١٩٥)، وقيل: إنّ (السّر) يُجمع على (سُرر)، وهو جمع نادر، أمّا (السّرار) مفرد، تجمع على (أسرّة)، كقذال وأقذلة^(١٩٦)؛ وقد رأى الرياشي أنّ السّرر-بفتح السّين- هو اسمٌ لوادٍ على بعد أربعة أميالٍ من مكّة المكرمة؛ وتسميته بهذا الاسم مستندة إلى السّر- بكسر السّين- المتأّتي من سرّ الصّبيّ الذي يُقطع بعد الولادة^(١٩٧)؛ وبهذا يتّضح أنّ سرر- مفتوحة السّين جمع، مفرده سرّ الصّبيّ- مكسور السّين-.

وفي قول الشاعر:

بأعينٍ منها مליحاتِ الثُّقبِ شكّل التّجار وحلالِ المُكسَبِ^(١٩٨)

ورد لفظ (الثُّقب)، وقيل: إنّهُ جمعٌ، مفرده ثُقبه، وقد اختلف في حركة النون،

فالروئي عن سيبويه (النَّقب) - بفتح النون -، وهو جمع (نقبة) من الانتقاب بالنُّقَاب^(١٩٩)، وأما (النُّقب) - بالضَّمّ فالفتح -، ومعناه: دوائر الوجه، وهو الرّأي المنسوب إلى الرّياشي^(٢٠٠).

وفي القصة التي ذكرها رسول الله ﷺ من أنّ رجلاً كان واقفاً معه وهو مُحْرَمٌ، فَوَقَصَتْ به ناقته في أخاقيقِ جرذان، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه وكفنوه ولا تحمروا وجهه، فإنه يُبعثُ يومَ القيامةَ ملبئياً، أو قال ملبداً»^(٢٠١)؛ قيل: إنّ (الوقص) : كسر العنق؛ والأخقوق واللُّحقوق: الخدّ والصدع في الأرض، كالحقّ واللقّ^(٢٠٢). واختلّف في لفظ (أخاقيق)؛ فقيل: إنّها لخاقيق - باللام -، ومفردها (حقّ)^(٢٠٣)؛ وقد رأى الرّياشي أنّ (الحقّ) جمعه (أخقاق وأخاقيق)، هو جمع الجمع^(٢٠٤). وبهذا يتحصّل أنّ اللفظ الوارد في الحديث المبارك جمع الجمع لا جمع مفرد.

ومن المفردات: لفظ (السَّنور)، فقد قيل عنه: إنّهُ لفظ مفرد، واختلّف في معناه وجمعه، فقد رأى الرّياشي أنّ (السَّنور) مفرد، وجمعه (سنانير)، ومعناه: أصل الذنّب^(٢٠٥)؛ وهناك من رأى رأياً مخالفاً لما ذكره الرّياشي، فقد قيل: إنّ السَّنور هو السّلاح الذي يُلبس^(٢٠٦)، وقيل: إنّ السَّنور مأخوذ من السَّنَر، ومعناه: شراسة في الخلق، من ذلك حُمِلَ السَّنور على معنى الهرّ؛ وقيل: هو فقار العنق من البعير، أو عظام حلوق الإبل، وجمعه (سَنار)^(٢٠٧).

٦ - الرّفْع على الجوار:

من بين المسائل التّحويّة المهمّة، مسألة الرّفْع على الجوار، أو الجرّ على الجوار، وأهمّيّتها متأتّية من الاتّصال الحاصل بين المضاف والمضاف إليه، فجعل ما هو

نعت للأول معنى، نعتاً للثاني لفظاً، نحو قولهم: هذا جحرٌ ضبيٌّ، وهذا حبٌّ رماني، والذي لك هو الجحر والحب، لا الضب ولا الرمان^(٢٠٨). وإن التوافق في الإعراب وارد من خلال المجاورة بين اللفظين، ولهذا ذُكرت قاعدة مؤدّاهما: «إنّ الشيء يُعطى حكمَ الشيء إذا جاوره، كقول بعضهم: هذا جحرٌ ضبٌّ خرب، بالجرّ»^(٢٠٩).

ومن بين موارد الإعراب على الجوار، قول الشاعر^(٢١٠):

السَّالِكُ الثُّغْرَةَ الْيَقْظَانُ كَالْتُّهَا مَشِيَّ الْمَلُوكِ عَلَيْهَا الْخَيْعَلُ الْفُضْلُ

ورد لفظ (الفضل)، فمن أوردته مرفوعاً احتاج إلى تأويل في إعرابه، فقد نقل عن الأصمعيّ أنّ الفضل هو نعت للخيعل^(٢١١)، ولما كان المنعوت مرفوعاً، فالنعت مرفوع أيضاً. ولعلّ هذا الرأى، وإن كان نحوياً، إلاّ أنّه يتكئ على الدلالة المعجميّة كثيراً، فإذا كان الخيعل هو قميص لا كمين له، وهو من الثياب التي تلبسه العروس، وجمعه (خياعل)^(٢١٢)، يكون (الفضل) من نعوته، بمعنى أنّ (الخيعل الفضل)، هو الثوب المنفرد، لا ثوب آخر معه، لا فوقه ولا تحته^(٢١٣).
 إلاّ أنّ الرياشيّ أنكر على الأصمعيّ قوله - أعني الفضل نعت للخيعل - قائلاً: «وهذا ممّا أخذ على الأصمعيّ»^(٢١٤)، فالرياشيُّ بقوله هذا يوضح أنّه يرفض رفضاً قاطعاً كون (الفضل) نعتاً للخيعل، عاداً من يذهب إلى هذا الرأى مجانِباً للصواب. أمّا رأيه في المسألة، فإنّه يرى أنّ الفضل «هو من نعت الهلوك، إلاّ أنّه رفعه - أي: الشاعر - على الجوار، كما قالوا: جحرٌ ضبٌّ خرب»^(٢١٥)؛ يتضح - على وفق ما يرى الرياشيُّ - أنّ (الفضل) نعتٌ لـ (هلوك) الاسم المجرور؛ لأنّه مضاف إليه، ولكنّ الذي منع مطابقة النعت مع المنعوت في الإعراب هو تأثير

المجاور- أعني الخيعل-، الذي هو مرفوع، فُرِّع النِّعت، وابتعد عن منعوته، بتأثير فعل الجوار.

وقد تبنّى ما ذهب إليه الرِّياشيُّ بعضُ العلماء، فابن قتيبة -مثلاً- يرى أنّ الفُضْلَ من صفة الهلوك، وكان ينبغي أن يكون جرّاً، ولكنّه رفعه على الجوار للخيعل^(٢١٦).

وهناك من العلماء مَنْ يذهبُ إلى وجهةٍ أخرى؛ فابن السّجريّ يقول: «إنّما الفُضْلُ نعت للهَلُوكِ على المعنى؛ لأنّها فاعلة من حيث أسند المصدر الذي هو المشي إليها، كقولك: عجبْتُ من ضربِ زيدِ الطَّويلِ عمراً، رفعتُ الطَّويلَ؛ لأنّه وصف لفاعل الضَّرْبِ، وإن كان مخفوضاً في اللَّفْظِ...»^(٢١٧). فيتّضحُ أنّ ابن السّجريّ، وإن رفض مسألة الرِّفع على الجوار، إلّا أنّه لم يتعد عن أصل المسألة التي أصَّل لها الرِّياشيُّ من كون (الفُضْل) نعتاً للهَلُوكِ.

٧- (الوَيْلِمْه)، وحقيقة دخول (أل) عليها:

من بين الموارد التي وقع الاختلاف فيها -أيضاً-: (ويلمّه)؛ فقد قيل: إنّ (ويلمّه) بالهاء -وُثِرَوى بكسر اللّام وضمّها- عبارة مركّبة من أكثر من لفظ^(٢١٨)؛ فالضَّمُّ على وجهين: إمّا أن يقال: الأصل فيها أنّها عبارة منحوتة من (ويل أمّه)، وويل مبتدأ محذوف الخبر، وتقدير الخبر: هلاكها حاصل، وهي شبيهة بالتعجب السّماعيّ في قولهم: قاتله الله، فإنّ الشّيء إذا بلغ غايته يُدعى عليه؛ صوتاً له عن عين الناظر، وقد حُذفت همزة (أمّه) تخفيفاً على غير قياس، فأصبحت (ويلمّه) كلمة واحدة مفيدة لمعنى التعجب، بمعنى: عجباً؛ وإمّا أن يقال: أصله (وي لأُمّه)، أي: عجباً لها، بمعنى: أيّ وليدٍ ولدت! ^(٢١٩).

مما تقدّم يظهر أنّ هذه المفردة التي أصلها أكثر من كلمة، لا يحقّ دخول (أل التعريف) عليها، وقد رأى الرياشي رأياً مخالفاً؛ فالويلمة - آخرها تاء - عنده لفظٌ بعينه، ومعناه الداهية الشديد، يُقال: (الويلمة) من الرجال: الداهية الشديد الذي لا يُطاق، ويرفض الرياشي الالتفات إلى قول أبي الحسن الأخفش، الذي ينقل عن العرب أنّهم يصفون الرجل الداهية: بأنّه لويلمه صمحمحاً^(٢٢٠)؛ فالرياشي يرفض أن تكون الكلمة مركّبة، ولهذا جاز عنده دخول (أل) التعريف عليها؛ ثمّ إنّ ذكرها منتهية بالتاء المربوطة لا بالهاء التي تُفيد الضمير المعبرّ عن الإضافة.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في حياة عالمٍ من علماء البصرة، توصلتُ البحث إلى جملة نتائج، أُجملها بالآتي:

١- إنَّ الرِّياشيَّ لم يكنْ راويةً للشَّعر العربيِّ وحسب، بل كان شاعراً، وله الكثير من القصائد الجياد، ولكنَّ المسحة التي تمثَّلت في شعره أنَّه شعر حِكَميِّ، يغلب عليه طابع الزَّهد، وهو شعر ينحو فيه صاحبه إلى وعظ المتلقِّي وإرشاده.

٢- الرِّياشيُّ ظاهرُ التَّأثر بمدرسة البصرة اللُّغويَّة، مؤمَّنٌ بأحقِّيَّة آراء أساتذتها، وإنَّ خالفهم في بعض الموارد-، فهو يرى الفضل لتلك المدرسة في التَّأسيس والتَّأصيل لعلوم اللُّغة بصورة عامَّة، ولعلم النَّحو بخاصَّة، وأنَّ المنهج البحثيِّ الذي سارت عليه المدرسة هو المنهج السَّليم الذي ينبغي مراعاته والسَّير عليه.

٣- يرى الرِّياشيُّ أنَّ اللُّغة ينبغي أن تُؤخَذ عن الأُصلاء، وأنَّ العقل مرحلة تالية لمرحلة الاستقراء، فالاستقراء أوَّلاً، ثمَّ القياس؛ وأنَّ البدو هم أصل اللُّغة التي تُؤخَذ ويُحتجَّ بها، وقد عاب على المدرسة الكوفيَّة لأخذهم من أهل الحضر.

٤- يُعدّ عصر الاحتجاج اللغويّ من القضايا التي يُسلّم بها الرياشيّ، ففي كلامه أكثر من إشارة، وأوسع من إثارة لذلك، فهو يحدّد قاعدة الاحتجاج بالبدو الرّحل، الذين لم يختلطوا بغيرهم من أهل المدن، وهؤلاء يخرجون من دائرة الاحتجاج عنده - كذلك - عند مخالطتهم لغيرهم من أهل المدن.

٥- لم يصل إلينا من كتب الرياشيّ - على ما اطّلت - شيئاً، ولكنّ رؤاه الماثورة في كتب اللّغة والمعاجم تُنبئ بعظمة الرّجل؛ ولهذا أعتقد أنّ من الممكن أن تُجمع تلك الآراء (اللّغويّة - المعجميّة) تحت عنوان: (ما تبقى من معجم الرياشيّ).

٦- للرياشيّ آراء نحويّة خالف فيها المدرسة الكوفيّة، بل خالف فيها المدرسة البصريّة التي ينتمي إليها؛ لهذا نجده مبدعاً لا مقلداً، فهو يُخالف أساطين مدرسة البصرة، وقد أثبتت تلك الآراء في كتبٍ مهمّة، ما يُنبئ عن إيمان المثبت لها بأحقّيّة قائلها.

الهوامش

- ١- يُنظر: معجم البلدان (بصرة): ١/ ٤٣٠.
- ٢- يُنظر: فتوح البلدان: ٢/ ٤٢٥.
- ٣- يُنظر: لسان العرب (ريد): ٣/ ١٧١؛ والصّحاح (ريد): ٢/ ٤٧١.
- ٤- يُنظر: الفراهيديّ عبقرّي من البصرة: ص ١٣.
- ٥- جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٦٠.
- ٦- يُنظر: أخبار النّحويّين البصريّين: ص ٣٠.
- ٧- يُنظر: تاريخ بغداد: ١٠/ ٤٠٩.
- ٨- يُنظر: بُغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة: ٢/ ١٠٨.
- ٩- يُنظر: تاريخ بغداد: ١٠/ ٤١٠.
- ١٠- يُنظر: تهذيب التّهذيب: ٥/ ١٠٩-١١٠.
- ١١- الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٧٢-٣٧٣.
- ١٢- يُنظر: أخبار النّحويّين البصريّين: ص ٦٨، والكامل في التاريخ: ٧/ ٢٤٩-٢٥٠، والوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٧٢-٣٧٣. وقع اختلاف بسيط في اسمه، فهناك مَنْ نقل: أنّ اسمه عبّاس بن الفرّج، يُنظر: تهذيب التّهذيب: ٥/ ١٠٩-١١٠، ويُنظر: مراتب النّحويّين: ص ٧٦، وفهرست ابن النّديم: ص ٦٣-٦٤، والأنساب: ٣/ ١١١-١١٢.
- ١٣- يُنظر: اللّباب في تهذيب الأنساب: ٢/ ٤٦.
- ١٤- الأنساب: ٣/ ١١١-١١٢.
- ١٥- يُنظر: أخبار النّحويّين البصريّين: ص ٦٨.
- ١٦- يُنظر: فهرست ابن النّديم: ص ٦٣-٦٤، والوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٧٢-٣٧٣.
- ١٧- يُنظر: الأنساب: ٣/ ١١١-١١٢.
- ١٨- يُنظر: الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٧٢-٣٧٣.

- ١٩- للتَّعَرُّفِ عَلَى أَسَاتِذَتِهِ، يُرَاجَعُ: الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ: ٦/٢١٣-٢١٤، وَفَهْرَسْتُ ابْنَ النَّدِيمِ: ص ٦٣-٦٤، وَالْأَنْسَابُ: ٣/١١١-١١٢، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: ١٦/٣٧٢-٣٧٣، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ: ٥/١٠٩-١١٠، وَتَاجُ الْعُرُوسِ: ١/٦٣.
- ٢٠- يُنْظَرُ: بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ: ٢/٢٤، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: ١٦/٣٧٢-٣٧٣.
- ٢١- يُنْظَرُ: الثَّقَاتُ: ٨/٥١٣.
- ٢٢- يُنْظَرُ: أَخْبَارُ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ: ص ٦٨، وَالْأَنْسَابُ: ٣/١١١-١١٢، وَاللِّبَابُ فِي تَهْذِيبِ الْأَنْسَابِ: ٢/٦٤.
- ٢٣- الْأَنْسَابُ: ٣/١١١-١١٢، وَيُنْظَرُ: نَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ: ص ١٧٦، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: ١٦/٣٧٢-٣٧٣.
- ٢٤- يُنْظَرُ: الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: ١٦/٣٧٢-٣٧٣، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللَّغَوِيِّينَ وَالنَّحَاةِ: ٢/٢٥، وَهَدْيَةُ الْعَارِفِينَ: ١/٤٣٦-٤٣٧.
- ٢٥- طَبَقَاتُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ: ص ٩٧.
- ٢٦- نَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ: ص ١٧٦.
- ٢٧- يُنْظَرُ: أَخْبَارُ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ: ص ٦٨.
- ٢٨- يُنْظَرُ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ١٢/٣٧٢-٣٧٣.
- ٢٩- طَبَقَاتُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ: ص ٩٨.
- ٣٠- يُنْظَرُ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ: ١٩/١٧١-١٧٢.
- ٣١- تَارِيخُ بَغْدَادَ: ١٢/١٣٧-١٣٨.
- ٣٢- يُنْظَرُ: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (جَرَحٌ): ١/١٨١.
- ٣٣- يُنْظَرُ: تَاجُ الْعُرُوسِ (جَرَحٌ): ٣/٣١١.
- ٣٤- يُنْظَرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ (جَرَحٌ): ٢/٢٢٣-٢٢٤.
- ٣٥- يُنْظَرُ: الْعَيْنُ (حَنْبِجٌ): ٣/٣٢٩.
- ٣٦- يُنْظَرُ: تَاجُ الْعُرُوسِ (حَنْبِجٌ): ٣/٣٣١.
- ٣٧- لِسَانُ الْعَرَبِ (حَنْبِجٌ): ٢/٢٤١.
- ٣٨- الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: ١/٢٤١، وَيُنْظَرُ: الصَّحَاحُ (حَرْفٌ): ٤/١٣٤٢، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (حَرْفٌ): ٩/٤٤.

- ٣٩- تصحيّفات المحدثين: ١/ ٦٩-٧٠.
- ٤٠- يُنظر: الثّقات: ٨/ ٥١٣.
- ٤١- نزّهة الألباء في طبقات الأدباء: ص ١٧٦.
- ٤٢- طبقات النّحويين واللّغويين: ص ٩٨.
- ٤٣- يُنظر: الأنساب: ٣/ ١١١-١١٢.
- ٤٤- طبقات النّحويين واللّغويين: ص ٩٧.
- ٤٥- الاستيعاب: ٣/ ١١١٣.
- ٤٦- طبقات النّحويين واللّغويين: ص ٩٧.
- ٤٧- تاريخ الإسلام: ١٩/ ١٧١-١٧٢.
- ٤٨- الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٧٢-٣٧٣.
- ٤٩- الأمالي، الشّيخ الطوسي: ص ٤٠٠، ويُنظر: حلية الأبرار: ١/ ١٨٧.
- ٥٠- يُنظر: الثّقات: ٨/ ٥١٣.
- ٥١- بحار الأنوار: ٢٩/ ٤٧٩-٤٨٠.
- ٥٢- ضوء النّبوي: ١/ ٤٥٧-٤٥٨.
- ٥٣- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرّجعة: ص ٣٤٣-٣٤٤.
- ٥٤- يُنظر: أخبار النّحويين البصريين: ص ٦٨، وتهذيب التهذيب: ٥/ ١٠٩-١١٠، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ص ١٨٩.
- ٥٥- يُنظر: سير أعلام النّبلاء: ١٢/ ٣٧٣.
- ٥٦- يُنظر: طبقات النّحويين واللّغويين: ص ٩٩.
- ٥٧- يُنظر: أخبار النّحويين البصريين: ص ٧٠، و سير أعلام النّبلاء: ١٢/ ٣٧٤-٣٧٥.
- ٥٨- طبقات النّحويين واللّغويين: ص ٩٧.
- ٥٩- يُنظر: اقتضاء العلم العمل: ص ٦٢.
- ٦٠- عوالي اللآلي: ٤/ ٦٦.
- ٦١- يُنظر: تأويل مختلف الحديث: ص ٥٩.
- ٦٢- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٥٩.
- ٦٣- يُنظر: ترتيب إصلاح المنطق: ص ٢٣٧.

- ٦٤- يُنظر: الصّحاح (وكب): ٢٣٤ / ١.
- ٦٥- يُنظر: لسان العرب (وكب): ٨٠٢ / ١، وقد نُسب هذا البيت إلى محمودة الكلابية، وقبله: وما أنسى مَقَالَتَهَا غَشَاشاً...، يُنظر: تاج العروس: ١٥٤ / ٩.
- ٦٦- يُنظر: لسان العرب (حوذ): ٤٨٧-٤٨٨ / ٣.
- ٦٧- يُنظر: الأذكار النووية: ص ٣٣٦.
- ٦٨- يُنظر: تفسير القرطبي: ٣٨٣-٣٨٤ / ٥.
- ٦٩- كنز العمال: ٥٨٨ / ٦.
- ٧٠- تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي: ١٦٠ / ٤.
- ٧١- يُنظر: نزهة الألباء: ص ١٧٨، و تاريخ بغداد: ٤١٦ / ٤.
- ٧٢- يُنظر: العين (تهم): ٣٦ / ٤.
- ٧٣- تاج العروس (تهم): ٨٢ / ١٦.
- ٧٤- المصدر نفسه (زغل): ٣٠٧ / ١٤.
- ٧٥- يُنظر: معجم مقاييس اللّغة (رغل): ١٢ / ٣، والفائق في غريب الحديث: ٤٧ / ٢.
- ٧٦- يُنظر: تاج العروس (رغل): ٢٨٩-٢٩٠ / ١٤.
- ٧٧- يُنظر: الشّافي في الإمامة: ١٢٥ / ٤.
- ٧٨- يُنظر: العين (فلت): ١٢٢ / ٨.
- ٧٩- يُنظر: الصّحاح (ربض): ١٠٧٦ / ٣.
- ٨٠- لسان العرب (ربض): ١٥٢ / ٧.
- ٨١- تاج العروس (ربض): ٥٦ / ١٠.
- ٨٢- خزّانة الأدب: ١٩١ / ٢، وشرح نهج البلاغة: ١٥٠ / ١٦.
- ٨٣- يُنظر: العين (قرض): ٤٩ / ٥.
- ٨٤- تاج العروس (قرض): ٢٧ / ١٠.
- ٨٥- يُنظر: المصدر نفسه (قطر): ٤٠٦ / ٧.
- ٨٦- يُنظر: معجم البلدان: ٢٨ / ٥.
- ٨٧- معجم ما استعجم: ١١٦٥ / ٤.
- ٨٨- يُنظر: معجم مقاييس اللّغة (غطف): ٤٢٩ / ٤، والصّحاح (غطف): ١٤١١ / ٤.

- ٨٩- يُنظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/٣٧٣.
- ٩٠- تاج العروس (غطف): ١٢/٤١٥.
- ٩١- يُنظر: لسان العرب (آخي): ١٤/٣٨، و تاج العروس (آخي): ١٩/١٦٢.
- ٩٢- معجم ما استعجم: ١/١٧٤.
- ٩٣- معجم مقاييس اللّغة (ولق): ٦/١٤٥.
- ٩٤- يُنظر: الصّحاح (ولق): ٤/١٤٤٦، ولسان العرب (ولق): ٢/٤٤٣.
- ٩٥- يُنظر: تاج العروس (ولق): ١٣/٩.
- ٩٦- يُنظر: لسان العرب (ألق): ١٠/٧.
- ٩٧- يُنظر: لسان العرب (حوز): ٥/٣٣٩.
- ٩٨- ينظر: تاج العروس (حوز): ٨/٥٨.
- ٩٩- البيت لجابر بن الثعلب، وقد حكاه الرّياشيُّ في شرح أشعار الحماسة، يُنظر: لسان العرب (حوز): ٥/٣٤٠، و تاج العروس (حوز): ٥/٣٤٠.
- ١٠٠- يُنظر: ترتيب إصلاح المنطق: ص ١٨٩.
- ١٠١- يُنظر: تاج العروس (سبب): ٢/٦٦.
- ١٠٢- يُنظر: لسان العرب (سبب): ١/٤٥٩.
- ١٠٣- يُنظر: تاج العروس (سبب): ٢/٦٦.
- ١٠٤- يُنظر: المصدر نفسه.
- ١٠٥- يُنظر: لسان العرب (زهم): ١٢/٢٧٨.
- ١٠٦- يُنظر: تاج العروس (زهم): ١٦/٣٣٠-٣٣١.
- ١٠٧- يُنظر: المصدر نفسه.
- ١٠٨- لسان العرب (عبء): ١/١١٨-١١٩.
- ١٠٩- يُنظر: معجم ما استعجم: ٤/١١٦٤ (هامش ٣).
- ١١٠- يُنظر: تاج العروس (عبء): ١/٢٠٥.
- ١١١- يُنظر: معجم ما استعجم: ٤/١١٦٤ (هامش ٣).
- ١١٢- معجم مقاييس اللّغة (نحب): ٥/٤٠٤.
- ١١٣- يُنظر مثلاً: العين (نحب): ٣/٢٥١، والصّحاح (نحب): ١/٢٢٢.

- ١١٤- يُنظر: لسان العرب (نحب): ١/ ٧٥٠.
- ١١٥- يُنظر: الكشاف: ٣/ ٣٥٧.
- ١١٦- يُنظر: العين (خرفج): ٤/ ٣٢٨.
- ١١٧- يُنظر: الصّحاح (خرفج): ١/ ٣١٠.
- ١١٨- لسان العرب (خرفج): ٢/ ٢٥٤.
- ١١٩- معجم مقاييس اللّغة (درج): ٢/ ٢٧٥.
- ١٢٠- يُنظر: الصّحاح (درج): ١/ ٣١٣.
- ١٢١- يُنظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ٢/ ١٩٤.
- ١٢٢- يُنظر مثلاً: كشف الخفاء: ٢/ ٤٣٠، وترتيب إصلاح المنطق: ص ١٥٤، وتفسير مجمع البيان: ٣/ ١٦٦.
- ١٢٣- يُنظر: القاموس المحيط (درج): ١/ ٦٥، وغريب الحديث، لابن قتيبة: ٢/ ١٩٤.
- ١٢٤- يُنظر: لسان العرب (درج): ٢/ ٢٧٠.
- ١٢٥- يُنظر: العين (مج): ٦/ ٣٠.
- ١٢٦- يُنظر: النّهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ٤/ ٢٩٧.
- ١٢٧- يُنظر: تاج العروس (مج): ٣/ ٤٨٠.
- ١٢٨- يُنظر: لسان العرب (مج): ٢/ ٣٦٢.
- ١٢٩- يُنظر: معجم مقاييس اللّغة (جشر): ١/ ٤٥٩.
- ١٣٠- يُنظر: تاج العروس (جشر): ٦/ ١٩٥.
- ١٣١- يُنظر: العين (جشر): ٦/ ٣٢.
- ١٣٢- يُنظر: لسان العرب (جشر): ٤/ ١٣٨.
- ١٣٣- معجم مقاييس اللّغة (خر): ٢/ ٢٣٩.
- ١٣٤- كنز العمّال: ١٠/ ٦٢٠.
- ١٣٥- يُنظر: الصّحاح (خر): ٢/ ٦٤١.
- ١٣٦- يُنظر: لسان العرب (خر): ٤/ ١٦٠.
- ١٣٧- الفائق في غريب الحديث، للزّمخشرّي: ١/ ٢٤١، ويُنظر: الصّحاح (حرف): ٤/ ١٣٤٢، ولسان العرب (حرف): ٩/ ٤٤.

- ١٣٨- يُنظر: تصحيّفات المحدثين: ٦٩/١.
- ١٣٩- يُنظر: الفائق في غريب الحديث، للزّمخشرّي: ٢٤١/١.
- ١٤٠- يُنظر: تصحيّفات المحدثين: ٦٩/١.
- ١٤١- يُنظر: المصدر نفسه: ٦٩/١-٧٠.
- ١٤٢- يُنظر: النّهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ٣٧٠/١.
- ١٤٣- يُنظر: طبقات النّحويين واللّغويين: ص ٩٨.
- ١٤٤- يُنظر: الصّحاح (ذنب): ١٢٨/١.
- ١٤٥- يُنظر: العين (خيس): ٢٨٧/٤.
- ١٤٦- يُنظر: الصّحاح (خيس): ٩٢٦/٣.
- ١٤٧- يُنظر: لسان العرب (خيس): ٧٤/٦.
- ١٤٨- يُنظر: تاج العروس (خيس): ٢٧٣/٨.
- ١٤٩- يُنظر: المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
- ١٥٠- يُنظر: شرح ابن عقيل: ١/٦٦٥، ومختصر المعاني: ص ١٤٧.
- ١٥١- يُنظر: التّبيان: ٤٧/٩.
- ١٥٢- يُنظر: تفسير أبي السّعود: ٧/٢٦٣، وتفسير الألوسي: ٢٧/٢٤.
- ١٥٣- يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٧/٤٢٣.
- ١٥٤- يُنظر: مغني اللّيب: ١/١٧٥، وتفسير الألوسي: ٢٧/٢٤.
- ١٥٥- يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٧/٤٢٣، وهذا الرّأي عزاه إلى كلام سيبويه.
- ١٥٦- يُنظر: تفسير الألوسي: ٢٧/٢٤.
- ١٥٧- يُنظر: إملاء ما منّ به الرّحمن: ٢/٣٩، وتفسير البحر المحيط: ٧/٤٢٣، وشرح الرّضّي على الكافية: ١/٢٧٣.
- ١٥٨- يُنظر: الكشّاف: ٢/٥٤٤.
- ١٥٩- يُنظر: تفسير الألوسي: ١٦/٢٢٦-٢٢٧، وقد أسنده إلى سيبويه.
- ١٦٠- يُنظر: البحر المحيط: ٦/٢٤٠.
- ١٦١- ويُنظر: سورة الشّعراء، آية (٣٢).
- ١٦٢- يُنظر: تفسير أبي السّعود: ٣/٢٥٨.

- ١٦٣- يُنظر: تفسير البحر المحيط: ٤/ ٣٥٨.
- ١٦٤- يُنظر: المصدر نفسه: ٤/ ٣٥٨.
- ١٦٥- يُنظر: خزانة الأدب: ٥/ ٢٥٣.
- ١٦٦- يُنظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٥٨٢.
- ١٦٧- يُنظر: لسان العرب (هديد): ٣/ ٤٣٥، والبيت للعجير السلولي.
- ١٦٨- يُنظر: خزانة الأدب: ٥/ ٢٥٣.
- ١٦٩- يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/ ١٩٨.
- ١٧٠- خزانة الأدب: ٥/ ٢٥٤.
- ١٧١- يُنظر: كشف النقاب عن مخدرات ملححة الإعراب: ص ٨٤.
- ١٧٢- يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢/ ٣٤٦.
- ١٧٣- يُنظر: أسرار النحو: ص ١٣٩.
- ١٧٤- يُنظر: مغني اللبيب: ٢/ ٦٥٦.
- ١٧٥- البيت للمسيب بن علس، يُنظر: ترتيب إصلاح المنطق: ص ٦٤، وخزانة الأدب: ٣/ ٢٢٠.
- ١٧٦- يُنظر: الصحاح (نصف): ٤/ ١٤٣٣، وتاج العروس (نصف): ١٢/ ٥٠١.
- ١٧٧- يُنظر: مغني اللبيب: ٢/ ٨٣٣.
- ١٧٨- خزانة الأدب: ٣/ ٢٢١.
- ١٧٩- يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٤١.
- ١٨٠- أسرار النحو: ص ١٣٩.
- ١٨١- خزانة الأدب: ٣/ ٢٢١.
- ١٨٢- يُنظر: مغني اللبيب: ٢/ ٦٥٦.
- ١٨٣- يُنظر: خزانة الأدب: ٣/ ٢٢١.
- ١٨٤- يُنظر: المصدر نفسه: ٣/ ٢٢٢.
- ١٨٥- يُنظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٥٧٣.
- ١٨٦- يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢/ ٢٢٥-٢٢٦، وكشف النقاب: ص ٨٠.
- ١٨٧- البرهان: ٣/ ٩٤.

- ١٨٨- يُنظر: شرح الرّضي على الكافية: ٥١٣/١.
- ١٨٩- يُنظر: تفسير أبي السّعود: ٥٤/١، البيت لحاتم بن عبد الله الطائي، يُنظر: شرح ابن عقيل، الشّاهد (١٦٥): ٥٧٨/١، وخزانة الأدب: ١١١/٣.
- ١٩٠- يُنظر: شرح الرّضي على الكافية: ٥٠٩/١.
- ١٩١- يُنظر: شرح ابن عقيل: ٥٧٥/١.
- ١٩٢- يُنظر: شرح الرّضي على الكافية: ٣/٣٩٦، وكشف النّقاب: ص ٤٨.
- ١٩٣- خزانة الأدب: ٣١٠/٤.
- ١٩٤- يُنظر: الصّحاح (قلب): ٢٠٦/١، ويُنظر: لسان العرب (قلب): ٦٨٩/١.
- ١٩٥- يُنظر: الصّحاح (سرر): ٦٨٢/٢.
- ١٩٦- يُنظر: لسان العرب (سرر): ٣٥٨/٤.
- ١٩٧- يُنظر: معجم البلدان: ٢١١/٣.
- ١٩٨- يُنظر: تاج العروس (نقب): ٤٤٥/٢، استشده به، ولم ينسبه إلى قائله.
- ١٩٩- يُنظر: لسان العرب (نقب): ٧٦٩/١.
- ٢٠٠- يُنظر: تاج العروس (نقب): ٤٤٥/٢.
- ٢٠١- التّهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٥٧/٢.
- ٢٠٢- الفائق في غريب الحديث، الرّخشي: ٣/٣٧٣.
- ٢٠٣- يُنظر: الصّحاح (حق): ٤/١٤٧٠، ولسان العرب (حق): ٨٤/١٠.
- ٢٠٤- يُنظر: تاج العروس (حق): ١٢٠/١٣.
- ٢٠٥- يُنظر: لسان العرب (سنر): ٣٨١/٤.
- ٢٠٦- يُنظر: العين (سنر): ٢٤٤/٧.
- ٢٠٧- يُنظر: تاج العروس (سنر): ٥٤٩/٦.
- ٢٠٨- يُنظر: شرح الرّضي على الكافية: ٣٢٨/٢.
- ٢٠٩- مغني اللّيب: ٨٩٤/٢.
- ٢١٠- البيت للمتخلّ الهذليّ، يُنظر: العين (خعل): ١/١٢٠، ولسان العرب (خعل): ٢١٠/١١.
- ٢١١- يُنظر: خزانة الأدب: ٩٩/٥.

- ٢١٢- يُنظر: العين (خعل): ١٢٠ / ١.
٢١٣- يُنظر: تاج العروس (خعل): ٢٠٣ / ١٤.
٢١٤- يُنظر: خزانة الأدب: ٩٩ / ٥.
٢١٥- يُنظر: المصدر نفسه: ٩٩ / ٥.
٢١٦- المصدر نفسه: ٩٩ / ٥.
٢١٧- المصدر نفسه: ١٠٠ / ٥.
٢١٨- يُنظر: الصّاح (وي): ١٨٦٥ / ٥، ولسان العرب (وي): ٧٤٠ / ١١.
٢١٩- يُنظر: شرح الرّضي على الكافية، (ط. طهران): ١٢٤ / ٣.
٢٢٠- خزانة الأدب: ٢٦٢ / ٣.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أخبار النحويين البصريين؛ أبو سعيد، الحسن بن عبدالله، السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- ٣- الأذكار النووية، أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف، النووي، الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير أبي السعود)، أبو السعود، محمد بن محمد، العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث/ بيروت، (د.ت).
- ٥- الاستيعاب، ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٦- أسرار النحو، شمس الدين، أحمد بن سليمان، المعروف بابن كمال باشا، تحقيق: د. أحمد حسن حامد، دار الفكر، ط ٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ٧- اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٧هـ.
- ٨- الأمالي، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٩- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، العكبري (ت ٦١٦هـ)، تعليق: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ١٠- الأنساب، السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تعليق: عبدالله عمر، البارودي، دار الجنان، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد، عبد الله بن هشام، الأنصاري

- (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- ١٢- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسه الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ١٥- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ١٦- تاريخ الإسلام، الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ١٧- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ١٨- تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ١٩- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن بن علي، الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- ٢٠- ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تعليق: الشيخ محمد حسن بكائي، مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٢١- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٢٢- تصحيقات المحدثين، أبو أحمد، الحسن بن عبد الله، العسكري (ت ٣٨٢هـ)، تحقيق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- ٢٣- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وصاحبيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- ٢٤- تفسير الثعلبيّ، المعروف بـ(الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، أبو إسحاق، أحمد بن إبراهيم، الثعلبيّ (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمّد بن عاشور، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٢٥- تهذيب التّهذيب، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ٢٦- تهذيب المقال في تنقيح رجال النّجاشيّ، السيّد محمّد عليّ الأبطحيّ، ط ١، مؤسسة سيّد الشهداء، قم.
- ٢٧- الثّقات، ابن حيّان (ت ٣٥٤هـ)، مؤسسة الكتب الثّقافيّة، ط ١، ١٣٩٣هـ.
- ٢٨- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرّ (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلميّة، ١٣٩٨هـ.
- ٢٩- الجرح والتّعديل، الرّازيّ (ت ٣٢٧هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، ط ١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.
- ٣٠- حلية الأبرار، السيّد هاشم البحرانيّ (ت ١١٠٧هـ)، مؤسسة المعارف الإسلاميّة- قم المقدّسة، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٣١- خزّانة الأدب، البغداديّ (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمّد نبيل الطريفيّ، وأمّيل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٨م.
- ٣٢- خلاصة تهذيب تهذيب الكمال، الخزرجيّ، الأنصاريّ، اليمينيّ (ت ق ١٠هـ)؛ دار البشائر الإسلاميّة، ط ١، ١٤١١هـ.
- ٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني، أبو الفضل، شهاب الدّين، السيّد محمود شكريّ الألويسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٧م.
- ٣٤- سير أعلام النّبلاء، الذّهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تخريج: شعيب الأرناؤوط؛ تحقيق: حسين الأسد، مؤسسة الرّسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٣٥- الشّافي في الإمامة، الشّريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط ٢، ١٤١٠هـ.
- ٣٦- شرح ابن عقيل، بهاء الدّين، عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة ناصر خسرو، قم المقدّسة، ط ٧، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٣٧- شرح الرّضويّ على الشّافية، محمّد بن الحسن، رضيّ الدّين الاسترباديّ (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق وشرح: محمّد نور الحسن وصاحبيه، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٥هـ-

- ١٩٧٥ م.
- ٣٨- شرح الرضوي على الكافية، محمد بن الحسن، رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق (عليه السلام)، طهران، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨ م.
- ٣٩- الصّحاح (تاج اللّغة وصّحاح العربيّة)، إسماعيل بن حماد، الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧ م.
- ٤٠- عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، الشيخ محمد، المعروف بابن أبي جمهور الأحسائي (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: آقا مجتبی العراقي، مطبعة سيّد الشهداء، قم، ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ م.
- ٤١- العين، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط ٢، ١٤٠٩هـ-١٩٩٠ م.
- ٤٢- غريب الحديث، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجوري، دار الكتب العلمية، قم، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م.
- ٤٣- الفائق في غريب الحديث، جار الله، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦ م.
- ٤٤- فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر، المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، نشره ووضع ملاحظه: د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، (د. ط.)، (د. ت.).
- ٤٥- الفراهيدي عبقرى من البصرة، د. مهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط ٢، ١٩٨٩ م.
- ٤٦- فهرست ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن إسحاق، البغدادي (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد، (د. ت.).
- ٤٧- القاموس المحيط، مجد الدين، محمد بن يعقوب، الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الجليل، بيروت، (د. ت.).
- ٤٨- الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦ م.
- ٤٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم، جار الله، محمود ابن عمر، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٥هـ-

- ١٩٦٦ م.
- ٥٠- كشف النقاب عن مخدّرات ملحّة الإعراب، عبد الله بن محمّد أحمد، الفاكهيّ (من علماء القرن العاشر الهجريّ)، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م.
- ٥١- كنز العمّال، المتقيّ الهنديّ (ت ٩٧٥هـ)، ضبط: الشّيخ بكري حيّاني، تصحيح: الشّيخ صفوة السّقا، مؤسّسة الرّسالة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩ م.
- ٥٢- اللّباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، الجزريّ (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر.
- ٥٣- لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدّين، محمّد بن مكّرم بن منظور، الإفريقيّ (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٧ م.
- ٥٤- مجمع البيان، أبو عليّ، أمين الدّين، الفضل بن الحسن، الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥ م.
- ٥٥- مختصر المعاني، سعد الدّين التّفنّازيّ (ت ٧٩٢هـ)، دار الفكر للطباعة، قم، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١ م.
- ٥٦- مراتب النّحوين، أبو الطيّب اللّغويّ (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر.
- ٥٧- معجم البلدان، ياقوت الحمويّ (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩ م.
- ٥٨- معجم ما استعجم، البكريّ، الأندلسيّ (٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السّقا، عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ م.
- ٥٩- معجم مقاييس اللّغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريّا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م.
- ٦٠- مغني اللّبيب عن كتب الأعراب، أبو محمّد، عبد الله بن هشام، الأنصاريّ (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة المدني- القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٦١- نزّهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباريّ (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨ م.
- ٦٢- النّهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدّين، أبو السّعادات، المبارك بن محمّد، الجزريّ، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزّاوي، ومحمود محمّد الطناحيّ، مؤسّسة

- إسماعلیان للطباعة والنشر، قم، ایران، ۱۳۶۴هـ.
- ۶۳- هدیة العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا، البغدادي (ت ۱۳۳۹هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ۶۴- الوافي بالوفيات، الصّفديّ (ت ۷۶۴هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، ۱۴۲۰هـ- ۲۰۰۰م.
- ۶۵- ضوء النّبّي ﷺ، السيّد عليّ الشهرستانيّ، ط ۱، ۱۴۱۵هـ.
- ۶۶- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلكان (ت ۶۸۱هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، لبنان (د.ت).

استدعاءُ التُّراثِ في شِعْرِ (عبد السَّادةِ البصريِّ)

The Recall of Heritage in the Poetry

of Abdul Sada al-Basri

أ.م.د. رسول بلاوي

أستاذ مساعد في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة / قسم اللّغة

العربيّة وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران

Dr. Rasoul Ballawy

Assistant Professor in College of Arts and Human
Sciences-Department of Arabic Language and It Arts,
Persian Gulf University, Bushehr, Iran

ملخص البحث

يُعدُّ استدعاءُ التُّراث من أبرز التَّقنيَّات التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم؛ لتمنحها طاقة دلاليَّة، وحمولة فكرية، وزخماً شعورياً لا يخفى على المتلقِّي؛ لأنَّ معالم التُّراث المستدعاة في النصوص غالباً ما يكون لها في الذهن والوجدان إحياءات دلاليَّة شعوريَّة، تفرض على القارئ نوعاً من التَّماهي معها، بما تمثله في وعيه ولاوعيه الفرديِّ والجماعيِّ من حضور وتأثير قويين.

الشاعر العراقيِّ المعاصر (عبد السادة البصريِّ) حاول أن يجعلَ من التُّراث أداةً جماليَّة تحدم الموضوعَ الشعريِّ، وتؤدِّي وظيفة جماليَّة تُساعد على إثراء الدلالات.

تعددت مصادر التُّراث في شعر عبد السادة، وقد كان لهذه المصادر أثرٌ كبيرٌ في تعميق تجربته الشعوريَّة، وإرهاف أدواته التعبيريَّة.

هذه الدِّراسة التي اعتمدنا في خطتها على المنهج (الوصفيِّ-التحليليِّ)، ترصد استدعاء التُّراث ودلالاته في تجربة الشاعر عبد السادة البصريِّ.

استدعى الشاعر التُّراث العربيِّ، وألحَّ على التُّراث العراقيِّ بما فيه تراث البصرة والمعالِم الرِّيفيَّة فيها، فنرى للأمكنة التُّراثيَّة صدىً واسعاً في نتاجاته الشعريَّة، كبيوت الطين، والهور، وأسماء المدن، والقرى التابعة للبصرة،

وشخصياتها التراثية. ولمفردة النخلة ومتعلقاتها، كالرطب البرحي، وأعداق النخيل، والسعف، انتداباً شديداً في خيال الشاعر، بوصفها رمزاً خالداً، ومعلماً من معالم البصرة، ولا يفوته أن يوظف المفردات الشعبية المتداولة في الشارع البصري، والأهازيج الريفية. وقد وجدناه يستدعي بعض الأحياء الريفية، كالزبير، وأبي الخصيب، والتنومة، والفاو، والقرنة، وأم قصر، وبعض المعتقدات الشعبية، كرش الماء وراء المسافر، والتعويدات؛ هذا فضلاً عن استدعاء النصوص العالية كالنص القرآني المبارك، أو النصوص التراثية.

لقد وجد (عبد السادة البصري) في التراث مجالاً خصباً للتعبير عن أفكاره ورؤاه، وبذلك اقترب إلى المتلقي الذي يجذب هذا التراث ويتفاعل معه.

Abstract

The recall of heritage is one of the most prominent techniques adopted by poets in their poems, to give them a lexical power and an intellectual load and a conscious momentum not hidden to the recipient, because the features of heritage recalled in the texts often have in the mind and conscience reflective poetic implications. These features impose on the reader a kind of identification with them representing in the individual and collective consciousness a strong presence and influence. The contemporary Iraqi poet Abdul Sada al-Basri tried to make the heritage an aesthetic tool serving the poetic theme and perform an aesthetic function that helps to enrich the connotations. There are many sources of heritage in the poetry of Abdul Sada al-Basri which have had a significant impact on these sources in deepening his experience of poetry and his expressive tools. This study, which adopts a descriptive-analytical approach, highlights the recall of heritage and its connotations in the experience of the poet Abdul Sada al-Basri.

The poet recalled the Arab heritage and stressed the Iraqi heritage including that of Basra and the rural land-

marks in it. The heritage aspects are broadly echoed in his poetry such as mud houses, the city and village names of Basra and its heritage figures. The palm tree and its relevant components such as dates, date palm bunches and the palm fronds have occupied a prominent place in the imagination of the poet as a symbol and an immortal landmark of the features of Basra. He does not miss to employ popular vocabulary of the streets of Basra and rural songs of major singers. Some neighborhoods such as Zubair, abu al-Khasib, Tanumah, Faw, Qurnah and Um Qasr, and some popular beliefs such as spraying water after the traveler leaves and amulets are found in his poems. This is in addition to the Qur'anic texts. He found in the heritage a fertile field to express his ideas and visions and thus approached the recipient who favors heritage and interacts with it.

مقدمة

لقد أدرك الشاعرُ المعاصرُ أنه باستغلاله الإمكانيات التراثية يكون قد ربط تجربته بمعينٍ لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير؛ وذلك لأنَّ المعطيات التراثية تكتسب لونهاً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة، ونوعاً من اللصوق بوجودها؛ لما للتراث من حضور حيٍّ ودائمٍ في وجدان الأمة ومخيلتها. والشاعر حين يريد الوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه بعض مقومات تراثها يكون قد توّسل إليه بأقوى الوسائل تأثيراً عليه، وكلَّ معطًى من معطيات التراث يرتبط دائماً في وجدان الأمة بقيم روحية وفكرية ووجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاك من معطيات التراث لإثارة كل الإيحاءات والدلالات التي ارتبطت به في وجدان السامع تلقائياً^(١)، فليس غريباً -إذن- «أن نجد الشاعر يفسح المجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه، والتي مرّت ذات يوم بنفس التجربة وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه»^(٢).

الشاعر (عبدالسادة البصري) من الشعراء المعاصرين الذين أحسنوا استدعاء التراث في شعرهم؛ وذلك يعود إلى اطلاعه العميق على التراث، فقد وجدناه يلحّ على استدعاء مقومات التراث لرفد نصوصه بدلالات ومعانٍ تشدّ المتلقي نحوها. استدعى في نتاجاته الشعرية نصوصاً من القرآن الكريم، ونصوصاً تراثيةً أخرى راسخة في ذهنه، واستدعى شخصيات تراثية وحديثة لها

مكانة سامية في نفوس الشَّعب، وقد عمد إلى استخدام اللُّغة المحكيَّة والمفردات التُّراثيَّة والأهازيج الشَّعبيَّة، وألحَّ إلحاحاً شديداً على استخدام مفردة النخلة ومشتقاتها لمكانتها السَّاميَّة في البيئَة البصرِ وايةً.

هذه الدِّراسة الموسومة بـ «استدعاءُ التُّراثِ في شِعْرِ عبد السَّادةِ البصريِّ»، التي اعتمدتُ في خطِّتها على المنهج الوصفيِّ - التحليليِّ، ترصد توظيف التُّراث ودلالاته في تجربة الشَّاعر العراقيِّ (عبد السَّادةِ البصريِّ)، وتعالج الأسئلة الآتية: ما مدى توفيق الشَّاعر في توظيف التُّراث في نتاجاته الشَّعريَّة؟ كيف استوحى معطيات التُّراث من بيئته البصرِ وايةً؟ وما هو أثر هذا التُّراث على مخيلة المتلقِّي؟ وما هي الدِّلالات التي يحملها هذا التُّراث في شعره؟

- استدعاءُ التُّراثِ:

قبل أن ندخل في كفيَّة استدعاء التُّراث، وأهميَّته، وأهمِّ وسائله في إثراء النصِّ الشَّعريِّ في الأدب المعاصر، يجب أن نتطرَّق إلى (التُّراث) لغةً واصطلاحاً، فهذا الأسلوب يساعدنا على استيعاب المباحث والتمهيد لها.

التُّراث في اللُّغة: «هو الورث والإرث والميراث، وأصل التَّاء في التُّراث (الواو)؛ ويُقال: وَرِثْتُ فلاناً مالاً أَرِثُهُ وَرِثاً وَوَرِثاً إِذَا ماتَ مُورِثُكَ، فصار ميراثه لك. وَأَوْرَثَ الميْتُ وارِثُهُ مالَهُ، أَي: تركه له»^(٣). والتُّراث بمفهومه الاصطلاحيِّ هو خلاصة ما خلفته الأجيال السَّالفة للأجيال الحاليَّة في مختلف الميادين: الماديَّة والفكريَّة والمعنويَّة. فهو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيلٍ إلى جيلٍ. وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (النمل: ١٦)؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلاً﴾

﴿الفجر: ١٩﴾.

عكف الشعراء على موروثهم، يستمدون من مصادره المختلفة (من موروث ديني، أو صوفي، أو تاريخي، أو أدبي، أو أسطوري، أو فولكلوري) عناصر ومعطيات مختلفة، من أحداث وشخصيات وإشارات، يستوحون منها رموزهم.

الشعراء المعاصرون يرجعون إلى التراث ويقتبسون منه على أمل أن يستطيعوا بهذه الوسائل أن يعبروا عن أصدق تمثيل لهمومهم الخاصة، وربما أكثر تهدئة لها. وبهذا فالشاعر في العصر الحديث يدون المعطيات التراثية، ويعبر عنها، وأصبح يرى أن دوره في أن يختار من هذه المعطيات ما يوافق تجربته، بحيث يمنحها نوعاً من الأصالة والشمول عن طريق ربطها بالتجربة الإنسانية في معناها الشامل، ومن ناحية أخرى يُثري هذه المعطيات بما يُضيفه عليها من دلالات جديدة ويُكسبها حياةً جديدةً. فليس غريباً -إذن- أن نجد الشاعر العربي المعاصر يفسح المجال في قصائده للمعطيات التراثية التي تتجاوب معه، والتي مرّت ذات يوم بالتجربة نفسها وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه^(٤).

لقد وجد الشاعر المعاصر رهن تصرفه تراثاً شديداً الغنى متنوع المصادر، فأقبل عليه بنهم، يمتاح من ينابيعه السخية أدوات يُثري بها تجربته الشعرية، ويمنحها شمولاً وكنيةً وأصالة، وفي الوقت نفسه يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية، وأكثرها قدرة على تجسيد هذه التجربة وترجمتها ونقلها إلى المتلقي^(٥).

- توظيفُ التُّراث في شعر البصريِّ:

يُعدُّ توظيف المعطيات التُّراثية سمةً بارزةً في شعر عبد السَّادةِ البصريِّ، وهي تُشير إشارةً جليَّةً إلى عميق قراءته للتُّراث، وقدرته على استغلال عناصره ومعطياته التي من شأنها أن تمنح القصيدة فضاءً شعرياً واسعاً غنياً بالإشارات والدلالات. لقد استدعى في نتاجاته الشعريَّة نصوصاً من القرآن الكريم، ونصوصاً تراثيةً أُخر، واستدعى شخصياتٍ تراثيةً لها مكانة سامية في نفوس الشعب، وقد عمد إلى استخدام اللُّغة الشعبيَّة والأهازيج التُّراثية. وفي ما يلي نُطلُّ على هذه الإمكانيات التُّراثية المستدعاة في نتاج الشاعر.

١- التناصُّ القرآنيُّ:

لقد كان التُّراث القرآنيُّ في كلِّ العصور بالنسبة إلى الشَّاعر هو ينبوع الدَّائم والزَّاهر لتفجير القيم النبيلة. القرآنُ الكريمُ احتلَّ مساحةً واسعةً في الشعر العربيِّ الحديث، فالشَّاعر عندما يستدعي القرآن الكريم، «إنما يستدعيه بوصفه جزءاً من البنية الدلاليَّة للنصِّ الشعريِّ، فالإشارات القرآنيَّة ترتبط مع النصِّ الشعريِّ عضويّاً وبنويّاً ودلاليّاً، وهذا تنوع جديد على الموقف نفسه، ويؤكد أن العمليَّة ليست مجرد عمليَّة اقتباس، وإنما هي عمليَّة تفجُّر لطاقات كامنة في النصِّ، يستكشفها شاعر بعد آخر، وكلُّ حسب موقفه الشعريِّ الرَّاهن»^(٦).

إنَّ ظهور التناصُّ القرآنيِّ في الشعر يدلُّ على ثقافة شموليَّة عامَّة، وظَّفها الشَّاعر، واستلهمها في تطلُّعاته ومقاصده وأفكاره الشعريَّة. كان للقرآن نصيب وافر في النَّصوص الشعريَّة، فالقرآن معين لا ينضب، ألهم الشعراء والكتَّاب

والمطلّعين إلى الحرّية والخلاص عبر العصور. لقد استوحى عبدالسّادة كثيراً من المعاني والإيجاءات والأفكار من القرآن الكريم، ففي المقطع التالي مثلاً، يقول:

«الأسماءُ الحُسنَى، تعويدُنا مِن شرِّ الحاسدِ والتَّامِ»^(٧).

وهذا استدعاء للآية الشريفة: ﴿وَمِنَ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥). ففي قراءتنا للنصّ الشعريّ تتبادر إلى ذهننا هذه الآية الشريفة ومدلولها. وفي ما يلي يقول الشاعر:

«سنواتنا العجافُ امتلأتُ بالتَّمَنِّي

وأمانينا السّمانِ سلقتهُ السّنواتُ

بقدرِ المتاهةِ»^(٨).

وهو تناصُّ مع الآية القرآنيّة: ﴿أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ (يوسف: ٤٣).

وجاء في الشاهد التالي متأثراً بالنصّ القرآنيّ المبارك:

«إنّ تضربَ البحرِ ألفَ عصاً

تجدِ المرايا ...

تستحيلُ معابراً للعشيقِ،

حدّ الإكتواء!!

يمّم ... وجهك المعروق ..

شَطْرَ الدَّرْبِ»^(٩).

ففي قول الشاعر: «إنّ تضربَ البحرِ ألفَ عصاً»، إشارةٌ جليّةٌ إلى هاتين الآيتين

الشَّرِيفَتَيْنِ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشُّعراء: ٦٣)؛ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ (طه: ٧٧). والعبارة الأخيرة في النَّصِّ، أي: (يَمِّم ... وَجْهَكَ المَعْرُوقَ .. شَطْرَ الدَّرْبِ)، إشارةٌ خَفِيَّةٌ إلى قولهِ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٩).

٢- الشَّخْصِيَّاتُ التُّرَاثِيَّةُ:

كان التُّراثُ مصدرًا سَخِيًّا من مَصادر الإلهام الشُّعريِّ؛ إذ يَسْتَمَدُّ مِنْهُ الشُّعراءُ نماذجَ وموضوعاتٍ وصوراً أدبيَّةً؛ والأدبُ العربيُّ المعاصرُ حافلٌ بالكثير من الأعمالِ الأدبيَّةِ العظيمةِ التي محورها شخصيَّةٌ تراثيَّةٌ؛ فلهذا يُعَدُّ التُّراثُ في الأدبِ العربيِّ المعاصرِ، مصدرًا أساسيًا من المَصادرِ الثَّقافيَّةِ والقيمِ الإنسانيَّةِ التي عكفَ عليها الشُّعراءُ المعاصرونُ، واستمدَّوا منها شخصيَّاتٍ تراثيَّةٍ عبَّروا من خلالها عن جوانبٍ من تجاربهم الخاصَّةِ. استدعى عبد السَّادة من التُّراثِ شخصيَّاتٍ، منها: شخصيَّةُ (النَّفريِّ):

«الحكاياتُ ..

تُكَلِّمُنَا كالأُمِّهاتِ

وراءها تَكْمُنُ مَسْرَاتُنَا

ها إنتبه (النَّفريِّ) لِضَيْقِ العِبارةِ

حينَ اتَّسَعَتْ رُؤْيَاهُ؟»^(١٠).

وفي ما يلي استدعى الشَّاعرُ هذه الشَّخصيَّةَ أيضًا:

«تَدْعُ (النَّفريِّ) يُخاطِبُ نَفْسَ المَسكينِ القانِطِ مِنْ رَحمةِ أزمانٍ»^(١١).

والنّفريّ هو: محمّد بن عبد الجبّار بن حسن، النّفريّ، ولد ببلدة (نفر) في العراق، وإليها يُنسب. كان من كبار الصّوفيّة.
 ٣- استدعاءُ المدنِ التُّراثيّةِ:

إنّ المدينة مقدّمة في شعر (عبدالسّادة البصريّ) بطريقةٍ تختلف نسبياً عن الموقف من المدينة عند الشّعراء العرب المحدثين، من أمثال: أحمد عبدالمعطي حجازي، حتّى البيّاتيّ، الذين رأوا فيها تشويهاً لطبيعة الإنسان، وجناية على إنسانيّته وطبيّته، ومجالاً للقسوة والظلم والاختناق؛ ذلك أنّ حالة المدينة في الكون الشعريّ عند هذا الشّاعر هي جزءٌ من مناخ التّراجيديا المخيمّة على الوجود، وهي نفسها من وقود المأساة، وليست بالضبّط مسبّبة المأساة. «لقد آن الأوان أن يدرك الشّاعر أنّ المدينة لم تعد شيئاً طارئاً على الحياة، يحسّ النّاس حولها ونحوها، بأنّها خطر على النّفس الإنسانيّة، والقيم الأخلاقيّة، وعلاقات النّاس بعضهم ببعض، لا بدّ أن يدرك أنّ المدينة نظام حضاريّ، قد استقرّت قواعده، وأصبح النّاس يُمارسون فيها حياتهم، بخيرها وشرّها، دون أن يحسّوا دائماً بالغرابة، وبالحنين إلى القرية...»^(١٢).

إلحاح الشّاعر على تكرار المدن العراقيّة يشي بكثافة الشّعور، وزخم الانفعال، وكثافة التأمّل، والاستغراق في الواقع المؤلم الذي يعيشه بلده العراق، فجاءت انعكاساً باطنياً لجراح الذات وآلامها. استدعى الشّاعر أحياءً ريفيّة لها انتداب في روحه:

«الكورنيش، العشار، ٥ ميل، الزّبير، أبوالخصيب، التّنومة، الفاو، القرنة، أم القصر، وكلّ الأشياء، كانت عند البابِ تعانقنا:

فارقنا شذى البصرة

وجئنا اليومَ نحكيه»^(١٣).

احتضن الشاعر واقع الوطن الجميل، بمدنه وقراه الفقيرة وأحيائه البائسة، وذكرها في شعره، وسجّل معاناتها، وتغنّى بأصالتها وجمالها، وضرب الأمثلة بصمودها وصبرها وأحزانها. عندما يذكر الشاعر هذه المدن والمناطق في شعره فهو يتكلّم عن أهلها وسكّانها وما يكابدون ويعانون.

تابع الشاعر قوله عن البصرة:

«وبابُ البصرةِ المفتوحِ

لم تُغلقْ مَرازِبه

ستبقى البصرةُ الشُّعلةُ

ويبقى القلبُ حنّاءً

وماءُ الشَّطِّ حاويه»^(١٤).

فالبصرة من المدن العراقية التي لها تاريخ عريق وماضٍ مجيد.

وفي مايلي - أيضاً - يُخاطب مدينته البصرة، قائلاً:

«مدينتي

أمّ الملائكة العشرة، ربيبةُ الخلود»^(١٥).

ومن قوله - أيضاً -:

إلى معشوقتي البصرة

السّابغة علينا بنعمائها

ورثة الملح والماء

بعباءتها تنأم الفجيجة»^(١٦).

اتَّخذت البصرة عند الشاعر شكل الحلم أو الرَّمز، فهي عنده ليست نقلاً لرؤى اجتماعية وتفصيل يومية، بل هي ارتفاع إلى مستوى الرَّمز الذي يمنح القصيدة نبرةً وجدانيةً خاصةً، وهي غالباً تُحفر بجذورها أثراً عميقاً في وعي الشاعر السياسي، وضميره الاجتماعي والأخلاقي، وتشكّل حلماً لصيقاً به، وماضياً ليس أحلى منه.

٤- استدعاء النخيل:

يرسم الشاعرُ لوحةً بهيجةً لمدينته (البصرة)، فقد صارت مدينته الفاضلة، وقد تفتن في إبراز مظاهر الخصب والنماء فيها، والخضرة والجمال الذي يغمرها، فكثيراً ما نجده يستحضر النخل والنهر والبستان في سياق الكلام عن بلده؛ لأن هذه المدينة معروفة بنخيلها وبساتينها وأنهاها. المتصفح لدواوين عبدالسادة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، يلاحظ كثافة إلهام الشاعر على مفردة (النخلة) ومشتقاتها. فالنخلة بتكرارها المكثف في منجزه الشعري، انزاحت عن معناها المتداول وهي النخلة المعروفة، لتغدو رمزاً للشاعر، أو للشعب، أو للأرض، أو للوطن.

النخيل -عموماً- رمزٌ قديمٌ يدل على الخصب والازدهار. وقيمة النخيل -بما هو رمز- ليست نابعةً من فراغ، إنما لها خلفية دينية، وجذور تاريخية قديمة. ففي الإسلام ذُكر النخيل عشرين مرةً في القرآن الكريم، منها تلك الآية التي تذكر أن النخلة التي احتمت بها مريم كان جذعها يابساً، فاخضرت بقدره الله، وأعطت ثمراً دون تلقيح. هذه المعجزة أعطت النخلة احتراماً بالغاً عند

المسلمين، وأصبحت رمزاً شائعاً، وقد رُوِيَ عن الرّسول ﷺ أنّه قال: «أَكْرَمُوا عَمَّتْكُمْ النَّخْلَةَ»، وقال القزويني: إنّها سمّاها عمّتنا؛ لأنّها خلقت من فضلة آدم^(١٧)، وقد أشار الشّاعر (عبد السّادة البصريّ) إلى حديث النّبي الأكرم ﷺ في شعره، قائلاً:

«أهلنا ..

أهلنا في أقاصي جنوب الجنوب !!
علا .. علا حتّى عانقَ خيط الشّمس
عمّتهم النّخلة منحّتهم الوئام»^(١٨).

النّخلة شجرة مباركة مقدّسة عند العرب، فقد «كان أهل نجران يعبدون نخلةً طويلةً بين أظهرهم، لها عيد في كلّ سنة، إذا كان ذلك العيد، علّقوا عليها كلّ ثوبٍ وجدوه، وحليّ النساء، ثمّ خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوماً»^(١٩)؛ وذلك لأنّ «النّخلة كانت تؤلّف قواماً من مقوّمات حياتهم، والتي لا بدّ أن تكون قد عبّدت وقُدّست لهذه الميزة»^(٢٠).

وقد شغلت النّخلة حيّزاً كبيراً في الذاكرة الشّعريّة العربيّة، بوصفها رمزاً للعطاء، ورمزاً للوفاء، ورمزاً للتّسامي، وبوصفها ظلّاً وارفاً يقيه هيب شمس الصّحراء، وطعاماً سائغاً، وملهمة، ومسليّة في الغربه، وطللاً يبكيه عند نزوح الأحباب، وشبيهة بالحبيبة الطّاعنة في هودجها.

الجدير بالذّكر، أنّ مدينة البصرة -مسقط رأس الشّاعر- معروفة بنخيلها الوارف لدى الجميع، وقد توجد أكبر غابة لزراعة النّخيل في العالم في المنطقة المرويّة المحاذية لشطّ العرب في العراق. فهذه البيئة ألهمت الشّاعر طاقاتٍ دلاليّة

مكثفة، منها اعتماده على رمزية النخلة ومشتقاتها:

«أيُّ سحرٍ هذا؟!»

سؤالٌ تكرر ...

وهو يبصرُ نخبلاً

أعناً

وجداول

وصبياتٍ يلعبن،

وصبيّةٌ يمرحون!!»^(٢١).

فمفردة (النخيل) هنا تدلّ على المرح والحيوية والنشاط، وهذه الدلالة واضحة من خلال (لعب الصبيات)، و(مرح الصبية).

وفي مايلي يقول الشاعر:

«يا بنتَ البحرِ، وربّية طلعِ النخْلِ، وأمّ الحناء،

أتيناكِ ثقلاً وخفافاً،

يغمرنا الحبُّ،

نرسمُ الحبَّ،

نرسمُ ... نكتبُ ... ونغني ...

أرواحنا حُبلى بطعم الرطب البرحيّ، وهمس التورس»^(٢٢).

(طلع النخل) في هذا السياق يدلّ على النعومة والدلال؛ و(الرطب البرحيّ)

يشي باللذة والجمال.

ومن دلالات الجمال للنخلة والرطب المتساقط منها، ما جاء في النّص الآتي:

«شدت للنخلة، ما أحلى الرطب المتساقط من بين السعف

اليابس والعمر الخالي من ضحكات اللّقاء؟!». .

فالنخلة هنا ترمز للجمال والبهاء.

«تتمازج أحزان الأرجوحة في ساعة عيد الفقر لتملاً

سعف النخل حينئذ للتمر المتساقط فوق حدود الأرض!!»^(٢٣).

وفي الشاهد التالي يقول الشاعر:

«تفضي السّاحات إلى أروقة تساقط فوق الأحضان

نشيداً عذرياً ترجمه النخلة كي تأكل رطباً لتقرّ العين به»^(٢٤).

فالنخلة في هذه النصوص تدلّ على الجمال والطراوة، ونقاء البيئة التي

عشقها الشاعر وتفاعل مع معالمها وطبيعتها.

٥ - استلهام اللّغة التّراثية:

ومن الكلمات القادرة على إثارة المتلقي وتحفيز تفاعله مع النّص، هي

المفردات التّراثية المستوحاة من الذاكرة الشّعبيّة، فلا يخفى أنّ هذه الألفاظ

تتفاوت في القدرة التّعبيرية والثراء الدلالي، وإننا قد نجد لفظاً عامياً في النّص

يحتوي على شحنات دلالية ورمزية، ما لا يحتويه نظيره من اللفظ الفصيح. وقد

أقبل الشعراء على استعمال المفردات التّراثية في نصوصهم بغية أن يعثوا في

تعايرهم النّبض والألق والحياة. فعبدا السّادة استعمل مفردات تراثية مستوحاة

من ذاكرة الشّعب:

«حين تركنا القلب يداعب وجنات الشّطّ على مقربة من ضفّة الرّوح

ترأَتْ للعينِ بيوتَ الطِّينِ وراءَ مرايا البحرِ تُرْمَمُ
بعضَ أرومتها في إزميلٍ من قصبِ الهورِ، وتحملُ أردانَ الثَّوبِ»^(٢٥).
فهذه المفردات بالرغم من جذورها الفصيحة ودلالاتها المعجمية، إلا أن كثافة
استعمالها في اللغات الدارجة ودلالاتها الريفية تُصنّفها ضمن المخزون التراثي
للغة. وفي مايلي استعمل الشاعر مفردات ضاربة في الحياة الريفية، كالخرنوب،
والعاقول، والشوك:

«الذي يهجر يُلامُّ حدَّ البكاء

والعابثُ كشجرِ الخرنوب

عاقولهم - شوكة - أبردُ من الماء»^(٢٦).

لقد استقى الشعراء من نبع التراث كثيراً من الألفاظ، ولا يخفى أن استعمال
هذه الألفاظ وهي معزولة عن السياق الشعري ليس فيها شاعرية بحد ذاتها،
ولا تقدم معنىً إضافياً جديداً، لكنّها في السياق الفني تكتسب دلالات جديدة،
ونسقاً شعورياً متألقاً يثير المتلقي ويشده نحو النصّ.

٦- المعتقدات الشعبية:

المعتقدات الشعبية إرثٌ انتقل من جيلٍ إلى جيلٍ آخر بصورة شفوية، فلازم
الناس مسيرة حياتهم. وقد أصبحت هذه المعتقدات هاجساً يشغل بال الناس،
فيشعرهم بالتفاؤل والفرح حيناً، والخوف والتشاؤم حيناً آخر. وفي كل مجتمع
هناك مجموعة من المعتقدات الشعبية التي أصبحت مع مرور الزمن راسخة في
وجدان الشعب، وقد تشكّل ثقافة خاصة لدى الأفراد. والعديد من الناس
مازالوا يعتقدون بمثل هذه الأمور ويخضعون لها، خاصة المتقدمين في السنّ.

بعض هذه المعتقدات الشعبيَّة-مع تطوُّر العلم والتَّكنولوجيا- مازالتَ منتشرة بين أبناء المجتمع، وهناك مَنْ يؤمن بها. ومن خلال تفتيشنا في دواوين البصريِّ، وجدنا صدقاً لهذه المعتقدات، نُشير إلى بعضها في ما يأتي:

«حكاياتهم..»

- عن الطَّنْطَلِ، وجنِّيَّة البحر وعبد الشَّطِّ - أفرأحهم طقوس خرافية!!^(٢٧).
استحضر الشاعر في هذا المقبوس شخصيَّات وهميَّة: (الطننطل)، و(جنِّيَّة البحر)، و(عبد الشَّطِّ). والطننطل هو كائن أسطوريّ يتحوَّل على شكل إنسانٍ أو حيوانٍ، ويخرج في الليل؛ الطننطل اسمٌ مرعَّبٌ وخيفٌ، يهابه سكَّان الأهوار. و(جنِّيَّة البحر)، و(عبد الشَّطِّ)، شخصيَّتان وهميَّتان، يعتقد بهما بعض العرب، وعلى الأخصَّ أهالي الجنوب، ومنهم سكَّان الأهوار؛ لغرض تخويف أبنائهم من خطر السَّباحة في البحر أو النَّهر، وتعرِّضهم في نهاية المطاف إلى الغرق والموت.

وفي ما يلي يستحضر الشاعر عادةً من العادات الشائعة بين عامَّة النَّاس:

«الماءُ المرشوشُ وراءَ الذَّاهبِ في سفرٍ، التَّعويدة، دعواتُ الأمِّ...»^(٢٨).

فهذا الشَّطر يدلُّ على عادةٍ شائعةٍ عند الشَّعب، وهي سكب مقدار بسيط من الماء على الأرض خلف المسافر، معتقدين أنَّه يزيدهم اطمئناناً وأملاً بعودة مسافرهم سالمًا.

الخاتمة

- استعمالُ التُّراث في شعر (عبدالسَّادة البصريِّ) ينبعُ من الحاجةِ إلى إثراء النَّصِّ وقدرتهِ الباهرةِ على الإيحاء والتأثير على المتلقِّي.
- لقد استوحى الشَّاعر الكثير من المعاني والإيحاءات والأفكار من القرآن الكريم، فللقُرآن نصيبٌ وافرٌ في نصوصه، وقد استلهم منه الشَّاعر بعض أفكاره ورؤاه.
- أورد الشَّاعر الكثير من الشَّخصيَّات التُّراثيَّة؛ لما فيها من قدرة على توجيه الأفكار وتعميق الرُّؤية الفنِّيَّة، وإثراء النَّصِّ وتخصيبه، ومن أبرز هذه الشَّخصيَّات، شخصيَّة (النَّفريِّ).
- لقد وظَّف النَّخلة ومشتقاتها في قصائده توظيفاً نفسياً عميقاً، يدلُّ على تعلقٍ وجدانيٍّ، والتصاقٍ عاطفيٍّ بواقعه ومجتمعهِ. والنَّخلة في تجربة عبدالسَّادة الشَّعريَّة ذات معطيات دلاليَّة حسيَّة في ذاتها، اتخذها وسيلةً إيحائيَّة للإشارة إلى حالاتٍ معنويَّة، وانفعالاتٍ نفسيَّة.
- لقد أحسن البصريُّ استدعاء المدن والأحياء الريفيَّة في سياق التَّعبير عن

همومه الذاتية، وتصوير خواجه النفسية في أجواء غنائية مفعمة بالحزن والألم والتشرد والحنين إلى مدينته البصرة.

- استلهم الشاعر في شعره كثيراً من اللغة التراثية والمعتقدات والعادات، ونحوها؛ إذ كان لها انتدابٌ في خيال الشاعر، وهي تتسم بالظرافة والسهولة والإنشاد والشمولية، وتُسهّم في إثراء النصّ وتعميق الدلالة.

الهوامش

- ١- يُنظر: عليّ عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ص١٤.
- ٢- عزّ الدّين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر / قضاياها و ظواهره الفنيّة و المعنويّة: ص٣٠٧.
- ٣- ابن منظور، لسان العرب: مادّة (ورث).
- ٤- يُنظر: عزّ الدّين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: ص٣٠٧.
- ٥- يُنظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ص٧٣.
- ٦- الشعر العربي المعاصر: ص٣٦.
- ٧- عبدالسّادة البصريّ، لهم تغريبة واحدة: ص١٤.
- ٨- لهم تغريبة واحدة: ص٩٩.
- ٩- عبدالسّادة البصريّ، المعنى أكثر منّي: ص١٦.
- ١٠- لهم تغريبة واحدة: ص١٠٠.
- ١١- المعنى أكثر منّي: ص١٢.
- ١٢- مختار على أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر: ص٧٥.
- ١٣- لهم تغريبة واحدة: ص١٤.
- ١٤- المصدر السابق: ص١٤.
- ١٥- المصدر السابق: ص١٢٨.
- ١٦- المصدر السابق: ص١٢٧.
- ١٧- نقلاً عن: جلال الرّبيعيّ، من تجليات الحداثة في شعر بدر شاكر السّياب: ص٨٦.
- ١٨- لهم تغريبة واحدة: ص٤٣.
- ١٩- حسن جبّار محمّد شمسي، ملامح الرّمز في الغزل العربيّ القديم: ص٨٦.
- ٢٠- محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب ص٨٦.

- ٢١- لهم تغريبة واحدة: ص ٨.
٢٢- المصدر السابق: ص ١٢.
٢٣- المصدر السابق: ص ١٦.
٢٤- المصدر السابق: ص ٣٢.
٢٥- لهم تغريبة واحدة: ص ٣٢.
٢٦- المصدر السابق: ص ٤٤.
٢٧- المصدر السابق: ص ٨٨.
٢٨- المصدر السابق: ص ١٣.
٢٩- عصام الدين حسن أبو العلا، مسرح نجيب سرور، التوظيف الدرامي لأشكال الأدب الشعبي: ص ٢٨ و ٢٩.
٣٠- حسن علي المخلف، التراث والسرود: ص ١٤٠.
٣١- مرتضى الشاوي، توظيف الأغنية الشعبية في شعر حسين عبد اللطيف، موقع مؤسسة بابل للثقافة والاعلام، ٢٠١٢ م.
٣٢- المعنى أكثر مني: ص ٥٢.
٣٣- المصدر السابق: ص ٥٣.
٣٤- المصدر السابق: ص ٥٣.
٣٥- المصدر السابق: ص ٥٣.
٣٦- المصدر السابق: ص ٥٤.
٣٧- المصدر السابق: ص ٥٤.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن منظور المصري، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٣- أبو العلا، عصام الدين حسن، مسرح نجيب سرور، التوظيف الدرامي لأشكال الأدب الشعبي، القاهرة، مكتبة المدبولي، ١٩٨٩م.
- ٤- أبو غالي، مختار علي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (١٩٦)، ١٩٩٥م.
- ٥- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر/ قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- ٦- البصري، عبد السادة، المعنى أكثر منّي، بابل، المركز الثقافي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- ٧- ———، لهم تغريبة واحدة، بيروت، جيكور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- ٨- الحوت، محمود سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، بيروت، دار النهار للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
- ٩- الربيعي، جلال، من تجليات الحدائث في شعر بدر شاكر السياب، تونس، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- ١٠- الشاوي، مرتضى، توظيف الأغنية الشعبية في شعر حسين عبد اللطيف، موقع مؤسّسة بابل للثقافة والإعلام، ٢٠١٢م، منشور على الرابط الآتي:
- 11- <http://www.babylon-center.net/?articles=topic&topic>
٢١٦٨
- ١٢- شمسي، حسن جبّار محمد، ملامح الرّمز في الغزل العربي القديم، لندن، دار السياب،

- الطَّبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ١٣- عشري زايد، عليّ، استدعاء الشَّخصيات التُّراثية في الشَّعر العربيّ المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربيّ، ١٩٩٧م.
- ١٤- المخلف، حسن عليّ، التُّراث والسَّرد، الدَّوحة، وزارة الثَّقافة والفنون والتُّراث، الطَّبعة الأولى، ٢٠١٠م.

جوانبُ مِنَ العَلاقةِ الاجتِماعِيَّةِ بَينَ أُمَّةِ أَهلِ
البَيتِ عليهم السلام وأهلِ البَصرةِ
للحِقبةِ: (مِنَ إمامَةِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام إلى زَمانِ
الإمامِ المُنتظَرِ عليه السلام)

Aspects of the Social Relationship among the Imams
of Ahl ul-Bayt (a.s.) and the People of Basrah for the
Period of Imam Hassan (a.s.) Rule to the Time of the
Awaited Imam Al-Muntadhar

م.د. علاء حميد فيصل

مديرة التربية في البصرة

Dr. Alaa H. Faisal

Lecturer, Directorate of Education, Basrah

ملخص البحث

يتناول البحث جوانب من العلاقة الاجتماعية بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وأهل البصرة بشرائعهم الاجتماعية كافة. ومن الواضح والجلي أن جوانب هذه العلاقة متعددة ومتنوعة، ولا يمكن الإحاطة بها في بحث واحد؛ لذا اقتصر البحث على بعضها، ويقدر ما تتضح معه الفكرة.

وقد حاولنا في هذا البحث أن نبيّن ما هي أهمّ جزئيات العلاقة الاجتماعية، وكيف تعامل الأئمة عليهم السلام مع أهل البصرة، وما هي الطرق والوسائل التي تواصل من خلالها الطرفان، فضلاً عن بيان جوانب وموضوعات التواصل الاجتماعي، والغايات الأساسية من هذا الترابط الاجتماعي بين الطرفين، سواء كان لأهل البصرة أم لأئمة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم.

وتبيّن لنا أن من مظاهر هذه العلاقة المزاورة والمراسلة، وتبادل الهدايا، والمصاهرة، والجلود بالنفس، وعمل الأئمة عليهم السلام على تحقيق التنمية الاجتماعية. وفي ختام البحث، بيّنا أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث، وألحقناها بثبوت للهوامش، وقائمة للمصادر والمراجع.

Abstract

The present research paper deals with some aspects of the social relationship among the imams of Ahl al-Bayt and the people of Basra in their social strata. The paper seeks to show the reader the most important aspects of the social relationship, how the imams interacted with the people of Basra, the ways and means through which the two parties communicated, aspects of social communication, and the basic goals of this social connection between them. It has been found that one of the manifestations of this relationship is the exchange of visits, letters, gifts, marriage, and sacrifice. Besides, the imams worked hard to achieve social development.

مقدمة

يتناولُ البحث جوانب العلاقة الاجتماعية بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وأهل البصرة بشرائهم ومستوياتهم الاجتماعية كافة، وقد اختصَّ البحث بالأئمة من عهد الإمام الحسن المجتبي (٤٠-٤١هـ)، إلى زمن الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام؛ وذلك لأنَّ العلاقة بين أهل البصرة والإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٣٥-٤٠هـ) قد بُحثت من أحد الباحثين^(١)، وبعد الاطلاع على الروايات والنصوص والأحاديث الشريفة التي وثقت هذه العلاقة، اتضح لنا أنَّ أغلب النصوص تُشير إلى وجود علاقة اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية جمعت بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وأهل البصرة في الحقبة قيد البحث.

ولما كان تناول جميع أطراف هذه العلاقة بالبحث يجعله مطوَّلاً، فضلاً عن أنه يؤدي إلى عدم تناول جزئياته بشكلٍ دقيقٍ ووافٍ، فقد اقتصر البحث على موضوعة العلاقة الاجتماعية التي جمعت بين الطرفين.

وبعد البحث والتحليل، تبين لنا أنَّ هذه العلاقة متباينة في جوانبها، تبعاً للخلفية الفكرية التي يحملها أهل البصرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فنلاحظ أنَّها في أحد جوانبها كانت علاقة إيجابية تقوم على التواصل والتكامل والتآلف والمحبة والانسجام، ومن جانبٍ آخر، نجدُها علاقة سلبية تقوم على الخذلان والتباعد. ولما كان الجانب الأول ينهض بأن يكون بحثاً مستقلاً بذاته، فقد ارتأينا أن يقتصر

موضوع البحث عليها، على أمل أن يسعفنا الوقت إلى بحث الجانب السلبي بشكل
مفصل، أو أن يوفق أحد الباحثين إلى ذلك.

لقد أشارت الروايات إلى حرص أئمة أهل البيت عليهم السلام على إدامة العلاقات الاجتماعية
بينهم وبين أهل البصرة، سواء كانوا من العلماء أم من عامة الناس، وكان الهدف من
هذه العلاقة الحرص على إدامة التواصل والحوار بين الطرفين من أجل إصلاح المجتمع
ووضعه على الطريق الإسلامي الصحيح، وتحقيق النمو والتنمية الاجتماعية، وهو جزء
من منظومة عمل أئمة أهل البيت عليهم السلام على إصلاح المجتمع البصري، وتحقيق الاستقرار
الاجتماعي، عن طريق بث الوعي الديني، والحرص على تطبيق الإسلام المحمدي
الصحيح، بأخذه من منابعه الأصيلة، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال عدة مظاهر،
منها:

أولاً: المزاورة والمراسلة

أ- المزاورة:

حث أئمة أهل البيت عليهم السلام أهل البصرة على المزاورة والتواصل فيما بينهم،
وبيّنوا لهم أثر ذلك، سواء في الدنيا أم في الآخرة، وهذا ما أشار إليه حديث
الإمام الصادق عليه السلام لأحد البصريين: «كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ؟ قُلْتُ: فِي الْمَاءِ خَمْسَ
إِذَا طَابَتْ الرِّيحُ، وَعَلَى الظَّهْرِ ثَمَانٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا أَقْرَبَ هَذَا، تَزَاوَرُوا،
وَيَتَعَاهَدُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَنْ يَأْتِيَ كُلَّ إِنْسَانٍ بِشَاهِدٍ
يَشْهَدُ لَهُ عَلَى دِينِهِ، وَقَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا رَأَى أَخَاهُ، كَانَ حَيَاةً لِدِينِهِ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وقد حرص أهل البصرة على زيارة الأئمة عليهم السلام في المدينة، على الرغم من بعد المسافة؛ من أجل التبرك بزيارتهم، وسؤالهم عن بعض الأمور الشرعية، وكان الأئمة عليهم السلام يستقبلونهم في دُورهم، ويقدمون لهم الطعام وواجبات الضيافة، ويكرمونهم، ويحيون عن أسئلتهم، ويقدمون لهم النصائح التي تُفيدهم في إصلاح أحوالهم ومجتمعهم؛ إذ أشار ابن قولويه (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٨م) إلى أن رجلاً من أهل البصرة، قال: «دخلت المدينة، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جُعلتُ فداك، أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام، قال: بس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرتُ إليك، ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة، يزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون، قلت: جُعلتُ فداك، ما علمتُ ذلك، قال: فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل عند الله من الأئمة كلهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُصلوا»^(٣).

وذكر الصَّفَّار (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، «عن مسمع كردين البصري^(٤)، قال: كنتُ لا أزيد على أكلة في الليل والنهار، فربما استأذنتُ على أبي عبد الله عليه السلام، وأجد المائدة قد رُفعت، لعلي لا أراها بين يديه، فإذا دخلتُ دعا بها، فأصبتُ معه من الطعام، ولا أتأذى بذلك»^(٥).

وكان المستبصرون من أهل البصرة يتشرفون بلقاء الأئمة عليهم السلام الذين يفتحون أبواب قلوبهم ودورهم أمام الذين يتخلصون من التضييل الفكري الذي كان سائداً في البصرة بتحريض من السلطات الحاكمة على اختلاف الحقب الزمنية، فقد ذكر أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام: أنه «كان يجلس إلي رجل من أهل البصرة، فلم أزل به حتى دخل في هذا الأمر، قال: وكنتُ أصفُ له أبا جعفر عليه السلام، فخرجنا إلى

مكة، فلما قضينا النسك، أخذنا إلى المدينة، فاستأذنا على أبي جعفر عليه السلام، فأذن لنا،
فدخلنا عليه في بيت منجد^(٦).

وبالمقابل، كان الأئمة عليهم السلام يردون الزيارات إلى أهل البصرة، نقل ابن شهر
آشوب (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) عن ابن علوان: «رأيت في منامي كأن قائلًا يقول:
قد جاء رسول الله إلى البصرة، قلت: وأين نزل؟ فقيل: في حائط بني فلان...،
فجئت الحائط، فوجدت رسول الله جالساً...، ثم انتبهت، فتوضأت وصليت،
وجئت إلى الحائط، فعرفت المكان الذي فيه رأيت رسول الله عليه السلام، فبعد ذلك
سمعت الناس يقولون: قد جاء علي بن موسى الرضا عليه السلام، فقلت: أين نزل؟
فقيل: في حائط بني فلان، فهديت، فوجدته في الموضع الذي رأيت النبي فيه»^(٧).

ب- المراسلة:

كانت المراسلة أحد مظاهر التواصل بين أهل البصرة وأئمة أهل البيت
عليهم السلام؛ إذ لم يكن جميع أهالي البصرة ميسورين من الناحية المادية، ويصعب على
أغلبهم تحمّل تكاليف السفر إلى المدينة المنورة؛ ولذلك يلجأ قسم منهم إلى
أسلوب المكاتب والمراسلة؛ من أجل نيل مبتغاه، سواء في الحصول على الحكم
الفقهي من الإمام عليه السلام، أو لتفسير آية قرآنية باللجوء إلى من هم عدل الكتاب
بعد أن فقد أهل البصرة الثقة بمن كانوا يسمون أنفسهم علماء دين فيها؛ إذ
إنهم ساروا على هوى السلطة، ونفذوا أوامرها، وحرّفوا القرآن بتغيير معاني
الآيات وتحريف تفسيرها؛ من أجل إبعاد معانيها عن أهل البيت عليهم السلام، أو من
أجل إيجاد دليل مزيّف لعقائدهم الباطلة، ولهذا نجد الأئمة عليهم السلام قبيل الإجابة
عن أسئلة أهل البصرة ينصحونهم بالابتعاد عن هذه الأفكار المنحرفة، والأخذ

منهم؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم أعلم بما فيه، وهذا ما أشار إليه الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م): «إنَّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن عليٍّ عليه السلام يسألونه عن الصَّمَد، فكتب إليهم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أمَّا بعدُ، فلا تخوضوا في القرآن، ولا تُجادلوا فيه، ولا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعتُ جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ قال في القرآن بغير علم، فليتبوّأ مقعده من النار، وإنَّ الله سبحانه قد فسّر الصَّمَدَ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، ثمَّ فسّره فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: لم يخرج منه شيءٌ كثيفٌ، كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيءٌ لطيفٌ، كالنفس، ولا يتشعب منه البدوات، كالسنّة والنوم والخطرة والهَمُّ والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرّجاء...، تعالى أن يخرج منه شيءٌ، وأن يتولّد منه شيءٌ...، لا، بل هو الله الصَّمَدُ الذي لا من شيءٍ، ولا في شيءٍ، ولا على شيءٍ، مبدعُ الأشياء وخالقها، ومنشئُ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه...، الصَّمَد الذي لم يلد ولم يولد، عالمُ الغيبِ والشّهادةِ الكبير المتعال، ولم يكن له كفوًا أحدٌ»^(٨).

وأحياناً يكون الهدف من المراسلات الحصول على بركة دعاء الإمام لشفاء المرضى وقضاء الحوائج، وهو - إن دُلَّ على شيءٍ - إنّما يدلُّ على مدى إيمان بعض أهل البصرة بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأتّمهم الأبواب والوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا ما ذكره المجلسي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م): «روي عن الحجّاج بن سفيان العبديّ^(٩)، قال: خَلَفْتُ ابني بالبصرة عليلاً، وكتبتُ إلى أبي محمّد أسأله الدّعاء لابني، فكتب إليّ: (رَحِمَ اللَّهُ ابْنَكَ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا)، قال الحجّاج: فورَدَ

عليّ كتاب من البصرة أنّ ابني مات في ذلك اليوم الذي كتبت إليّ أبو محمد بموته، وكان ابني شكّ في الإمامة للاختلاف الذي جرى بين الشيعة»^(١٠).
وأحياناً يكون الهدف من المراسلة رغبة أهالي البصرة في الحصول على نصيحة الأئمة عليهم السلام باتّباع أفضل الطرق لتحسين أحوال معاشهم، دون الركون إلى الظالمين والسّير وفق أهوائهم، وكانوا عليهم السلام لا يبخلون عليهم بالنصائح المجدية، التي تحقّق رضا النّفس والرّبّ في الوقت نفسه.

وهذا ما أشار إليه الشيخ الكلينيّ، بأنّ أحد البصريّين، قال: «ساءت حالي، فكتبتُ إلى أبي جعفر عليه السلام، فكتب إليّ: أدِم قراءة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾^(١١)، قال: فقرأتها حولاً، فلم أر شيئاً، فكتبتُ إليه أخبره بسوء حالي...، فكتب إليّ: قد وفي لك الحول، فانقل منها إلى قراءة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١٢)، قال: ففعلتُ، فما كان إلّا يسيراً حتّى بعث إليّ ابن أبي دواد^(١٣)، ففضى عني ديني، وأجرى عليّ وعلى عيالي، ووجهني إلى البصرة في وكالته باب كلاء، وأجرى عليّ خمسمائة درهم، وكتبتُ من البصرة على يدي عليّ بن مهزيار^(١٤) إلى أبي الحسن عليه السلام: إنّي كنتُ سألتُ أباك عن كذا وكذا، وشكوتُ إليه كذا وكذا، وإنّي قد نلتُ الذي أحببتُ، فأحببتُ أن تُخبرني يا مولاي كيف أصنع في قراءة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، أقتصرُ عليها وحدها في فرائضي وغيرها، أم أقرأ معها غيرها؟ أم لها حدّ أعمل به؟ فوَقَّعَ عليه السلام، وقرأتُ التّوقيع: لا تدع من القرآن قصيره وطويله، ويُجزئك من قراءة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يوماً وليلتك مائة مرّة»^(١٥).

وتُشير الرواية إلى تركيز أئمة أهل البيت عليهم السلام على وجوب قراءة القرآن وتدبّر معانيه، وخصوصاً الآيات التي تُشير إلى فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ من أجل

نشر الوعي بمذهب أهل البيت عليهم السلام في البصرة؛ إذ إنَّ سورة القدر من الآيات المهمة التي تحوي فضائل الأئمة، وتُشير إلى أحقيّتهم بالإمامة، ونُلاحظ تركيز الأئمة عليهم السلام عليها بشكلٍ كبيرٍ؛ لأنّها من الدلائل القرآنيّة التي لا تقبل التّغيير والتّأويل والتّحريف؛ وكونها دليلاً قاطعاً على وجوب الإمامة ووجود الإمام الهادي العادل المنصب من السّماء في كلّ زمانٍ.

دليل هذا ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا معشر الشّيعّة، خاصّموا بسورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ تفلجوا، فو الله، إنّها لحجّة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّما لسيدة دينكم، وإنّما لغاية علمنا»^(١٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليه يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، صدق الله - عزّ وجلّ -، أنزل الله القرآن في ليلة القدر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا أدري، قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: وهل تدري لم هي خيرٌ من ألف شهر؟ قال: لا، قال: لأنّها ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، وإذا أذن الله - عزّ وجلّ - بشيءٍ فقد رضي، ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ يقول: تُسَلِّم عليك يا محمّد ملائكتي وروحي بسلامي من أوّل ما يهبطون إلى مطلع الفجر، ثمّ قال: في بعض كتابه: ﴿اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١٧) في ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وقال في بعض كتابه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١٨)، يقول في الآية الأولى: إنّ محمّداً حين يموت،

يقول أهل الخلاف لأمر الله - عز وجل - : مضت ليلة القدر مع رسول الله صلى الله عليه وآله،
فهذه فتنة أصابتهم خاصّة، وبها ارتدوا على أعقابهم؛ لأنّه إن قالوا: لم تذهب،
فلا بدّ أن يكون لله - عز وجل - فيها أمر، وإذا أقرّوا بالأمر لم يكن له من صاحبٍ
بدّ ^(١٩).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ ليلة القدر يكتب ما يكون منها في
السنة إلى مثلها من خيرٍ أو شرٍّ أو موتٍ أو حياةٍ أو مطرٍ، ويكتب فيها وفدُ الحاجِّ،
ثمّ يقضى ذلك إلى أهل الأرض، فقلتُ: إلى من من أهل الأرض؟ فقال: إلى من
تري ^(٢٠).

وروى الصّفار أنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: «سألته عن قول الله
- عز وجل - : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ قال: نزل
فيها ما يكون من السنة إلى السنة من موتٍ أو مولودٍ، قلتُ له: إلى من؟ فقال: إلى
من عسى أن يكون؟! إنّ الناس في تك الليلة في صلاةٍ ودعاءٍ ومسألةٍ، وصاحب
هذا الأمر في شغلٍ، تنزل الملائكة إليه بأمور السنة، من غروب الشمس إلى
طلوعها، من كلّ أمرٍ، سلامٌ هي له إلى أن يطلع الفجر ^(٢١).

وروى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، أنّه سأل الإمام عليه السلام: «إنّ الناس
يقولون: إنّ ليلة النصف من شعبان تُكتب فيه الآجال، وتُقسم فيه الأرزاق،
وتُخرج صكّك الحاجِّ، فقال: ما عندنا في هذا شيء، ولكن، إذا كانت ليلة تسع
عشر من شهر رمضان، يكتب فيها الآجال، ويُقسم فيها الأرزاق، ويُخرج
صكّك الحاجِّ، ويطلع الله على خلقه، فلا يبقى مؤمنٌ إلّا غفر له، إلّا شارب
مسكر، فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين، فيها يُفرق كلّ أمرٍ حكيمٍ أمضاه، ثمّ

أنه، قال: قلت: إلى مَنْ جُعلتُ فداك؟ فقال: إلى صاحبكم، ولو لا ذلك لم يَعلم ما يكون في تلك السَّنة»^(٢٢).

ولعلَّ سائلاً يسأل: ما هو الدَّافع الذي دفع الأئمة عليهم السلام إلى التَّركيز على قراءة وتفسير الآيات القرآنيَّة التي تعالج المسائل الاعتقاديَّة، مثل التَّوحيد وغيره، والآيات التي تبيِّن مذهب وفضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام في البصرة؟ أو لم تكن البصرة (كما هي اليوم)، مركزاً مهماً للتَّشيع، وبثِّ علوم أهل البيت عليهم السلام، وإحياء ذكرهم؟

وللإجابة عن هذا السَّؤال، نقول: إنَّ دافع الأئمة عليهم السلام في التَّركيز على تفسير الآيات التي تُعالج المسائل الاعتقاديَّة هو إنَّ البصرة كانت في مختلف الحقب الزمانيَّة التي عاشها الأئمة عليهم السلام مرتعاً خصباً للأفكار الدينيَّة المنحرفة عن الإسلام الأصيل؛ إذ شهدت ظهور مختلف الفرق الإسلاميَّة التي حملت الأفكار الهدَّامة للإسلام باسم الإسلام نفسه، ولهذا كانت مسألة تبيان العقائد الصَّحيحة من خلال تفسير الآيات القرآنيَّة من الأدلَّة الدامغة التي تبيِّن خطأ وانحراف هذه الفرق، ومن ثمَّ تحصيل المجتمع البصريِّ منها، وضمان الحصول على أجيال بصريَّة مثقفة دينياً بفكر أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ الضَّمان الوحيد لأمن واستقرار وسلامة وتنمية المجتمع.

والدَّليل على أنَّ البصرة كانت مركزاً للأفكار الهدَّامة، ما ذكره السَّيخ الكليني: «سألني أبو عبد الله عليه السلام عن أهل البصرة، فقال لي: ما هم؟ قلت: مرجئة وقدرية وحرورية»^(٢٣)، فقال: لعنَ اللهُ تلك الملل الكافرة المشركة، التي لا تعبدُ اللهُ على شيءٍ»^(٢٤).

وذكر -أيضاً-: « عن رجلٍ من أهل البصرة، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: أُنستطيعُ أنْ تعملَ ما لم يُكُونْ؟ قال: لا، قال: فستطيعُ أنْ تنتهيَ عما قد كُونْ؟ قال: لا، قال: فقال له أبو عبد الله عليه السلام: فمتى أنتَ مستطيعٌ؟ قال: لا أدري، قال: فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا، فَجَعَلَ فِيهِمْ آلَةَ الاستطاعة، ثُمَّ لَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِمْ، فَهَمَّ مُسْتَطِيعُونَ لِلْفِعْلِ وَقَتَ الْفِعْلِ مَعَ الْفِعْلِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ الْفِعْلَ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوهُ فِي مُلْكِهِ، لَمْ يَكُونُوا مُسْتَطِيعِينَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلًا لَمْ يَفْعَلُوهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَضَادَّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، قَالَ الْبَصْرِيُّ: فَالنَّاسُ مُجْبَرُونَ؟ قَالَ: لَوْ كَانُوا مُجْبَرِينَ كَانُوا مَعْذُورِينَ، قَالَ: فَتَوَضَّ إِلَيْهِمْ؟ قَالَ: لا، قال: فما هم؟ قال: علم منهم فعلاً، فجعل فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوه كانوا مع الفعل مستطيعين، قال البصريُّ: أشهد أنه الحقُّ وأنكم أهل بيت النبوة والرَّسالة»^(٢٥).

وذكر الشيخ الصدوق: «كان ابن أبي العوجاء^(٢٦) من تلامذة الحسن البصري^(٢٧)، فأنحرف عن التوحيد، فقبل له: تركتَ مذهبَ صاحبك، ودخلتَ فيما لا أصل له ولا حقيقة؟ فقال: إنَّ صاحبي كان مخلطاً، كان يقول طوراً بالقدر، وطوراً بالجبر، وما أعلمُهُ اعتقدَ مذهباً دام عليه، قال: ودخل مكة تمرّداً وإنكاراً على من يحجُّ، وكان يكره العلماء مساءلته إيَّاهم ومجالسته لهم، لخبث لسانه، وفساد ضميره، فأتى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فجلس إليه في جماعة من نظرائه، ثم قال له: يا أبا عبد الله، إنَّ المجالس أمانات، ولا بدَّ لكلِّ من كان به سعال أن يسعل، فتأذن لي في الكلام؟ فقال الصادق عليه السلام: تكلم بما شئتَ، فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلودون بهذا الحجر، وتعبدون

هذا البيت المرفوع بالطَّوب والمدر، وتهرولونَّ حوله هرولة البعير إذا نفر، من فكَر في هذا أو قَدَّر، علِمَ أنَّ هذا فعلٌ أسَّسه غير حكيم ولا ذي نظر، فإِنَّكَ رأسُ هذا الأمر وسنامه، وأبوكُ أسُّه ونظامه، فقال الصادق عليه السلام: إِنْ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ وَأَعْمَى قَلْبَهُ... وَصَارَ الشَّيْطَانُ وَلِيَّهُ، يُورِدُهُ مَنَاهَلَ الْهَلَكَةِ، ثُمَّ لَا يُصَدِّرُهُ، وَهَذَا بَيْتٌ اسْتَعْبَدَ اللهُ بِهِ خَلْقَهُ؛ لِيُخْتَبَرَ طَاعَتَهُمْ فِي إِيْتَانِهِ، فَحَثَّهِمْ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَزِيَارَتِهِ، وَقَدْ جَعَلَهُ مَحَلَّ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَبْلَةَ لِلْمُصَلِّينَ لَهُ، وَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوَانِهِ، وَطَرِيقٌ يُؤَدِّي إِلَى غَفْرَانِهِ، مَنْصُوبٌ عَلَى اسْتِوَاءِ الْكَمَالِ وَمَجْتَمَعِ الْعِظَمَةِ، خَلَقَهُ اللهُ قَبْلَ دَحْوِ الْأَرْضِ بِالْفَنِيِّ عَامٍ، وَأَحَقُّ مَنْ أُطِيعَ فِيهَا أَمْرٌ، وَأَنْتَهِيَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ اللهُ الْمُنْشِئُ لِلْأَرْوَاحِ وَالصُّورِ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعُوجَاءِ: ذَكَرْتُ -يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ-، فَأَحَلَّتْ عَلَى غَائِبٍ، فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَكَيْفَ يَكُونُ غَائِباً مَنْ هُوَ مَعَ خَلْقِهِ شَاهِدٌ، وَإِلَيْهِمْ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، وَيَرَى أَشْخَاصَهُمْ، وَيَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمَخْلُوقُ الَّذِي إِذَا انْتَقَلَ مِنْ مَكَانٍ، اشْتَغَلَ بِهِ مَكَانٌ، وَخَلَا مِنْهُ مَكَانٌ، فَلَا يَدْرِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ مَا حَدَثَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، فَأَمَّا اللهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَشْتَغَلُ بِهِ مَكَانٌ، فَلَا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى مَكَانٍ... فَقَامَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي الْعُوجَاءِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ أَلْقَانِي فِي بَحْرِ هَذَا؟ سَأَلْتُكُمْ أَنْ تَلْتَمِسُوا لِي خَمْرَةً، فَأَلْقَيْتُمُونِي عَلَى جَمْرَةٍ، قَالُوا: مَا كُنْتَ فِي مَجْلِسِهِ إِلَّا حَقِيراً، قَالَ: إِنَّهُ ابْنُ مَنْ حَلَقَ رِئُوسَ مَنْ تَرَوْنَ» (٢٨).

وكان حال البصرة زمن الإمام الرضا عليه السلام لا تختلف عما ذكرناه؛ إذ ذكر العلامة المجلسي: أنَّ أحد أصحاب الإمام عليه السلام «دخل على أبي الحسن الخراساني عليه السلام،

فقال: إنَّ أهل البصرة سألوا عن الكلام، فقالوا: إنَّ يونس يقول: إنَّ الكلام ليس بمخلوق، فقلتُ لهم: صدَّق يونس، إنَّ الكلام ليس بمخلوق، أمَّا بلغكم قول أبي جعفر عليه السلام حين سُئل عن القرآن: أخالق هو أم مخلوق؟ فقال لهم: ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ، إنَّما هو كلامُ الخالقِ»^(٢٩).

وفي الوقت الذي أشارت فيه الروايات إلى أنَّ من أهل البصرة من لا يعتقد صحَّة مذهب أهل البيت عليهم السلام^(٣٧)، فإنَّها تُشير إلى مدى حكمة الأئمة عليهم السلام في الحفاظ على الشيعة؛ ولهذا نصحوهم باتباع التقيَّة، وإخفاء تشييعهم ريثما تتوسَّع القاعدة، ومن ثمَّ الانتقال إلى مرحلة علنيَّة يستطيعون فيها إظهار مذهبهم على الملأ، ومن دون خوف، ليس على أنفسهم فحسب، وإنَّما على دينهم ومعتقدهم ومذهبهم، وهو أمرٌ جاءت نتائجه الإيجابيَّة على المدى الطَّويل - كما سنرى أثناء البحث -، وما يؤيِّده الواقع البصريُّ الذي نعيشه اليوم.

ثانياً: إرسال الهدايا

ومن مظاهر التَّواصل بين أهل البصرة وأئمة أهل البيت عليهم السلام، إرسال الهدايا إلى الأئمة عليهم السلام، ولا شكَّ في أنَّ الهدية تُعدُّ من مظاهر التَّقدير والمحبة التي يحملها الموالون من أهل البصرة إلى أئمَّتهم، فضلاً عن أنَّها وسيلة يُمكن من خلالها التَّخلُّص من عيون السُّلطة الحاكمة بإرسال الحقوق الشرعيَّة إلى الأئمة عليهم السلام، بدون أن يُصاب أيُّ من الطَّرفين بالأذى؛ ولهذا، فإنَّ مسألة إرسال الحقوق الشرعيَّة للإمام يُمكن أن تحمَلَ في طياتها الكثير من المخاطر، وعليه، نصح الأئمة عليهم السلام أتباعهم باتباع هذا الأسلوب في إيصال الحقوق من أجل التَّخلُّص

من ملاحقة السّلطة، كما هو مشهور في زمن الغيبة من إرسال الحقوق الشّرعيّة إلى الإمام بظروف السّمْن وزقاقه؛ خشيةً من ملاحقة السّلطة العبّاسيّة للشيعة؛ ولهذا اشتهر أحد سفراء الإمام المهديّ بلقب (السّمْن).

ومن الأدلّة التي تُشير إلى إرسال الهدايا، ما ذكره الشيخ الصدوق: «بَرَحَ بي القَرَم إلى لقاء مولانا أبي محمّد عليه السلام، وأنا أريد أن أسأله عن معاضل في التّأويل ومشاكل،...، فوردنا سرّ من رأى، فانتبهنا منها إلى باب سيّدنا، فاستأذنا، فخرج علينا الإذن بالدّخول،...، فما شبّهت وجه مولانا أبي محمّد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلّا ببدرٍ قد استوفى من ليليه أربعاً بعد عشرٍ،...، وبين يدي مولانا رمانة ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركّبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة،...»^(٣٨).

ثالثاً: المصاهرة

ومن مظاهر التّواصل الاجتماعيّ بين أهل البصرة وأئمة أهل البيت عليهم السلام، علاقة المصاهرة التي جمعت الطرفين؛ إذ حرص الأئمة عليهم السلام على مصاهرة البصريّين والزّواج من نسائهم، وهو أمرٌ يدلُّ على مدى تقدير الأئمة لأهل البصرة واحترامهم، فضلاً عن أنّ هذا الأمر يؤدّي إلى رفع منزلة الشيعة في البصرة، ويجعل احتجاجاتهم ومناظراتهم تكون ذات قوّة؛ إذ إنّ الأئمة عليهم السلام عدّوهم كفوّاً لهم، وبمنزلتهم، بعيداً عن التّمييز الطبقيّ الذي كان من أبرز سمات السّلطة الحاكمة على اختلاف حقبتها الزّمنيّة^(٣٩).

ولا شكّ في أنّ مسألة العدالة والمساواة هي من أبرز سمات الدّين الإسلاميّ الذي

جاء ليقضي على التفاخر بالآباء والأجداد، التي هي مسائل جبرية ليس للإنسان دخل في إيجادها، وحث الناس على التعاون والتصاهر فيما بينهم، مع غض النظر عن العرق أو اللغة أو اللون؛ وأكد الدين الإسلامي أن أساس التفاضل بين البشر هو التقوى والعمل الصالح، وهي مسألة عمل الحكام وحاشيتهم والجهلاء من أبناء المجتمع على تحريفها؛ إذ عملوا على إحياء قيم الجاهلية بتقديم أهل البيوتات من قريش على غيرهم من العرب، وتقديم العرب الصليبة على الموالي والعبيد وأهل الذمة^(٤١)، وجعلهم (رعايا من الدرجة الثانية)، وسلبوهم أبسط حقوقهم الشخصية والمدنية؛ من أجل رفع منزلة العرب من بينهم، ويُمكن لنا أن نلمس هذا الأمر من خلال عدة مظاهر، ومنها: المنع من تزويجهم، وعدّهم غير أكفاء للزواج من نساء العرب، ونلمس وجود هذا التمييز في عصر صدر الإسلام والأموي والعباسي على حد سواء^(٤١).

لقد عمل أئمة أهل البيت عليهم السلام من خلال علاقتهم بأهل البصرة على مواجهة هذه الأفكار المنحرفة، فقد ذكر الشيخ الكليني: «مرَّ رجلٌ من أهل البصرة، شيبانيٌّ، يقال له: عبد الملك بن حرملة، على عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: ألك أخت؟ قال: نعم، قال: فتزوِّجنيها؟ قال: نعم، قال: فمضى الرجل، وتبعه رجلٌ من أصحاب عليّ بن الحسين عليهما السلام حتى انتهى إلى منزله، فسأل عنه، فقيل له: فلان بن فلان، وهو سيّد قومه، ثمّ رجع إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام: فقال له: يا أبا الحسن، سألت عن صهرك هذا الشيبانيّ، فزعموا أنّه سيّد قومه، فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: إنّي لأبديك يا فلان عمّا أرى وعمّا أسمع، أما علمت أنّ الله - عزَّ وجلَّ - رفع بالإسلام الخسيسية، وأنتم به الناقصة، وأكرم به اللؤم، فلا لؤم على المسلم، إنّما اللؤم لؤم الجاهلية»^(٤٢).

رابعاً: التّضحيةُ بالنّفسِ

لم تقتصر مظاهر التّواصل بين أهل البصرة وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) على بذل الأموال، وتحمل مشاقّ السّفَر، والصّبْر على ملاحقة السّلطة الحاكمة، وتحمل فراق الأهل والعشيرة، إنّما تعدّى ذلك إلى استعداد البعض من أهل البصرة إلى بذل مهجهم دون الأئمة (عليهم السلام)؛ وذلك بمساندتهم علناً في ثوراتهم ضدّ الحكّام الطّغاة الخارجين عن مبادئ الإسلام، وهو أمرٌ يدلُّ على مدى إيمان هؤلاء بصحّة عقيدتهم ونقاء نفوسهم ونضوج تفكيرهم الذي قادهم إلى الوصول إلى حقيقة أنّ الحياة مع الظّالمين لا تُعدّ إلاّ شقاءً وبرماً، والموت مع الصّادقين ما هو إلاّ السّعادة الأبديّة بالفوز بالجنّة والمغفرة والرّحمة والرّضوان.

وقد أشارت الرّوايات إلى وقوف بعض أهل البصرة إلى جانب الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في حربه ضدّ معاوية بن أبي سفيان -لعنه الله-؛ إذ إنّ بعض أصحاب الإمام (عليه السلام) المعارضين على الصّلح، قالوا له: «ما ينقضي تعجّبنا منك، بايعة معاوية ومعك أربعون ألف مقاتلٍ من الكوفة، سوى أهل البصرة والحجاز! فقال الحسن: كان ذلك، فما ترى الآن؟ فقال: والله، أرى أن ترجع؛ لأنّه نقض العهد، فقال،...: إنّ الغدر لا خير فيه، ولو أردتُ لما فعلتُ»^(٤٣).

وساند بعض أهل البصرة الإمام الحسين (عليه السلام) في النهضة ضدّ يزيد بن معاوية -عليه اللعنة-؛ إذ ذكر الشّيخ المفيد (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م): «وكان توجه الحسين (عليه السلام) من مكّة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة،... وكان قد اجتمع إليه مدّة مقامه بمكّة... نفرٌ من أهل البصرة، انضافوا إلى أهل بيته ومواليه»^(٤٤).

خامساً: التنمية الاجتماعية

ومن مظاهر العلاقة الاجتماعية بين الأئمة عليهم السلام وأهل البصرة ما نلاحظه من حرص الأئمة عليهم السلام على تحقيق التنمية الاجتماعية للمجتمع البصري، «ونعني بالتنمية الاجتماعية: هو تحرك المجتمع المنظم والواعي على الصعيد المادي والمعنوي نحو الأفضل إنسانياً»^(٤٥)؛ من أجل ضمان استقرار المجتمع وتحقيق الأمن والسلم المجتمعي، الذي بدوره يؤدي إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والفكرية، ويسهم في تطور المجتمع وتحقيق التقدم في نواحي الحياة العامة كافة. ويمكن أن نلمس عمل أئمة أهل البيت عليهم السلام على تحقيق التنمية الاجتماعية من خلال عدة مظاهر، منها:

أ- تشجيع الحرية الفكرية وتحقيق التطور الثقافي في المجتمع البصري. ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال عمل أئمة أهل البيت عليهم السلام على ترسيخ مبادئ التفكير الحر، والنقد البناء الذي يؤدي إلى تحقيق الوعي العلمي المقنع، وترك الركون إلى التقليد الأعمى الذي يؤدي إلى الجهل والضلال، وذلك من خلال التركيز على تثقيف فئة الشباب البصري وتعليمهم فقه وعقائد وأصول مذهب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وقد حرص الأئمة عليهم السلام على التركيز على هذه الفئة؛ لأنهم دائماً ما يكونون أسرع في التعلم، فضلاً عن أنهم غالباً ما يكونون بعيدين عن التعصب الأعمى المقيت لقيم ومبادئ الجاهلية. ودليل ذلك ما ذكره الشيخ الكليني من أن رجلاً من أهل البصرة، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام، يقول: تقعدون في المكان فتحدثون وتقولون ما شئتم

وتتبرؤون ممن شئتم وتولون من شئتم؟ قلت: نعم، قال: وهل العيش إلا هكذا»^(٤٦).

وذكر -أيضاً-: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول، وأنا أسمع: أتيت البصرة؟ فقال: نعم، قال: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟ قال: والله، إنهم لقليل، ولقد فعلوا، وإن ذلك لقليل، فقال: عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير، ثم قال: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٤٧)؟ قلت: جعلت فداك، إنهم يقولون: إنهم لأقرب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: كذبوا، إنما نزلت فينا خاصة، في أهل البيت، في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء عليهم السلام^(٤٨).

ب- العمل على القضاء على مسببات الانحراف الأخلاقي والفكري في المجتمع البصري.

ونلاحظ تحرك أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا الجانب من خلال الحرص على تعليم أهل البصرة طرق الوقاية من الأمراض النفسية والجسدية، التي غالباً ما تكون مهيأة لظهور الانحرافات الاجتماعية، المتمثلة بتفشي الجريمة والفساد الأخلاقي، التي عمل الولاة الطغاة الفاسدين على تشجيعها ونشرها في المجتمع البصري.

ودليل ذلك ما هو مشهور من زنا والي البصرة المغيرة بن شعبة؛ إذ ذكر البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): «إن المغيرة جعل يحتلف إلى امرأة من بنى هلال، يقال لها أم جميل بنت محجن،... وقد كان لها زوج من ثقيف،... فبلغ ذلك

أبا بكر بن مسروح، مولى النبي صلى الله عليه وسلم من مولدي ثقيف، وشبل بن معبد بن عبيد البجلي، ونافع بن الحارث بن كلدة الثقفي، وزباد بن عبيد، فرصدوه، حتى إذا دخل عليها هجموا عليه، فإذا هما عريانان وهو متبطنها، فخرجوا حتى أتوا عمر بن الخطاب، فشهدوا عنده بما رأوا»^(٤٩).

ولهذا نرى أئمة أهل البيت عليهم السلام واجهوا هذه الانحرافات، وحاولوا تحصين المجتمع البصري منها، فقد ذكر الشيخ الكليني: أن أحد البصريين من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام سأل الإمام عن «امرأة طلقت على غير السنة، قال: تتزوج هذه المرأة، لا تترك بغير زوج»^(٥٠).

ونقل عن أحد البصريين: أن الإمام الصادق عليه السلام قال له: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما عجت الأرض إلى ربها - عز وجل - كعجيجها من ثلاثة، من دم حرام يسفك عليها، أو اغتسال من زنا، أو النوم عليها قبل طلوع الشمس، ثلاثة لا يتقبل الله لهم بالحفظ»^(٥١).

وحرص الأئمة عليهم السلام على تنظيم العلاقة الزوجية بين الأزواج في المجتمع البصري، فقد روي عن سليمان بن جعفر البصري: «عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام أنه كره أن يغشى الرجل امرأته وهي حائض، فإن غشيها، فخرج الولد مجذوماً، أو أبرص، فلا يلومن إلا نفسه، وعنه قال عليه السلام: وكره أن يغشى الرجل أهله وقد احتلم حتى يغتسل من الاحتلام، فإن فعل، فخرج الولد مجنوناً، فلا يلومن إلا نفسه»^(٥٢).

ج- العمل على تحلي المجتمع البصري بمكارم الأخلاق.

وفي هذا الجانب، نرى حرص الأئمة عليهم السلام على توضيح مفهوم مكارم الأخلاق

للبرصيين، ومن ثمَّ الحثُّ على تحليهم بها، فقد ذكرها الإمام الصادق (عليه السلام) في أحد أحاديثه بأنها تتمثل بـ«اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والرضا، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروءة»^(٥٣).

ولا شكَّ في أنَّ تحلِّي البرصيين بهذه الأخلاق والصفات يُؤدِّي إلى تحقيق الأمان والسلم المجتمعي الذي يُعدُّ بدوره الخطوة الأولى لتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المجتمع، فإنَّه من دون وجود الأمان لوجود لأيِّ تطوُّر، أو تقدُّم في أيِّ ناحية من نواحي الحياة العامَّة.

ومن الأدلَّة على ذلك، ما ذكره البرقيُّ: «عن الحسن البصريِّ، قال: كنتُ مع أبي جعفر (عليه السلام) بمنى، وقد مات رجلٌ من قريشٍ، فقال: يا أبا سعيد، قم بنا إلى جنازته، فلما دخلنا المقابر، قال: ألا أخبركم بخمسة خصالٍ هي من البرِّ، والبرُّ يدعو إلى الجنَّة؟ قلتُ: بلى، قال: إخفاء المصيبة وكتمانها، والصَّدقة تُعطيها بيمينك لا تعلمُ بها شمالك، وبرُّ الوالدين، فإنَّ برَّهما لله رضَى، والإكثار من قول: (لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم)، فإنَّه من كنوزِ الجنَّة، والحبُّ لمحمَّد وآلِ محمَّد (عليه السلام)»^(٥٤).

وفي هذا المعنى الدالُّ على حثِّ المجتمع البصريِّ على شكر النعمة والرضا بالمقسوم من الله جلَّ وعلا، يروي أحد البرصيين من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) عنه (عليه السلام) قوله: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عليُّ، إنَّ الله جعلَ الفقرَ أمانةً عند خلقه، فمن ستره كان كالصائم، ومن أفشاهُ إلى من يقدر على قضاء حاجته، فلم يفعل، قتله، أمَّا إنَّه ما قتله بسيفه ولا رحمه، ولكنَّ بما أنكر من قلبه»^(٥٥).

ومن مكارم الأخلاق، الحثُّ على تبادل الزيارات بين أبناء المجتمع من

أجل تقوية أو اصر الروابط الاجتماعية بين الأُسَر البصريّة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وقومياتهم؛ من أجل تقليل الفوارق الطبقيّة بين أبناء المجتمع، وجعلهم وحدة واحدة بوجه التحدّيات الداخليّة والخارجيّة التي تُحاول التّفريق بين أبناء المجتمع الواحد.

ولهذا نجد الأئمة عليهم السلام حثّوا أبناء البصرة على إكرام الصّيف وعدم التّثاقل منه، فقد ذكّر الشيخ الكلينيّ، عن سليمان بن حفص البصريّ ^(٥٦): «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصّيف يُلطّفُ لَيْلَتَيْنِ، فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الثَّالِثَةِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يَأْكُلُ مَا أَدْرَكَ» ^(٥٧)، وفي روايةٍ أخرى: «إِنَّ الصّيفَ إِذَا جَاءَ فَزَلَ بِالْقَوْمِ جَاءَ بَرزِقِهِ مَعَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَإِذَا أَكَلَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُمْ بِنزوله عليهم» ^(٥٨).

ومن مظاهر مكارم الأخلاق التي حثّ الأئمة عليهم السلام أهل البصرة على التّحليّ بها، هو شكر النّعمة وإظهارها للنّاس، والنّهي عن الرّياء، ودعّوهم إلى أن تكون سريرتهم مثل علانيتهم، وأنّ الله يُحبُّ أن يرى نعمته على عبده إذا كانت عن طريق حلال، وتمّ إخراج الحقوق الشرعيّة منها، ذكر الشيخ الكلينيّ: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، يَقُولُ: بَيْنَا أَنَا فِي الطَّوْافِ، وَإِذَا بَرَجُلٌ يَجْذِبُ ثَوْبِي، وَإِذَا هُوَ عَبَادُ بْنُ كَثِيرٍ الْبَصْرِيُّ، فَقَالَ: يَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، تَلْبَسُ مِثْلَ هَذِهِ الثِّيَابِ وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، مَعَ الْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ مِنْ عَلِيِّ عليه السلام، فَقُلْتُ: ثَوْبٌ فَرُقْبِي اشْتَرَيْتَهُ بِدِينَارٍ، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام فِي زَمَانٍ يَسْتَقِيمُ لَهُ مَا لَبَسَ فِيهِ، وَلَوْ لَبَسْتُ مِثْلَ ذَلِكَ اللَّبَاسِ فِي زَمَانِنَا لَقَالَ النَّاسُ هَذَا مُرَاءٍ مِثْلَ عَبَادٍ» ^(٦٠).

الخاتمة

وفي نهاية البحث، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- 1- أشارت المصادر الأوّلية -ومن مختلف الفرق الإسلامية- إلى وجود علاقة اجتماعية ربطت أئمة أهل البيت عليهم السلام بأهل البصرة، تنوّعت جوانبها بين الإيجابي والسلبي، وذلك بحسب الخلفية الفكرية التي يحملها أهل البصرة، فضلاً عن ولاءاتهم السياسية.
- 2- كانت مظاهر الجانب الإيجابي متعدّدة ومتنوّعة وكثيرة، فقد سعى أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من أهل البصرة إلى إدامة التّواصل والحوار فيما بينهم من أجل إصلاح المجتمع البصريّ من الانحراف الفكريّ الذي كان غارقاً فيه نتيجة سياسة الولاة الذين تعاقبوا على إدارة البصرة.
- 3- كان من نتيجة الانحراف الفكريّ الذي كان يعيشه المجتمع البصريّ أن أصبح الأعمّ الأغلب منه إلى جانب السلطة الحاكمة في حقب زمنية مختلفة، وعلى الرّغم من هذا الخذلان، لمنا حرص أئمة أهل البيت عليهم السلام وعملهم -بمختلف السبل الممكنة- على تخليص البصريين من هذا النهج الخاطيء، وكان هذا بمساعدة أتباعهم القلة في هذا المجتمع، فكانت المراسلة وتبادل الزيارات والمصاهرة من أبرز الوسائل في ذلك.

٤- سعى أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى تحقيق التنمية الاجتماعية في المجتمع البصريّ بما أُتيح لهم من مساحةٍ للتحرّك مع أتباعهم القلّة في المجتمع -آنذاك- عن طريق تشجيع الحرّيّة الفكرية والنقد البناء للواقع الإسلاميّ، والحثّ على التّحلّي بمكارم الأخلاق.

٥- إنّ منهج الأئمة عليهم السلام في إصلاح المجتمع البصريّ وتخليصه من رواسب الجاهليّة قد أتى أكله على المدى القصير؛ إذ نلاحظ أنّ بعض المنحرفين عن منهج أهل البيت عليهم السلام، سواء كانوا علماء أم متعلّمين، قد استبصروا ودخلوا في مذهب التّشيع، إلّا أنّ التقيّة كانت هي الحامي لهم من أخطار إعلان تشييعهم على الملأ. ولم تقتصر نتائج منهج الأئمة عليهم السلام في إصلاح المجتمع البصريّ على المدى القصير، إنّما تعدّى ذلك إلى المدى الطّويل -أيضاً-، وهو ما نعيشه ونلمسه على أرض الواقع في الوقت الحاضر؛ إذ إنّ التّشيع والموالاة لأئمة أهل البيت عليهم السلام من سمات الأعمّ الأغلب من أهل البصرة.

الهوامش

- ١- يُنظر: أ. د. جواد كاظم النصر الله، أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام في رحاب البصرة، مراجعة وتدقيق مركز تراث البصرة، مطبعة دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، البصرة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).
- ٢- الكلينيّ، الكافي: ٣١٦/٨.
- ٣- كامل الزيارات: ص ٨٩.
- ٤- مسمع كردين ابن مالك، من أهل البصرة، وصفه الشيخ الطوسي: أنه ثقة، يُنظر: الطوسي، اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي: ٥٩٨/٢.
- ٥- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهم السلام: ص ١١٢.
- ٦- الطبرسي، مكارم الأخلاق: ص ٨٠.
- ٧- مناقب آل أبي طالب: ٤٥٤/٣.
- ٨- التوحيد: ص ٩٢.
- ٩- الحجاج بن سفیان العديّ، روى عن العسكري عليه السلام، كان إمامياً، يُنظر: السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٥٦٥/٤.
- ١٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٢٧٤/٥٠؛ ويُنظر: قطب الدّين الراوندي، الخرائج والجرائح: ٤٤٨/١.
- ١١- سورة الأعراف: ١٥١.
- ١٢- أراد الإمام عليه السلام تمام سورة القدر.
- ١٣- أحمد بن أبي دؤاد بن جرير، أبو عبد الله، القاضي، الإياديّ، ولي قضاء القضاة للمعتصم، ثمّ للوائق، وكان موصوفاً بالجوّد والسّخاء، وحسن الخلق، ووفور الأدب، غير أنّه أعلن بمذهب الجهميّة، وابتلى النّاس بمحنة خلق القرآن، وسعى في قتل مولانا الإمام أبي جعفر الجواد عند المعتصم، فابتلي في آخر عمره بنكبة الزّمان والفالج، وفي سنة أربعين ومائتين مات ودفن في داره ببغداد، يُنظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد أو

- مدينة السلام: ٣٧٧/٤؛ والشيخ عباس القمي، الكنى والألقاب: ١٩٤/١.
- ١٤- علي بن مهزيار الأهوازي، أبو الحسن، دورقي الأصل، مولد، كان أبوه نصرانياً فأسلم، وقد قيل: إن علياً - أيضاً - أسلم وهو صغير، ومن الله عليه بمعرفة هذا الأمر، وتفقهه، وروى عن الرضا وأبي جعفر عليهما السلام، واختص بأبي جعفر الثاني عليه السلام، وتوكل له، وعظم محله منه، وكذلك أبو الحسن الثالث عليه السلام، وتوكل لهم في بعض النواحي، وخرجت إلى الشيعة فيه توقيعات بكل خير، وكان ثقة في روايته، لا يُطعن عليه، صحيحاً اعتقاده. النجاشي، رجال النجاشي: ص ٢٥٣.
- ١٥- الكافي: ٣١٦/٥.
- ١٦- الكليني، الكافي: ٢٤٩/١.
- ١٧- سورة الأنفال: ٢٥.
- ١٨- سورة آل عمران: ١٣٨.
- ١٩- الكليني، الكافي: ٢٤٩/١.
- ٢٠- الصّغار، بصائر الدرجات: ص ٢٤٠.
- ٢١- بصائر الدرجات: ص ٢٤٠.
- ٢٢- بصائر الدرجات: ص ٢٤٢. وللمزيد عن فضل السورة، يُنظر: الكليني، الكافي: ١/٢٤٢-٢٥٣، باب في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.
- ٢٣- المُرجئة: هم الذين يقولون بالإرجاء في الإيمان، ومنهم من وافق القدرية في القول بالقدر، ومنهم من وافق الجهمية في القول بالجبر، وانفرد فريق منهم بالإرجاء المحض، وهم يؤخرون العمل عن الإيمان؛ الحروية: الخوارج، وإنما سُموا بذلك؛ لأنهم لما فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام نزلوا حروراء، وذلك عند منصرفه عليه السلام من صفين ورجوعه إلى الكوفة، يُنظر: الطوسي، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: ٤/٨٨، الهامش.
- ٢٤- الكافي: ٣٨٧/٢.
- ٢٥- الكافي: ١/١٦٢.
- ٢٦- عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة، زنديق،... لما أخذ لتضرب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام، قتله محمد بن سليمان العبّاسي، الأمير بالبصرة. الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٢/٦٤٥.
- ٢٧- الحسن البصري، أبو سعيد بن أبي الحسن يسار، مولد زيد بن ثابت الأنصاري، أخو

- سعيد وعارة، وأمهم خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ، كان الحسن أحد الزهاد الثمانية، وكان يلقي الناس بما يهون، ويتصنع الرئاسة، وكان رئيس القدرية، قال ابن أبي الحديد: ومَن قيل إنه يُغض علياً ويذمه: الحسن بن أبي الحسن البصري، وروي أنه كان من المخدلين عن نصرته. الشيخ عباس القمي، الكنى والألقاب: ٢ / ٨٤.
- ٢٨- الأمالي: ص ٧١٦؛ ويُنظر: الكليني، الكافي: ٤ / ١٩٨.
- ٢٩- بحار الأنوار: ١٢١ / ٨٩.
- ٣٠- الأحنف بن قيس، واسمه الضحّاك بن قيس بن معاوية، ويُكنى الأحنف بأبي بحر، وكان ثقةً مأموناً قليل الحديث، وفد على مصعب بن الزبير في الكوفة، فتوفي فيها سنة ٦٧هـ، كان من قواد جيش الإمام عليّ يوم صفين، يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٧ / ٩٧؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٨٦.
- ٣١- مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٣٨.
- ٣٢- الكليني، الكافي: ٤ / ٥٧٦.
- ٣٣- تهذيب الأحكام: ٣ / ٢٧.
- ٣٤- الخصبي، الهداية الكبرى: ص ٤٢٦.
- ٣٥- لم نعر على ترجمة له.
- ٣٦- المحاسن: ١ / ٢٠٣.
- ٣٧- للمزيد من الروايات التي تُشير إلى هذا المعنى، يُنظر: السيّد ابن طاووس، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم: ص ٢٣٧؛ والمجلسي، بحار الأنوار: ٤٩ / ٢٧٩.
- ٣٨- كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري: ص ٤٥٧؛ ويُنظر: الطبري الشيعي، دلائل الإمامة: ص ٥٠٩.
- ٣٩- للمزيد عن التمييز الطبقي في المجتمع الإسلامي ودور الأئمة في مواجهته، يُنظر: علاء حميد فيصل، الطبقة في الإسلام وموقف أئمة أهل البيت منها حتى وفاة الإمام الصادق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية-جامعة البصرة (١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).
- ٤٠- يُنظر: علاء حميد فيصل، مصدر سابق: ص ٥-٢٦.
- ٤١- للدلالة على ذلك، يُنظر: الجاحظ، العشائرية: ص ٢١١؛ والأردبي، الإيضاح: ص ٢٨٠؛ وعلاء حميد فيصل، مصدر سابق: ٢٧٥-٢٨٠.

- ٤٢- الكافي: ٣٤٤ / ٥.
- ٤٣- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١٩٧ / ٣.
- ٤٤- الإرشاد: ٦٦ / ٢.
- ٤٥- الشيخ حسن الجواهري: ٣٩٥ / ٦.
- ٤٦- الكافي: ٢٢٩ / ٨.
- ٤٧- سورة الشورى: ٢٣.
- ٤٨- الكليني، الكافي: ٩٣ / ٨.
- ٤٩- فتوح البلدان: ٤٢٣ / ٢.
- ٥٠- الكافي: ٢٩٢ / ٣.
- ٥١- الصدوق، الخصال: ص ١٤١.
- ٥٢- البرقي، المحاسن: ٣٢١ / ٢.
- ٥٣- الصدوق، معاني الأخبار: ص ١٩٢.
- ٥٤- المحاسن: ٩ / ١.
- ٥٥- الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ١٨٣.
- ٥٦- سليمان بن حفص البصري: لم يذكره. روى الحسن بن أبي الحسن الفارسي، عنه، عن الصادق عليه السلام له رواية في الكتب الأربعة، كما في يُنظر: الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث: ١٢٦ / ٤.
- ٥٧- الكافي: ٢٨٣ / ٦.
- ٥٨- الكافي: ٢٨٤ / ٦.
- ٥٩- عبّاد بن كثير الثقفي، البصري، العابد، يروي عن: يحيى بن أبي كثير، وثابت، وأبي عمران الجوني، وأبي الزبير، وعنه: إبراهيم بن أدهم، وأبو نعيم،... قال البخاري: تركوه، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن أبي رزمة: ما أدري من رأيت أفضل منه، فإذا جاء الحديث، فليس منها في شيء، يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠٦ / ٧.
- ٦٠- الكافي: ٤٤٣ / ٦.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
- ٢- الكامل في التاريخ، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦م.
- الأزدي، الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣م).
- ٣- الإيضاح، تحقيق: جلال الدين الحسيني، ط ١، الناشر: مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه، طهران، ١٣٦٣هـ.
- البرقي، أحمد بن محمد (ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م).
- ٤- المحاسن، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، ط ١، المطبعة: رنكين-تهران، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
- ٥- فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م).
- ٦- العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة دار الكتاب العربي، الناشر: مكتبة الجاحظ، (م.د)، (د.ت).
- الخصيبي، الحسين بن همدان (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م).
- ٧- الهداية الكبرى، ط ٤، المطبعة والناشر: مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٣٦٤هـ / ١٠٧٠م).
- ٨- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
- ٩- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مأمون الصاغرجي، ط ٩، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، الناشر: دار

- المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
- ابن سعد، محمد بن سعد، البصري (ت ٢٣٠هـ/٩٤١م).
- ١١- الطبقات الكبرى، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م).
- ١٢- مناقب آل أبي طالب، تصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.
- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ/٩٩١م).
- ١٣- الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط ١، الناشر: مركز
الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، طهران، ١٤١٧هـ.
- ١٤- التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: منشورات جماعة المدرسين
في الحوزة العلمية، قم، (د.ت).
- ١٥- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تحقيق: السيد محمد مهدي، السيد حسن الخراسان،
ط ٢، مطبعة أمير، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٨هـ.
- ١٦- الخصال، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٢، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في
الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.
- ١٧- علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، الناشر: المكتبة الحيدرية ومطبعتها،
النجف الأشرف، ١٣٥٨هـ/١٩٦٦م.
- ١٨- كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٥هـ.
- ١٩- معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين، قم، ١٣٦١هـ.
- الصّقّار، محمد بن الحسن (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م).
- ٢٠- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهم السلام، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجة
باغي، مطبعة الأحمدي، الناشر: منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.
- الطبرسي، أحمد بن علي (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م).
- ٢١- مكارم الأخلاق، ط ٦، الناشر: منشورات الشريف الرضي، إيران، ١٩٧٢م.

- الطبري الشيعي، محمد بن جرير بن رستم (ت ق ٤٤٠/هـ ١٠٠م).
- ٢٢- دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط ١، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠/هـ ١٠٦٧م).
- ٢٣- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة: بعثت قم، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ.
- ٢٤- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٤، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ.
- ٢٥- تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٤، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ.
- ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت ٣٦٨/هـ ٩٧٨م).
- ٢٦- كامل الزيارات، تحقيق: الشيخ جواد القمي، ط ١، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة نشر الفقهة، إيران، ١٤١٧هـ.
- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩/هـ ٩٤٠م).
- ٢٧- الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٥، مطبعة حيدري، طهران، ١٣٣٦هـ.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١/هـ ١٦٩٩م).
- ٢٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢، تحقيق: يحيى العابدی، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- المفيد، محمد بن محمد (ت ٤١٣/هـ ١٠٢٢م).
- ٢٩- الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ٢، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- النجاشي، أحمد بن علي (ت ٤٥٠/هـ ١٠٥٨م).
- ٣٠- فهرست أسماء مصنفي الشيعة، المشتهر باسم (رجال النجاشي)، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، (د.ت).

- المراجع:

- الأمين، السيد محسن (ت ١٣٧١هـ).

٣١- أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت،
(د.ت).

- الشاهرودي، علي التمازي.

٣٢- مستدركات علم رجال الحديث، ط ١، مطبعة حيدري، طهران، ١٤١٤هـ.

- فيصل، علاء حميد.

٣٣- الطبقة في الإسلام وموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام منها حتى وفاة الإمام الصادق عليه السلام،
أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

- القمي، الشيخ عباس (ت ١٣٥٩هـ).

٣٤- الكنى والألقاب، تقديم: محمد هادي الأميني، الناشر: مكتبة الصدر، طهران،
(د.ت).

- النصر الله، أ.د. جواد كاظم.

٣٥- أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في رحاب البصرة، مراجعة وتدقيق: مركز تراث
البصرة، مطبعة دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، البصرة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

البصرةُ منْ خلالِ رحلةِ (كارستن نيبور)
عام (١٧٦٥م)

Basrah through the journey of (Carsten Niebuhr)
in (1765)

أ.د. شاکر مجید کاظم - م.د. محمد سلمان منور
جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم التاريخ

Assistant Professor.Dr. Shaker Majeed Kadhem
Dr.Mohammed Salman Manwar

History Department/College of Arts/University of
Basrah

ملخص البحث

تشكّل كتابات الرّحالة الأجنبيّ مصدرًا مهمًّا لدراسة تاريخ العراق الحديث، لاسيما خلال حقبة الحكم العثمانيّ للعراق، وتكمن أهمّيّتها لا في عددها الضّخم فحسب، بل في ما تحويه من مادّة تاريخيّة غزيرة، ومنهجية في تقديمها؛ إذ قدّمت وصفاً واسعاً ودقيقاً لمختلف جوانب الحياة اليوميّة؛ بشكلٍ مختلفٍ، وأسلوبٍ مُتمعٍ تفتقر إليه أغلبُ مصادرنا المحليّة التي خاضتْ وعُنيتْ بتاريخ تلك الحقبة. وهذه الدراسة تُعنى بالبحث في أوضاع البصرة خلال العهد العثمانيّ بالاعتماد على ما كتبه الرّحالة الألمانيّ (كارستن نيبور)، الذي وصل إلى البصرة في عام (١٧٦٥م)، ونيبور من أكثر الرّحالة الأوربيّين دقّة في المشاهدة والتّوثيق؛ إذ يُعدّ أوّل رّحالة رسم لنا خرائط الأماكن التي زارها بصورةٍ دقيقة، ما جعله مصدراً موثوقاً، مقارنةً بأقرانه من الرّحالة الآخرين، مُقدّماً مادّةً تاريخيّةً مهمّةً، لها قيمتها في توضيح الأحداث واستقرائها، على الخصوص أوضاع البصرة في ذلك الوقت.

Abstract

The writings of foreign travelers are considered an important source to study the modern history of Iraq, especially during the Ottoman rule of Iraq. This importance is not attributed to the great number of these writings, but also to the rich historical material they contain and the methodology of their presentation. They offered an accurate and a comprehensive description of the different aspects of daily life in a different and interesting style, that is not found in most of the local sources that approached and studied that period of time. The present study explores the city of Basra conditions during the Ottoman era based on the writing of the Cariston Niebuhr who arrived at Basra in ١٧٦٥. He is one of the well-known European travelers who is known by his accuracy of observation and documentation. He is the first traveler who accurately drew maps to the places that he visited. This made him a reliable source in comparison with his travelers peers due to the significance of the historical data he has presented which contributed to shed light, notably on the events of that time.

مقدمة

تُعدّ كتب الرّحلات أو ما يُعرف -اصطلاحاً- بأدب الرّحلات مصدراً مهمّاً من مصادر كتابة التّاريخ، لاسيّما التّاريخ الحديث؛ إذ نشطت خلاله الرّحلات التي كان الباحثون والرّحالة الأوروبيون من أبرز روادها. إنّ أهمّيّة تلك الرّحلات تكمن في أنّ كاتبها حاول أن يرسم، أو يُصوّر كلّ ما جرى من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلته إلى الأماكن والبلدان التي زارها وبشكل دقيق جدّاً، بحيث تتناول أغلب جوانب الحياة العامّة للبلدان التي يزورها أو يمرّ بها؛ لذا، فإنّ أهمّيّتها تتعدّى الجوانب التّاريخيّة والجغرافيّة لتشمل الجوانب الاقتصاديّة والاجتماعيّة، الأمر الذي يُضفي على تلك الكتابات جانباً كبيراً من المتعة والتشويق لقراءتها.

حضيت مدينة البصرة باهتمام كبيرٍ من قِبَل الرّحالة الأوروبيين خلال العصر الحديث، وحتىّ الرّبع الأوّل من القرن العشرين، فقد حرص الكثير من أولئك الرّحالة على زيارتها والبقاء فيها مدّة من الزمن، ليس لكونها واحدة من أهم ولايات الدّولة العثمانيّة التي كانت محطّ اهتمام أولئك الرّحالة فحسب، بل لأهمّيّتها التّاريخيّة والجغرافيّة والحضاريّة، ولأنّها تُعدّ نقطة استراتيجيّة مهمّة على طريق التّجارة العالميّة بين الشّرق والغرب؛ لكونها تشكّل بداية الطريق البرّيّ

بين شمال الخليج العربيّ والبحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن كونها تقع في نهاية الطريق التجاريّ البحريّ بين الهند وجنوب شرق آسيا، وإلى آخر نقطة في شمال الخليج العربيّ، بل تتعدّها إلى أكثر من ذلك، من خلال الملاحة في شطّ العرب، ونهري دجلة والفرات في عمق الأراضي العثمانيّة آنذاك.

كانت رحلة (كارستن نيبور) إلى مدينة البصرة في عام (١٧٦٥م)، من أشهر الرّحلات التي تناولت المدينة وتاريخها، وكثيراً من جوانب الحياة العامّة فيها؛ إذ تُعدّ أولى الرّحلات التي تركت لنا وصفاً دقيقاً عن البصرة، كما سنلاحظ ذلك من خلال البحث.

وأخيراً، لا بدّ من أن تُبيّن أن البحث اقتصر على مدينة البصرة فقط، ولم يتمّ التوسّع فيه إلى المدن والمناطق المجاورة لها، أو التّابعة إليها إدارياً.

البصرة في رحلة (كارستن نيبور)

شكّلت كتابات الرّحالة الأجنبيّ مصدرأ مهمّاً لدراسة تاريخ العراق الحديث، لاسيّما خلال عهد الحكم العثمانيّ للعراق الذي امتدّ بين عامي (١٥٣٤م - ١٩١٧م)، وتكمن أهمّيّتها لا في عددها الضّخم^(١) فحسب، بل في ما تحويه من مادّة تاريخيّة غزيرة، ومنهجية مختلفة في تقديمها، فقد قدّمت وصفاً واسعاً ودقيقاً لمختلف جوانب الحياة اليوميّة، بشكلٍ مختلفٍ، وأسلوبٍ ممتعٍ تفتقر إليه أغلبُ مصادرنا المحليّة التي خاضتْ وعُنيَتْ بتاريخ تلك الحقبة^(٢).

كان العراق محطّ اهتمام الرّحالة الغربيين في العصور الحديثة، حالة حال معظم بلدان الشرق، وبخاصّة بلدان الشرق الأدنى، فمنذ بداية القرن السادس

عشر الميلاديّ، وما تلا ذلك، أخذ الرّحالة الأوروبيّون بالتوجّه نحو الشّرق^(٣)، خصوصاً بعد أن طرأت تغييرات في نظرة الدّول الأوروبيّة المسيحيّة للإسلام، فقد تراجعت النّظرة الدّينيّة المتشدّدة التي كانت الأساس الحاكم لعلاقات وتعاملات أوروبّة مع المسلمين، مقابل حصول العلاقات التّجاريّة بين الطرفين، والتي تكفّلت بالتخلّي أو التقليل من حجم التّحفّظات النّقديّة أو الدّينيّة^(٤).

تطوّرت الرّحلات خلال القرن السّابع عشر الميلاديّ من رحلات فرديّة يقوم بها أشخاص معيّنون، بدافع حبّ الاستكشاف وروح المغامرة، إلى واحدة من أبرز اهتمامات الحكومات الأوروبيّة التي أخذت تعمل على استكشاف الشّرق، لاسيّما في أواخر هذا القرن؛ إذ تحوّلت الرّحلة شأنًا من شؤون الدّولة، بناء على توصيات من قبل الدّوائر الرّسميّة والتّجاريّة في تلك الدّولة.

وفي مطلع القرن الثامن عشر الميلاديّ ازداد الاهتمام بالرّحلات بشكل أكبر من قبل الحكومات الأوروبيّة، بعد أن بدت أوروبّة خلال هذا القرن واثقة من نفسها ومن قدراتها للبدء بالسيطرة على بقية أجزاء العالم، وخاصّة بلاد الشّرق، فقد اعتبرت أوروبّة نفسها أنّها تعرف الشّرق بشكل كافٍ، ما يُمكنّها من اختراجه عملياً^(٥)، فاحتدم الصّراع الدّوليّ والتنافس التّجاريّ بين أغلب القوى الأوروبيّة الطامعة في الشّرق آنذاك^(٦).

ثمّة عدّة أسباب جعلت البصرة تحظى باهتمام متزايد من خلال الرّحالة، ومنها: أهمّيّتها التّجاريّة في العصر الحديث، التي ازدهرت خلال تلك الفترة، وشهرتها التّاريخيّة المعروفة، فضلاً عن موقعها الاستراتيجيّ المهمّ؛ لذا فقد تناولت كتب الرّحلات تاريخ البصرة بشكلٍ مُفصّلٍ، ولم تترك جانباً منه إلاّ

وتناولته بالشرح والتحليل^(٧)، وفي هذا السياق، فإنَّ رحلة الرَّحالة الألمانيِّ (كارستن نيبور) تُعدُّ واحدة من أهمِّ تلك الرَّحلات الأوروپيَّة؛ لما امتاز به من وصف دقيق للبصرة خلال رحلته إليها، وبخاصَّة ما قدَّمه من خرائط وصور للمدينة عندما زارها في عام (١٧٦٥م).

وقبل الخوض في تفاصيل رحلته إلى البصرة^(٨)، لا بدُّ من التطرُّق إلى شخصيَّة صاحب الرَّحلة، وهو الألمانيِّ (كارستن نيبور).

وُلد (كارستن نيبور) في السَّابع عشر من آذار (١٧٣٣م) في مدينة (لودينغورث Ludingworth)، في ولاية هانوفر شمال غرب ألمانيا، لأبٍ فلاح، وقد مارس (نيبور) الزَّراعة في مطلع حياته، لكنَّه درس الرياضيات بعد أن أظهر ميلاً للدراسة في جامعة (غوتينغن Gottingen) الشهيرة بدراسة الرياضيات والطبيعة^(٩)، وقد تلقَّى -أيضاً- دروساً في علم المساحة والخرائط^(١٠).

دُعِيَ (نيبور) في عام (١٧٦٠م) لالتحاق بالرَّحلة البحثيَّة الفنيَّة للبحوث العلميَّة^(١١)، التي قرَّر الملك (فردريك الخامس Frederick v) -ملك الدانمارك والنرويج^(١٢)- إرسالها إلى الشَّرق الأدنى وجنوبي جزيرة العرب بصفة خاصَّة؛ إذ كُلف نيبور القيام بالأبحاث الجغرافيَّة^(١٣)، بينما كانت مهمَّة العلماء الأربعة الاسكندنافيِّين العمل في تدقيق اللُّغات وعلوم الطبيعة^(١٤).

وفي السَّابع من كانون الثاني (١٧٦١م) أبحرتُ البعثة على متن أسطول حربيٍّ^(١٥)، وبعد عناء كبير وصلتُ البعثة الدانماركيَّة إلى إسطنبول (القُسطنطينيَّة) في (٣٠ تموز ١٧٦١م)، ثمَّ انتقلتُ بعد ذلك إلى الإسكندريَّة، التي وصلتُها في

(٢٦ أيلول ١٧٦١م)، فمكثت البعثة في مصر قرابة السنّة، وفي صيف عام (١٧٦٢م) ترافق نيبور مع فون هافن في مهمّة خاصّة، وهي محاولة اقتفاء خُطوات النّبِيِّ موسى عليه السلام وخروجه وقومه من مصر إلى بلاد كنعان (فلسطين)، واكتشاف كلّ أثرٍ لمسيرتهم عبر صحراء سيناء^(١٦)، ثمّ انتقلوا بعدها إلى الجزيرة العربيّة، وذلك في تشرين الأوّل عام (١٧٦٢م)؛ إذ أبحر الرّجال الخمسة ومعهم خادمهم السّويديّ جنوباً في البحر الأحمر، متّجهين صوب جدّة، ثمّ مكّة، وبعدها اتّجهوا نحو اليمن، فوصلوا إلى ميناء (اللّحية)، وبعد ذلك أخذوا يتنقلون في المدن والقرى اليمنيّة^(١٧).

وصل (كارستن نيبور) إلى البصرة في أوائل شهر آب (١٧٦٥م)، وقد سجّل لنا كثيراً من الملاحظات عن المدينة، ومختلف جوانب الحياة العامّة فيها، وافتتح تلك الملاحظات بتحديد موقعها بالنّسبة إلى خطوط العرض، فذكر أنّها تقع على خطّ العرض (٣٠-٣٠) ^(١٨)، وحّد محيطها بالاعتماد على طول السور الذي يحيط بها بحدود (١ $\frac{11}{22}$) ميلاً ألمانياً^(١٩)، وهي بذلك تكون واحدةً من المدن الواسعة نسبياً في ذلك الوقت، كما يؤكّد نيبور^(٢٠).

المظاهر العمرانيّة

بالرّغم من سعة مدينة البصرة، فإنّ مظاهر العمران والبناء فيها لم يكن متناسباً مع تلك السّعة؛ إذ يذكر نيبور أنّها «لا تكون عامرة بالبناء، بل تكتظّ بساتين التّمر...»^(٢١)، ويُرجع نيبور سبب ذلك إلى افتقار البصرة للصّخور والأحجار، وإلى انتشار المستنقعات فيها، ويبدو أنّ ذلك جعل من الصّعوبة

بمكان نقل الصّخور والأحجار إليها في ذلك الوقت .
ويُلاحظ -أيضاً- أنّ موادّ البناء كانت باهضة الثّمّن في تلك الفترة،
ويصعب على جميع النّاس الحصول عليها بسهولة، وكانت لا تُستعمل إلاّ في
المساجد والأبنية التّابعة للوجهاء والأثرياء، أمّا عامّة النّاس، فكانوا يعتمدون
على جذوع النّخل، والقصب في بناء مساكنهم؛ إذ بيّن ذلك بقوله: «وعليه،
فإنّ وجود الحجارة المصقولة هو أمر نادر، ويُسْتثنى من ذلك احتمال وجودها
على باب أحد الجوامع، وعليه، فلو استثنينا جذوع النّخل المستعملة في تشييد
البيوت الرّديئة، فإنّ أخشاب البناء هي الأخرى غالية الثّمّن»^(٢٢). ومع هذا، فإنّ
المدينة لم تخل من الأبنية المشيّدّة من موادّ البناء الجيدة؛ إذ تنتشر فيها بيوت مشيّدّة
من «الكلس»^(٢٣) والطابوق المفخور، وأنّ كثيراً من الجدران مكسوّة بمثل هذه
الحجارة فقط، وإلى جانب ذلك، تجد أنّ أكثر البيوت وكذلك أسوار المدينة مشيّدّة
من طابوق قد صُبّ بشكلٍ خاصّ، وجفّف في الشّمس -طابوق اللّبن-^(٢٤)،
فملاحظات نيبور بشأن المظاهر العمرانيّة لمدينة البصرة تُظهر أنّها كانت فقيرة في
هذا الجانب؛ مقارنة بسمعتها ومكانتها وامتدادها التاريخي، فضلاً عن أهمّيّتها
التجاريّة، وأنّها كانت تفتقر إلى البنى الخدميّة التحتيّة التي تُهيئ أجواءً صحيّة
ملائمة للعيش فيها، على الرّغم من كونها تضمّ الكثير من الأنهار والجداول
المرتبطة بحركة ظاهرة المدّ والجزر من خلال شطّ العرب، فيشير إلى ذلك بقوله:
«وحيث إنّ مستوى الآخر يرتفع بسبب المدّ إلى تسعة أقدام تقريباً، فالمفروض
أنّ يساعد هذا الأمر كثيراً على المحافظة على نظافة المدينة. وتجد أنّ أكثر البيوت
تصبّ المياه القذرة (الملوّثة) في الطرقات التي ليست مُعبّدة بالحجارة...»^(٢٥).

عانت البصرة إهمالاً كبيراً طول القرن الثامن عشر^(٢٦)؛ لذلك كان وضعها العمرانيّ باقياً على ما كان عليه عندما زارها نيبور في عام (١٧٦٥م)، ولعلّ أهمّ مظهر من مظاهر الإهمال الذي عانته البصرة آنذاك، هو أنّها كانت تتأرجح إدارياً بين كونها ولاية مرّة، ومُتسلّميّة وسنّجق مرّة أخرى، وأنّ ضعف موقف العثمانيّين في الخليج العربيّ منذ مطلع ذلك القرن، أدّى بدوره إلى ضعف الاهتمام بالبصرة من الناحية السياسيّة والإداريّة، فهم لا يختارون لها ولايةً من رتبٍ عاليةٍ إلّا نادراً، فمنذ عام (١٧٠٩م) أنيط أمر تعيين الحكّام على البصرة لوالي بغداد، الذي كان يُعيّن نواباً له فيها بصفة (مُتسلّمين) يديرون شؤونها، واستمرت تلك الحالة حتّى عام (١٨٧٥م) عندما عادت البصرة لتصبح ولاية تابعة للباب العالي مباشرة^(٢٧).

إنّ بإلقاء نظرة على صورة المخطّط الذي رسمه نيبور للبصرة، نلاحظ أنّ مدينة البصرة مُحاطة بسورٍ من ثلاث جهات، هي: الشّمال والشّمال الغربيّ، والغرب، والجنوب والجنوب الشرقيّ، أمّا شطّ العرب، فإنّه يحدّها من جهة الشّمال الشرقيّ، ويحدها سورها نهران كبيران، هما: نهر الخندق من جهة الشّمال والشّمال الغربيّ، ونهر الخورة من جهة الجنوب الشرقيّ، وكانت تفرّعات هذين النّهرين تلتقي بنهر صغير جنوبي المدينة، يُدعى: نهر البنا^(٢٨)، ومن خلال هذا المخطّط نلاحظ أنّ نهراً ثالثاً يقطع المدينة من جهة شطّ العرب وحتّى أقصى الجنوب الغربيّ، وهو نهر العشار^(٢٩)، الذي كان شرياناً حيويّاً لأهل المدينة، سواء لاستخدامه في النّقل من وإلى شطّ العرب، أو لاحتياجات السكّان اليوميّة، ويبدو أنّ هذا النّهر كان من أكثر أنهار البصرة تلوثاً.

وتحتلّ بساتين النّخيل المساحة الأكبر من البصرة داخل السّور، أمّا العُمران أو البنايات، فإنّها تكون قليلة من الجهة المطلّة على شطّ العرب، ما عدا بناية الكمرك، التي هي محلّة المقام^(٣١)، وبعض الأبنية في محلّة -أو منطقة- المئاوي، أمّا معظم الأبنية، فتنتشر إلى الغرب والجنوب من مدينة البصرة، وباستثناء دار القبطان (القبودان باشا)^(٣١)، الذي يقع في محلّة المئاوي، فإنّ معظم دوائر المدينة ودور أعيانها، فضلاً عن وكالات الدّول الأجنبيّة؛ كفرنسا وبريطانيا، تقع في غرب وجنوب المدينة^(٣٢).

يذكر نيبور أنّ مدينة البصرة خمسة أبواب، هي: باب الرّباط، الذي يقع في الجهة الشماليّة الغربيّة من السّور، وباب بغداد، ويقع في الاتجاه نفسه، لكنّه إلى الغرب أقرب، أمّا الأبواب الثلاثة الأخر، فهي: باب الزّبير، ويقع في جهة الغرب، وبابا السّراجي والمجموعة، وهذان البابان يقعان في جهة الجنوب تقريباً. وبالنسبة إلى أحياء أو محلات البصرة في ذلك الوقت، فقد ذكر نيبور ثلاثاً وسبعين محلّة، وهي كما أوردها: (١- المناخ. ٢- المشراق^(٣٣). ٣- دنانيك. ٤- ابن عيد. ٥- عباية. ٦- ميدان العبيد. ٧- الدّوغ. ٨- أمّ البلابل. ٩- أمّ البزازين. ١٠- شيخ بادي. ١١- شيخ قنبر. ١٢- شيخ جوهر. ١٣- أمّ الطنوق. ١٤- قبلّة^(٣٤). ١٥- شيخ عمر. ١٦- مدبغة. ١٧- نهر البنات. ١٨- الشّيخ حبيب. ١٩- جسر اللّوح. ٢٠- مكحول. ٢١- المعدان. ٢٢- محمّد تحتة. ٢٣- حمّام كوت. ٢٤- محلّة القاضي. ٢٥- محلّة العرصة. ٢٦- محلّة سيّدرمضان. ٢٧- محلّة الأفغان^(٣٥). ٢٨- حكاكة^(٣٦). ٢٩- محلّة مرجانة. ٣٠- حسن دادة. ٣١- الكوّاز^(٣٧). ٣٢- بستان قصب. ٣٣- كوارخين.

- ٣٤- عزّ الدّین^(٣٨). ٣٥- محلّة خان زکار. ٣٦- القطانة. ٣٧- السّيف^(٣٩).
 ٣٨- حوش باشا^(٤٠). ٣٩- جسر الغربان. ٤٠- المجموعة. ٤١- مقبرة.
 ٤٢- صمغوتیّة. ٤٣- محمّد جواد^(٤١). ٤٤- عروة. ٤٥- غمقة.
 ٤٦- بحارنة. ٤٧- جسر العبيد. ٤٨- بلد السّياس. ٤٩- الدّوغ^(٤٢).
 ٥٠- حلل. ٥١- المقام^(٤٣). ٥٢- محلّة الجديدة. ٥٣- نظران^(٤٤).
 ٥٤- الصّبخة^(٤٥). ٥٥- معصرة^(٤٦). ٥٦- الخضر. ٥٧- الحدّادة.
 ٥٨- الخليلیّة^(٤٧). ٥٩- الشّربتیّة. ٦٠- محلّة اليهود. ٦١- حصر جيّة.
 ٦٢- السّمير. ٦٣- فتّالة. ٦٤- جسر الحوز. ٦٥- خشّابة. ٦٦- محلّة السّاعي.
 ٦٧- منّاوي^(٤٨). ٦٨- بريهة^(٤٩). ٦٩- عبّاس (العبّاسیّة). ٧٠- فرسي^(٥٠).
 ٧١- الخضراویّة. ٧٢- کوت الكومرلي. ٧٣- المجصّة^(٥١).

وفي هذا السّياق، فإنّ هناك من يرى أنّ ما أورده نيبور بشأن محلّات البصرة غير دقيق؛ إذ إنّ بعض الأسماء التي ذكّرت لا تتعدّى كونها أسماء لبيوتات وعوائل أكثر منها محلّات سكنیّة، مثل: (شيخ جوهر، شيخ عمر، محمّد جواد،... الخ)، وأنّ هناك أسماء المهن التي سُمّيت بها بعض المحلّات، مثل: (الشّربتیّة، المجصّة، الحدّادة،... الخ)، فإنّها تمثّل مناطق مسماة لتلك المهن والحرف أكثر منها مناطق سكن؛ لذا فإنّ عدد محلّات البصرة أقلّ بكثير عمّا ذكره نيبور^(٥٢).

المظاهر الإداریّة والعسکریّة

تبعثُ مُسلمیّة البصرة إلى ولاية بغداد إدارياً طول عهد المماليك في العراق (١٧٤٩م-١٨٣١م)^(٥٣)، وكان السّلم الإداري فيها مشابهاً لما كان معمولاً به في

بقية المتسلميات في مناطق العراق الأخر، ويُعيّن متسلم البصرة من قبل الوزير (الوالي) في بغداد. ولتسلم البصرة مكانة مرموقة ضمن السلم الإداري لولاية بغداد؛ إذ كان واحداً من أعضاء المجلس الاستشاري المساعد (الدّيوان) للباشا في بغداد، الذي كان يتألف من كبار رجال الولاية، وهم: الكتخدا (الكيهة)، وأغا الانكشارية، وديوان افنديسي^(٥٤)، والقاضي، والمفتي، وحاكمي الحلة، وماردين^(٥٥)، وينظر المجلس في الأمور المهمة، ويُعقد في حضرة الوالي عندما يستقبل شخصية مهمة أو مبعوثاً من قبل السلطان^(٥٦)، وتوجد هناك وظيفة أخرى لها أهمية بالغة في هيكلية السلم الوظيفي في البصرة، وفي جميع البلاد التابعة للدولة العثمانية آنذاك، وهي وظيفة (منصب) (الدفتردار)، ويكون متوليها بمثابة وزير المالية، ويُطلق عليه نيبور (آمر الخزينة)^(٥٧)، ويذكر نيبور: أن صاحب هذا المنصب في جميع المدن الأخر يرتبط بشكل مباشر بالسلطان العثماني في اسطنبول، ما عدا دفتردار البصرة، فإنه كان مرتبطاً أو تابعاً إلى باشوية بغداد فقط^(٥٨)، وفي هذا الشأن يؤكد المختصون في تاريخ تلك الحقبة قول نيبور بأن هذا المنصب اختلفت مدلولاته في القرن الثامن عشر عما كانت عليه في القرنين الماضيين^(٥٩)، فقد تمكّن باشوات بغداد من الاستئثار به بتعيين من يريدون أن يجعلوه «رقيباً عليهم في جمع الأموال وصرفها»^(٦٠).

ومن الوظائف المهمة التي يذكرها نيبور؛ وظيفة القاضي، فهو يشير إلى أن هذا المنصب المهم كان يتولاه قاضي يُرسل من العاصمة (اسطنبول) سنوياً، وعندما تنتضي السنة يُرسل قاضي آخر بدلاً عنه^(٦١)، وفي الواقع كان القاضي (قاضي الشرع) يُعيّن باقتراح من شيخ الإسلام في اسطنبول بموجب أمر (فرمان)

سلطانيّ، ومدة قضائه سنة، وتلحق به دار الإفتاء، ويرأسها مفتي المدينة، وكان للقاضي نواب في سائر الولايات^(٦٢)، وفي هذا السياق، يتطرق نيبور إلى ظاهرة الفساد الإداري في هذا الفصل المهمّ والحساس من مفاصل الدولة العثمانيّة والولايات التابعة لها آنذاك؛ إذ يذكر ذلك بقوله: «وعلى ما يُذكر، فقد حدث في كثير من المرات، أنّ القضاة الذين جاؤوا إلى هذه المدينة كانوا قد اشتروا فرمانهم (أمرهم السلطانيّ) من أشخاص آخرين، وسمّوا أنفسهم بأسمائهم، وعليه، فيمكننا بسهولة أن نستنتج أنّ هذا الموقع لم يُشغل من قبل شخصٍ مستقيمٍ إلّا فيما ندر»^(٦٣)، وهذا الأمر ليس بمستغربٍ في ظلّ حالة الانحطاط التي أصابت الدولة العثمانيّة بشكل عامّ، والعراق بشكل خاصّ، فقد كان نصيب العراق من الانحطاط أكبر من نصيب الولايات العثمانيّة الأخرى، من حيث أنّه يُعدّ بمنزلة المنفى للولاة والموظفين الأتراك؛ إذ غالباً ما يمتعض الأتراك من العمل فيه، فبات لا يرغب العمل فيه إلّا من لا يجد عملاً في مكانٍ آخر، أو من يفكر في جمع ثروة خلال فترة قصيرة، وهذا ما جعل الجهاز الحكوميّ في العراق -آنذاك- من أكثر مفاصل الحياة العامّة ضعفاً وفساداً^(٦٤). وما يؤكّد ذلك، أنّ أمر القضاء في البصرة كان بيد النائب (نائب القاضي) أو الوكيل الذي يبقى فيها بصورة مستمرّة؛ لكونه يعرف المدينة ولغتها، ولكون القاضي المعين من اسطنبول لا يفقه إلّا اللّغة التركيّة -غالباً-، فيما معظم أهل البصرة لا يعرفون إلّا اللّغة العربيّة^(٦٥).

تميّزت البصرة بطبقة اجتماعيّة مرموقة، مكوّنة من أعيان ووجهاء ورجال دين وعوائل ذات تاريخ عريق، عُرفت بـ(أعيان البلد) (AJAL EL)

(BELLAD) كما ذكرها نيبور^(٦٦)، وكان لهذه الطبقة دور مهمّ وفاعل في الحياة العامة فيها، فمن خلال ما أورده نيبور، فإنّ لهم امتيازات ذات صفة استشاريّة، فلا يحقّ للمتسلّم أن يُقدم على اتّخاذ أمر مهمّ دون استشارتهم في مجلس المشورة، وتمتعت تلك الطبقة بميزة أخرى ذات بُعدٍ اقتصاديّ واضح؛ إذ كانوا لا يدفعون أيّ رسم أو ضريبة عن أملاكهم غير المنقولة، وعلى الخصوص ملكيّاتهم من بساتين النخيل التي تُعدّ أهمّ وأكبر مصدر لثروة هذه الطبقة، وهذه على العكس من بقية الأهالي الذين يدفعون مبالغ طائلة للحكومة -آنذاك-، وفضلاً عن ذلك، كان لهم الحقّ في معاقبة فلاحيهم، على الرّغم من كون هؤلاء ليسوا عبداً لهم^(٦٧).

ويبدو ممّا تقدم، أنّ العدالة الاجتماعيّة كانت غائبة في البصرة إبان الفترة التي قضاه نيبور فيها، فقد كانت الأعراف والقوانين تزيد هؤلاء الأثرياء (الأعيان) ثراءً، فيما تزداد الأهالي من العامة والفلاحين فقراً وبؤساً.

وإلى هذه الطبقة ينتمي أيضاً (المفتي الحنفي)، على الرّغم من أنّ غالبيّة أهل البصرة كانوا من أتباع المذهب الشّافعيّ، غير أنّ اتّخاذ المذهب الحنفيّ مذهباً رسمياً للعراق أثناء الحكم العثمانيّ فرض أنّ يكون المفتي حنفيّاً، حيث كانت مشيخة الإسلام بإسطنبول تُعدّ الدائرة الفقهيّة التي تصدر منها أوامر تعيينات الفقهاء والقضاة، وتُشرف على المحاكم الشّرعيّة في ولاية بغداد (العراق كافّة)، وتصادق على الأحكام المهمّة التي تصدرها المحكمة الشّرعيّة في مركز الولاية، كما تستأنف أحكام هذه المحكمة فيها^(٦٨). ويُشير نيبور -كذلك- إلى أنّ نقيب الأشراف^(٦٩) ينتمي إلى هذه الطبقة، والذي يخضع له كلّ الأشراف المقيمين في

البصرة وما جاورها من مدن وقصبات، والعرف يقضي بأن يكون هذا المنصب وراثياً، ويذكر أنّ سليمان باشا^(٧٠) نصب أحد هؤلاء الأشراف لعدّة سنوات بمنصب (المفتي الشافعي)^(٧١).

وقع نيبور في خطأ كبيرٍ دون قصدٍ منه، وذلك عندما ذكر -في معرض كلامه عن طبقة الأعيان- شخصيّة الشيخ درويش ابن الشيخ أنس باشا أعيان العباسي، بأنّه درويش الكوّاز، بقوله: «وكان أعظمهم منزلة هو الشيخ (درويش KAUASI)»^(٧٢)، و«وقع أحد المترجمين بالخطأ ذاته عندما ذكره بالشيخ درويش القوسي»، من سلالة عالم شهير يُدعى: قوس، بنى جامعاً جميلاً في هذه المدينة^(٧٣).

وعند البحث الدقيق في شأن ذلك الخلط لا نجد شيخاً اسمه (قوس)، أو لقب عائلة بصرية قديمة تُدعى بد(قوسي)، والواقع أنّ نيبور -وعلى الرّغم من تمتّعه بذاكرة قويّة، ودقّة في ذكر الأماكن التي زارها^(٧٤)- لم يتمكّن من أن يفرّق بين أسرة باشا أعيان وعلاقتها ببناء جامع الشيخ محمّد أمين الكوّاز، والواقع أنّ الشيخ الكوّاز ليس من أسرة آل عبد السلام العباسي، بل هو شيخهم وأستاذهم في العلوم، وإكراماً لجهوده التي بذلها لهم في مجال التعليم أقاموا له هذا الصّريح، الذي سُمّي بد: جامع الشيخ محمّد أمين الكوّاز، الذي توفّي في عام (١٥٤٦م)، وفي عام (١٦٠٢م)، قام الشيخ عبد السلام الثاني العباسي بتشييد القبّة الموجودة -إلى الآن- على ضريحه وتجديد بنائه، وفي عام (١٧٢٧م) قام الشيخ باشا أعيان العباسي بتشييد مئذنة لم يكن مثيل لها في البصرة -آنذاك-، وجدّد -أيضاً- بناء القبّة التي على الصّريح^(٧٥).

وهكذا نلاحظ الخطأ الذي وقع فيه نيبور عندما ألصق نسب الشيخ درويش ابن الشيخ أنس باشا أعيان، بالشيخ محمد أمين الكواز.

ويذكر نيبور أن الكروان باشي (قائد القافلة) كان ينتمي إلى هذه الطبقة أيضاً^(٧٦). وأن المفتي ونقيب الأشراف كان لهما سجون، فكان يخضع كل من: رجال الدين، وناظر المدرسة، والكاتب، إلى سلطة المفتي القضائية، فيما يخضع جميع الأشراف إلى سلطة النقيب عند اقتراح مخالفة ما^(٧٧).

وعلى الرغم من الطابع العسكري لمنصب القابودان باشا (القبطان)، إلا أنه كان أحد أهم أركان الإدارة في البصرة خلال تلك الفترة، ويشير نيبور إلى ذلك بقوله: «... القابودان باشا ما زال دوماً ضابطاً مهماً في البصرة، وكان المسلم يستدعيه إلى ديوانه كما يستدعي الدفتردار والأعيان... والشاهبندر... والقاضي؛ حين يستدعي الأمر لذلك، كمناقشة القضايا المهمة»^(٧٨)، وكانت بإمرة القابودان باشا ما بين (٥٠ - ٦٠) تكنة^(٧٩)، ومن واجبات القابودان تأمين نهري دجلة والفرات والخليج العربي من سطوات القراصنة، ومحاربة مثل تلك الأعمال، وكان تمويل ذلك الأسطول من واردات المقاطعات الكبيرة في كل من بغداد والبصرة، وكان صاحب هذا المنصب يُعيّن من قبل السلطان في بادئ الأمر، إلا أنه أصبح فيما بعد من صلاحيات باشا بغداد، وقد أشار نيبور إلى حالة الضعف التي كانت تعاني منها سفن القابودان باشا، فقد كانت مطلية بهادّة القير (الزّفت)، التي كانت تُجلب من مدينة هيت الواقعة في أعالي الفرات، والمعروف أن تلك المادة تقاوم المياه العذبة، وعلى العكس من ذلك بالنسبة إلى المياه المالحة؛ لذا، فإن حركة أسطول القابودان باشا في شمال الخليج العربي كانت

ضعيفة، وإنّ حوادث القرصنة كان لها صدى في دجلة والفرات أيضاً^(٨٠).
ويصف نيبور وضع القوّات الإنكشاريّة التي كانت موجودة في البصرة أثناء
مكوثه فيها، فعلى الرّغم من الامتيازات الكبيرة الممنوحة لهم، إلّا أنّهم لم يكونوا
على قدر المسؤوليّة في الانضباط وحفظ الأمن للأهالي، فالبصرة حينها لم يكن
فيها (أورطة)، وهي: وحدة عسكريّة كاملة للإنكشاريّة؛ إذ كان الضبّاط من
ذوي الرّتب العالية يقيمون في القرنة، أمّا البصرة، فإنّها تركت بيد صغار الضبّاط
فقط، وهم ممّن يعجز عن السّيطرة على أفراد الإنكشاريّة الذين كانوا تحت إمّرتهم.
ومع ذلك، فإنّ باب القبول ضمن تشكيلات تلك القوّات كان مشرعاً لكلّ
من يُريد الانخراط في سلك الجيش، وقد قاموا بتشكيل جماعات تبتزّ الأهالي
وأصحاب المهن بحجّة توفير الأمن لهم مقابل مبالغ ماليّة. وإزاء تلك الخروقات
يذكر نيبور أنّ المتسلّم كان غير قادر على السّيطرة على هؤلاء الإنكشاريّة، لاسيّما
عندما تكون باشويّة بغداد شاغرة، ويذكر أنّ ثمانية إلى اثني عشر عنصراً يُقتل
بشكل يوميّ منهم، وأنّ الكثير من النّاس انضمّوا إلى تشكيلاتهم ليحفظوا بعض
الأمان، وتجنّب غضب هؤلاء الأشرار - على حدّ قوله -^(٨١).

ويُعدّ نيبور أوّل من قدّم تعداداً لسكّان البصرة بأسلوبٍ علميٍّ، مستنداً على
عدد المحلّات وعدد البيوت التي توجد في كلّ محلّة، وثمّ عدد أفراد كلّ بيت؛ إذ
تضمّ البصرة سبعين محلّة^(٨٢).

وتضمّ كلّ محلّة ثلاثمائة أو أربعمائة بيت، فيما يضمّ بعضها بيوتاً تتراوح بين
عشرة إلى عشرين بيتاً، فضلاً عن وجود البساتين في المحلّات الأخرى، وتوجد
فيها بعض المقابر الواسعة جدّاً^(٨٣). ويبلغ متوسط عدد البيوت في محلّات البصرة

مائة بيت، ويتألف كل بيت من سبعة أفراد، ويبلغ عدد الأهالي ألفاً؛ على أكثر تقدير، بيد أنه استدرك، قائلاً: «إنني على شك أن يبلغ السكّان أربعين ألفاً؛ فيما لو أحصوا»^(٨٤).

وفي السياق ذاته، حاول نيبور أن يرسم خارطة ديموغرافية توضح الانتماء الديني والمذهبي والعرقي لسكّان البصرة -آنذاك-، إلا أنه لم يقدم أي إحصاء لذلك، ومما لا شك فيه أن العنصر العربي يشكّل الغالبية العظمى لسكّان المدينة على مدى الأزمان، وخاصة خلال الفترة التي جاء فيها نيبور إلى البصرة، ثم يذكر نيبور أن المذهب السني كان يسود المدينة -آنذاك-، دون أن يُسمي أي مذهب من مذاهب أهل السنة كان سائداً فيها^(٨٥)، إلا أن الشيعة قد استوطنوا بشكل كبير فيها، خصوصاً بعد الاضطرابات الداخلية في إيران، فمنذ النصف الأوّل من القرن الثامن عشر تعرّضت إيران في عام (١٧٢٢م) لاحتلال الأفغان السنة لعاصمتهم إصفهان، ومصادرة الكثير من الموقوفات التي تدعم رجال الدين الشيعة في إيران، فقد شرّدت المئات من عوائل العلماء، الذين لجأ الكثير منهم إلى العراق خلال الفترة الممتدة بين (١٧٢٢م - ١٧٦٣م)، ما أدى إلى انتقال مركز الدراسات الشيعية (الحوزة) من إيران إلى العراق، لتستقر في كربلاء والنجف. وانتشر -كذلك- الكثير من الشيعة في بغداد والبصرة^(٨٦)، ولما كان السنة يتحفّظون من الشيعة أكثر مما يتحفّظون من أبناء المذاهب الإسلامية الأخر، فقد عرف الشيعة أنفسهم بأنهم من السنة^(٨٧).

وفي خضمّ تلك الأحداث، يُشير نيبور إلى أن المسلمين في البصرة لا يعيرون اهتماماً كثيراً لمسألة تأدية الفرائض الدينية، بينما لا يفوت الأثرياء منهم تأدية

الصَّلوات الخمس نهاراً؛ كي لا تتهمهم الحكومة بإهمال تكاليف دينهم حين لا تكون هناك تهمة توجه إليهم، وفي الوقت ذاته، لا تهتم الحكومة كثيراً لصلاة الفقراء.

ويذكر نيور أنّ الأرمن يؤلّفون القسم الأكبر من مسيحيي البصرة -آنذاك-، وقد نزح أغلبهم إليها من إيران. أمّا الصابئة، فقليلون جداً، وهناك الكثير من البانيان، وهم من فئة التجّار الهنود، جاؤوا من مقاطعة كوجرات الهندية^(٨٨). ويُشير إلى أنّ هناك ما يقرب من مائة عائلة يهودية في البصرة^(٨٩).

وقد كانت البصرة مركزاً تجارياً مهماً؛ إذ يُمارس الكثير من التجّار الأوربيين التجارة فيها، فكان الإنكليز يزاولون تجارة واسعة كان أغلبها بيع الصمغ، والجوخ الأوروبي، والنسيج البنغالي الفاخر، وسائر أنواع الأقمشة الهندية من سورات. ويقوم في البصرة مستشار إنكليزي من بومباي مع بعض الكتبة ورجال الدين. أمّا المستشار الفرنسي، فإنّه غادرها بعد توقّف حكومته عن إرسال راتبه بشكل منتظم. وهناك -أيضاً- عدد كبير من التجّار الإيطاليين الذين يمارسون الأعمال التجارية عن طريق حلب، ومنها إلى البندقية ولوفورنو باستخدام طريق الفرات الصّحراوي، أو ما يُعرف بطريق (بصرة - حلب) التجاري^(٩٠).

أمّا ملاحظات نيور عن الزراعة في البصرة، فقد تركّزت بشكل كبير على اكتظاظ المدينة ببساتين النّخيل، وتنوّع أصناف تمورها، بحيث لا يوجد لها مثل في أيّ مكان آخر^(٩١)، فضلاً عن انتشار زراعة الحبوب، خصوصاً القمح والشّعير والأرز^(٩٢).

الخاتمة

تعدّ كتابات الرّحالة الأجنبي مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ العراق الحديث في العهد العثماني؛ لأنّها تناولت مختلف جوانب الحياة العامّة للأماكن والمدن التي زارها الرّحالة، والتي غفلت المصادر التاريخية عن ذكرها. وكانت البصرة مقصدًا لرحلات العديد من هؤلاء الرّحالة، لموقعها الجغرافي الاستراتيجي المهم والمطلّ على طرق التجارة والمواصلات الدوليّة بين الشّرق والغرب، الذي يمثّل أهميّة كبرى للدول الأوروبيّة -آنذاك-، فضلاً عن أهميّة موقعها بالنسبة إلى الدولة العثمانيّة في ذلك الوقت.

شكّلت رحلة (كارستن نيبور) إلى البصرة حدًّا فاصلاً من بين الرّحلات التي سبقتها خلال القرنين السادس والسابع عشر، وصولاً إلى الأوّل من القرن الثامن عشر، وكذا الرّحلات التي تلتّ رحلة نيبور في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، وحتى القرن العشرين، فقد كانت كتابات الرّحالة الذين سبقوا نيبور إلى البصرة عبارة عن نقل صورة مقتضبة ومختصرة عنها، دون تفاصيل دقيقة عن المناطق التي تذكرها، ولم تركز أو تذكر شيئاً عن الطرق التجاريّة. أمّا نيبور، فإنّه أسهب في تناول مختلف جوانب الحياة العامّة في البصرة؛ إن لم نقل: إنّهُ تعدّى ذلك بمحاولته الجادّة في إحصاء عدد سكّانها، كما لاحظنا ذلك، فضلاً عن اهتمامه بذكر النّواحي العمرانيّة للمدينة، لاسيّما سورها ومحلاتها والمباني الحكوميّة للدولة فيها، وتطرّق إلى الوضع الإداري للبصرة

وإداراتها التي كان لأعيان ووجهاء المدينة دور بارز فيها. فضلاً عن إشارته إلى الحالة الديموغرافية للمدينة التي تتسم بسيادة العنصر العربيّ المسلم من مختلف الطوائف، متطرّقاً إلى وجود أعدادٍ لا بأس بها من أبناء الديانات والقوميّات الأخر التي تتعايش بشكلٍ سلميٍّ مع الغالبية العربيّة المسلمة في المدينة.

الهوامش

- ١- كوركيس عواد، (بليوغرافيا) عن الرحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩م: ص ٢١٧-٢٣٧.
- ٢- إيناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨م-١٩١٨م): ص ٣٢.
- ٣- طارق نافع الحمداني، البصرة في رحلة الإيطالي ديلافالبي في القرن السابع عشر الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، العدد العاشر (العدد الخاص بحوث المؤتمر العلمي الثامن للكلية): ص ٢٣.
- ٤- بطرس حبيب، الخلفيات الفكرية والسياسية للرحلة إلى الشرق في القرن الثامن عشر، بحث منشور في كتاب لبنان في القرن الثامن عشر: ص ٢٢٥.
- ٥- لقد قَدِّمَت المعرفة الاستشراقية كل ما يلزم من أدوات معرفية (إحصاءات سكانية، خرائط جغرافية، تقارير اقتصادية، عادات وتقاليد ولغات السكان، تاريخ الشعوب وفلسفتهم وديانتهم) للسياسة لوضع المخططات التوسعية. لقد غدا الشرق في هذا الوقت، خاصة بعد النصف الأول من القرن الثامن عشر مكشوفاً -أي: مهيباً- لاحتلاله. أصبح في متناول اليد فكرياً وسياسياً. المصدر نفسه: ص ٢٢٨.
- ٦- لمزيد من التفاصيل، يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٢٨.
- ٧- فلاح حسن عبد الحسين، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما أوردها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩م: ص ٤.
- ٨- هناك أكثر من ترجمة عربية لرحلة نيبور إلى البصرة، وقد اعتمد الباحث على ترجمة سعاد هادي العمري الذي ترجمه عن الألمانية بعنوان: مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة (١٧٦٥م)، ط ١، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥م. لاسيما في الاقتباس والتوثيق. أما خرائط البحث، فقد اقتُبِسَتْ من ترجمة عمير المنذر المعنونة:

- رحلة إلى شبه الجزيرة العربيّة وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ج ٢، ط ٢، مؤسسة الانتشار العربيّ، بيروت، ٢٠١٣ م.
- ٩- يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين: ص ٦٨٨.
- 10- www.britannica.com/biography/carsten.Niebuhr.
- ١١- يحيى مراد، المصدر السّابق: ص ٦٨٨؛ وبيتر برينث، بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب: ص ٨٣.
- 12- <https://www.britannica.com/biography/Frederick-v-king-of-Denmark-and-Norway>؛ وبيتر، المصدر السّابق: ص ٨٣؛ ويحيى مراد، المصدر السّابق: ص ٦٨٨.
- ١٣- نيبور، مشاهدات نيبور... المصدر السّابق: ص ٤.
- ١٤- وهم كلّ من: (فون هافن Von Haven، وفورسكال Farsskal، وكرامر Kramer، وبورين فيند Bauren Feind). بيتر، المصدر السّابق: ص ٨٣.
- ١٥- المصدر نفسه؛ ونيبور، المصدر السّابق: ص ٤.
- ١٦- بيتر، المصدر السّابق: ص ٨٥.
- ١٧- المصدر نفسه: ص ٨٦.
- ١٨- نيبور، المصدر السّابق: ص ٧؛ وعبد القادر باش أعيان العبّاسيّ، موسوعة تاريخ البصرة: ج ١، ص ٤٤.
- ١٩- الميل الألمانيّ يساوي: ٧٥٠٠ متر. نيبور، المصدر السّابق: ص ٧.
- ٢٠- المصدر نفسه.
- ٢١- المصدر نفسه؛ ويُنظر: عبد الله رمضان آل عيادة الرّفاعيّ، أعيان البصرة في القرنين التاسع عشر والعشرين: ص ٤٥.
- ٢٢- نيبور، المصدر السّابق: ص ٧.
- ٢٣- الجصّ.
- ٢٤- المصدر نفسه.
- ٢٥- المصدر نفسه: ص ٨.
- ٢٦- تعرّضت البصرة إلى الكثير من المشكلات، فعلى الصّعيد الخارجيّ، كانت معرّضةً

للتهديد الإيراني بشكل مستمر، لاسيما في عهد كريم خان الزند، الذي حكم إيران بين عامي (١٧٥٠م - ١٧٧٩م). وعلى الصعيد الداخلي، فإنها عانت من اضطراب الأوضاع الداخليّة طول حكم الماليك للعراق بين عامي (١٧٥٠م - ١٨٣١م)، وعلى الخصوص اضطراب الأوضاع بعد وفاة والي بغداد سليمان باشا أبو ليلة في عام (١٧٦١م)، فضلاً عن تعرّضها لهجمات القبائل العربيّة القادمة من جهة البادية باستمرار. لمزيد من التفاصيل، يُنظر: عبّاس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، حكومة الماليك، ص ٥١؛ وعثمان بن سند الوائليّ البصريّ، مطالع السعود، تاريخ العراق من سنة (١١٨٨هـ) إلى سنة (١٢٤٢هـ) / (١٧٧٤م - ١٨٢٦م): ص ٨٧؛ وستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ١٢٣٣.

٢٧- عبد العظيم عبّاس نصّار، بلديّات العراق في العهد العثماني (١٥٣٤م - ١٩١٨م)، دراسة تاريخيّة وثائقيّة: ص ٢٢٨.

٢٨- يتكوّن هذا النهر من النقاء ذنائب نهر الخندق في منطقة المشراق، وهو من الأنهر المدرسة، وكان يجري بجوار محلّة نظران ومستشفى البصرة العام (الجمهوريّ). عبد الله رمضان آل عيادة الرّفاعيّ، مسمّيات البصرة، محلّاتها - أسرها - أعلامها، من القرن الأوّل الهجريّ إلى نهاية القرن الرّابع عشر الهجريّ: ص ٢٥.

٢٩- ويشقّ البلدة ليسقي النّخيل والأشجار التي هي داخل سور البصرة، ويستقي منه أهل البلد، وتدخل فيه السّفن الصّغار التي تجلب الأمتعة من الإسكيلة (رصيف العشار للسفن) إلى مركز المدينة في منطقة البصرة القديمة الحاليّة. أحمد نوري الأنصاريّ، النصرة في أخبار البصرة: ص ٣٢؛ وعبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ٩٠.

٣٠- ومن الجدير بالذّكر: أنّ منطقة المقام أو العشار سُمّيت بالعشار نسبة إلى نهر العشار الذي يمرّ بها من شطّ العرب شرقاً حتّى نهاية البصرة غرباً، أمّا الاسم الأوّل فهو نسبة إلى اسم المسجد الذي فيه مشهد أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، أمّا الاسم الثاني، فلم يُتفق عليه لحدّ الآن، ويرى البعض أنّه اشتقاق من العشر (ضريبة الحكومة) على الأموال (السّلح والبضائع) الواردة إلى البصرة. عبد القادر باش أعيان العبّاسيّ، المصدر السّابق: ص ٢٤١.

- ٣١- لمزيد من التفاصيل بشأن القابودان باشا، يُنظر: لونكريك، المصدر السابق: ص ٢٢٠٥.
- ٣٢- نيبور، المصدر السابق: ص ٨.
- ٣٣- وهي من المحلّات القديمة في البصرة الحاليّة؛ إذ تأسّست بعد خراب البصرة الأولى وتأسيس البصرة الحاليّة بين عامي (٨٠٠هـ-٨١٠هـ/١٣٩٧م-١٤٠٧م). عبد القادر باش أعيان العباسيّ، المصدر السابق: ص ٢٣٣.
- ٣٤- كانت محلّة القبلة من المحلّات الزاهية في البصرة، وخاصّة عندما أسّس فيها السيّد محمّد سعيد نقيب البصرة داراً واقعة بنهاية محلّات البصرة غرباً، ويأتي بعدها طريق باب الزبير، الذي يصل البصرة بالزبير، وبعد الاحتلال البريطانيّ للبصرة اتّخذ هذا الدار مركزاً لدائرة الشرطة. المصدر نفسه: ص ٢٣٦.
- ٣٥- وتُعرف هذه المحلّة كذلك باسم محلّة البلوش. المصدر نفسه: ص ٢٣٨.
- ٣٦- تقع جنوب محلّة القبلة، وكانت دوراً للحكّام والأمرء الذين كانوا يحكمون البصرة في أوائل عهد الاحتلال العثمانيّ للبصرة. المصدر نفسه: ص ٢٣٦.
- ٣٧- لمزيد من التفاصيل بشأن نشأة وتوسّع محلّة الكوّاز، يُنظر: عبد القادر باش أعيان، البصرة في أدوارها التّاريخيّة: ص ٨١.
- ٣٨- وهي من توابع محلّة المشراق، وهي من محلّات البصرة القديمة، وفيها ضريح السيّد يوسف عزّ الدين الرّفاعي، وقبل الحرب العالميّة الأولى كانت تحيط هذه المنطقة ساحة كبيرة فيها بعض القبور. عبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ٨٣.
- ٣٩- المصدر نفسه.
- ٤٠- سُمّيت بهذا الاسم لتعدّد الباشاوات الذين سكنوها من ولاية البصرة. المصدر نفسه: ص ٨٤.
- ٤١- سُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى ضريح الزّاهد محمّد جواد، وهو ضريح عليه قبّة وحوله مقبرة قديمة، وكانت فيها مدرسة شهيرة تسمّى: مدرسة يحيى بن محمّد جواد، وذلك في حدود سنة (٩٨٠هـ)، وكانت عامرة، وفيها بيوت كثيرة، أمّا الآن، فهي خراب، وجُعِلتْ مقبرة. عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٣٢.
- ٤٢- وردتْ مرّتين عند نيبور، يُنظر: نيبور، المصدر السابق: ص ٩.

- ٤٣- يُنظر هامش رقم (٣٠).
- ٤٤- وتقع بين نهري الخندق والعشّار. عبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ٨٧.
- ٤٥- المصدر نفسه.
- ٤٦- المصدر نفسه: ص ٨٦.
- ٤٧- لمزيد من التفاصيل، يُنظر: عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٣٢.
- ٤٨- كانت تسمّى على اسم رئيسها (مهنا)، وأُطلق عليها اسم مهناوي، وبمرور الزمن حُرّف اسمها وصارت تُلفظ (مناوي). المصدر نفسه: ص ٢٢٧.
- ٤٩- سُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى نهر إبراهيم، ثم حُرّف وصار يُطلق عليها اسم: بريهة. المصدر نفسه: ص ٢٢٩.
- ٥٠- عبد الله رمضان، مسمّيات البصرة: ص ١٠٨.
- ٥١- عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٣٩.
- ٥٢- فلاح حسن عبد الحسين، المصدر السابق: ص ١٠.
- ٥٣- لمزيد من التفاصيل بشأن عهد المماليك في العراق، يُنظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق (١٧٥٠-١٨٣١م)، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م.
- ٥٤- ديوان افنديسي، وتعني: كاتب الديوان. المصدر نفسه: ص ١١٨.
- ٥٥- تقع ماردين ضمن حدود الجمهوريّة التركيّة حاليّاً.
- ٥٦- المصدر نفسه: ص ١١٧.
- ٥٧- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٥٨- المصدر نفسه.
- ٥٩- وهذا المنصب لم يعد له الواجبات نفسها التي كانت من اختصاصه في القرنين السّادس عشر والسّابع عشر الميلاديّ، فقد أصبح الدّفتردار في غضون القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يُتولّى فيه الكثير من الأحيان قيادة الجيش وأمور الولاية السياسيّة. نورس، المصدر السابق: ص ١١٨.
- ٦٠- المصدر نفسه.
- ٦١- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٦٢- نورس، المصدر السابق: ص ١١٨.

- ٦٣- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٦٤- عليّ الورديّ، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، ج ١، من بداية العهد العثماني حتّى منتصف القرن التاسع عشر: ص ١٠٢.
- ٦٥- نيبور، المصدر السابق: ص ١٤.
- ٦٦- المصدر نفسه.
- ٦٧- المصدر نفسه: ص ١٥.
- ٦٨- رشيد الخيّون، المذاهب والأديان بالعراق: ص ٣٤٩.
- ٦٩- كان يتولّى هذا المنصب شخص هاشميّ ينتهي نسبه إلى السيّد أحمد الرفاعيّ، يُنظر: أحمد نوري الأنصاريّ، المصدر السابق: ص ٨٥.
- ٧٠- نيبور، المصدر السابق: ص ١٥.
- ٧١- المصدر نفسه.
- ٧٢- المصدر نفسه: ص ١٤.
- ٧٣- نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربيّة: ص ١٨٦.
- ٧٤- وصف ابن نيبور والده بأنّه كان قويّ الذّاكرة، وعلى الرّغم من كونه مصاباً بالعمى، فقد صارع الموت وهو في سنّ الثالثة والثمانين، فكتب عنه: (كان والدي يتذكّر مدينة بيرسيوليس ويصف أسوارها وما نُقش عليها من نقوش بارزة بالتفصيل؛ كما لو كان يتكلّم عن بناية زارها قبل بضعة أيام)، يُنظر: بيتر، المصدر السابق: ص ٩٦.
- ٧٥- عبد القادر باش أعيان العباسيّ، البصرة في أدوارها الحضاريّة: ص ٨١.
- ٧٦- نيبور، مشاهدات نيبور: ص ١٥.
- ٧٧- المصدر نفسه.
- ٧٨- المصدر نفسه: ص ١٤.
- ٧٩- تكنة: وهي سفن حربيّة صغيرة مسطّحة. المصدر نفسه: ص ١٢.
- ٨٠- المصدر نفسه: ص ١٣.
- ٨١- المصدر نفسه: ص ١٨.
- ٨٢- ذكر نيبور في الأصل ثلاثاً وسبعين محلّة.
- ٨٣- يُذكر أنّ عدد من المحلّات القديمة بالأساس هي مقابر، مثل: محلّة عزّ الدّين،

- ومحمد جواد، وشيخ جوهر، يُنظر: عبد القادر باش أعيان، موسوعة تاريخ البصرة: ص ٢٢٤٠.
- ٨٤- نيبور، المصدر السابق: ص ٢١.
- ٨٥- كان أهل البصرة من أهل السُّنة على المذهب الشافعيّ، سوى أهل شطّ العرب شيعة، وأهل الزبير سُنّة حنابلة، يُنظر: رشيد الخيّون، المصدر السابق: ص ٣٣٥٢.
- ٨٦- إسحاق نقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيميّ: ص ٣٤.
- ٨٧- نيبور، المصدر السابق: ص ٢١.
- ٨٨- بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، تعريب الأب الدكتور بطرس حدّاد: ص ٩٤.
- ٨٩- نيبور، مصدر سابق: ص ٢٢؛ ونبيل الرّبيعيّ، تاريخ يهود العراق (٨٥٩ ق.م- ١٩٧٣م): ص ١٠٤.
- ٩٠- لمزيد من التفاصيل بشأن طريق الفرات الصّحراويّ، يُنظر: إبراهيم محمد ساجت الرّبيديّ، طريق الفرات الصّحراويّ (بصرة - حلب)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٠م.
- ٩١- لمزيد من التفاصيل بشأن أسماء وأنواع التّمور التي ذكرها نيبور في رحلته، يُنظر: نيبور، مصدر سابق: ص ٣٢؛ وسليمان فيضي، البصرة العظمى: ص ١١٤.
- ٩٢- عبد الله رمضان، أعيان البصرة: ص ٤٥.

المصادر والمراجع

- الكتب العربيّة والمُعَرَّبَة:

- ١- أحمد نور الأنصاريّ، النّصرة في أخبار البصرة، تحقيق: د. يوسف عزّ الدين، ط ١، الوراق للنشر، بيروت، ٢٠١٥م.
- ٢- إسحاق نقّاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النّعيميّ، ط ٢، المدى، دمشق، ٢٠٠٣م.
- ٣- إيناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث (١٢٥٨م-١٩١٨م)، ط ١، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤م.
- ٤- البلي، رحلة البلي إلى العراق، تعريب: الأب الدكتور بطرس حدّاد، ط ١، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ٢٠٠٥م.
- ٥- بطرس حبيب، الخلفيات الفكرية والسياسية للرحلة إلى الشرق في القرن الثامن عشر، بحث منشور في كتاب لبنان في القرن الثامن عشر، ط ١، دار المنتخب العربيّ، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٦- بيتر برينث، بلاد العرب القاصية رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب، ترجمة: خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٧- رشيد الخيّون، المذاهب والأديان بالعراق، ط ١، منشورات لسان الصدق، (د.م)، ٢٠٠٥م.
- ٨- ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط ٦، مكتبة اليقظة العربيّة، بغداد، ١٩٨٥م.
- ٩- سليمان فيضي، البصرة العظمى، ط ١، الفيحاء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٤م.
- ١٠- عبّاس العزّاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٦، حكومة المالك، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٣م.
- ١١- عبد العظيم عبّاس نصّار، بلديات العراق في العهد العثمانيّ (١٥٣٤م-١٩١٨م)،

- دراسة تاريخية وثائقية، ط ١، المكتبة الحيدرية، (د. م)، ٢٠٠٦م.
- ١٢- عبد القادر باش أعيان العباسي، البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦١م.
- ١٣- عبد القادر باش أعيان العباسي، موسوعة تاريخ البصرة، ج ١، شركة التايمس للطبع والنشر، بغداد، ١٩٨٨م.
- ١٤- عبد الله رمضان آل عيادة الرفاعي، أعيان البصرة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط ١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٦م.
- ١٥- عبد الله رمضان آل عيادة الرفاعي، مسميات البصرة، محلاتها-أسرها-أعلامها، من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ط ١، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٥م.
- ١٦- عثمان بن سند الوائلي البصري، مطالع السعود، تاريخ العراق من سنة (١١٨٨هـ) إلى سنة (١٢٤٢هـ) (١٧٧٤م-١٨٢٦م)، تحقيق: الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، وسهيلة عبد المجيد القيسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م.
- ١٧- علاء موسى كاظم نورس، حكم الماليك في العراق (١٧٥٠-١٨٣١م)، دار الحرّية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م.
- ١٨- عليّ الوردّي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ١، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، ط ١، دار الوراق للنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ١٩- كارستن نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة (١٧٦٥م)، ترجمة: سعاد هادي العمري، ط ١، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥م.
- ٢٠- نبيل الربيعي، تاريخ يهود العراق (٨٥٩ ق.م-١٩٧٣م)، ط ١، الرافدين للنشر، لبنان، ٢٠١٧م.
- ٢١- يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ٢٢- الرسائل الجامعية:
- ٢٣- إبراهيم محمد ساجت الزبيدي، طريق الفرات الصحراوي (بصرة-حلب)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٠م.
- ٢٤-

- ٢٥ - البحوث والدوريات:
- ٢٦ - طارق نافع الحمداني، البصرة في رحلة الإيطاليّ ديللافاليه في القرن السابع عشر الميلاديّ، مجلّة دراسات تاريخيّة، العدد العاشر (العدد الخاصّ ببحوث المؤتمر العلميّ الثامن للكلية)، آيار، ٢٠١١ م.
- ٢٧ - فلاح حسن عبد الحسين، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما أورها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، مجلّة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩ م.
- ٢٨ - كوركيس عواد، (بليوغرافيا) عن الرحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلّة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، ١٩٨٩ م.
- شبكة المعلومات الدوليّة (الانترنت):
- [https:// www.britannica.com / biography / Frederick -v - king - of -Denmark - and - Norway.](https://www.britannica.com/biography/Frederick-v-king-of-Denmark-and-Norway)
 - [www. britannica. com / biography / carsten. Niebuhr.](http://www.britannica.com/biography/carsten.Niebuhr)

الأوضاع السياسيَّة والإداريَّة لِناحيَّة (المَدِينَة)
(١٨٦٩م - ١٩٢٠م)

Political and Administrative Conditions of
AlMdaina Township (1869-1920)

م. م. مشتاق عيدان اعبيد
مديريَّة التربيَّة في البصرة / قضاء المَدِينَة

Mushtaq Edan Ubaid

Assistant Lecturer

Directorate of Education, AlMdaina, Basrah

ملخصُ البحثِ

تناولت هذه الدراسة عبر صفحاتها ناحية (المُدَيَّنة)، في المدَّة الواقعة ما بين عامي (١٨٦٩م - ١٩٢٠م)، والتي شهدت تغيّرات مهمّة في جوانب من الواقع الإداري والاقتصادي والسياسي، وقد تمّ تسليط الضّوء عليها، واشتمل البحث على مقدّمة وخمسة محاور وخاتمة. تناولت المقدّمة تاريخ (المُدَيَّنة) منذ الاحتلال العثمانيّ للبصرة عام (١٥٤٦م)، حتّى وصول مدحت باشا والياً على العراق عام (١٨٦٩م). وتناول المحورُ الأوّل الوضعَ الإداريَّ في ناحية المُدَيَّنة بين عامي (١٨٦٩م - ١٨٩١م)، وقد ركّز على انسلاخ (المُدَيَّنة) من مشيخة المنتفك، وربطها بلواء البصرة، على وفق قانون الولايات الجديد، الذي أصبحت (المُدَيَّنة) بموجبه ناحية تابعة لقضاء القرنة. فيما بحث المحورُ الثاني الطّابو، ومشكلة الأراضي؛ إذ بعد أن أدخل مدحت باشا نظام الطّابو في ملكية الأرض، عزف الكثير من أبناء العشائر عن الحصول على سندات الطّابو؛ نتيجة فهمهم الخاطئ بأن يكون وسيلة لجلبهم للخدمة العسكرية، أو لفرض الضّرائب عليهم، واستفادة الأغنياء وشيوخ العشائر من نظام الطّابو للاستحواذ على الأرض.

أمّا المحورُ الثالث، فقد تناول أوضاع (المُدَيَّنة) في أواخر العهد العثمانيّ بين عامي (١٨٩٥م، و ١٩١٤م)، وقد ركّز فيه على دور عشائر (المُدَيَّنة) وبني أسد في مواجهة العثمانيين، لاسيّما حركة (١٨٩٥م)، التي انتهت بهزيمة

العشيرتين، وإلقاء القبض على شيوخهم، وإيداعهم سجن البصرة. فيما بحث المحور الرابع موقف عشائر (المدينة) من فتوى الجهاد ضد الاحتلال البريطاني (١٩١٤م-١٩١٧م)، التي أدت إلى مشاركتهم الفاعلة في معركة (كوت الزين)، إلا إن الموقف تغير بعد احتلال القرنة؛ إذ انقسمت عشائر (المدينة) على قسمين: منهم من ارتأى مهادنة البريطانيين، ومنهم من آثر الاستمرار بالجهاد بمعية السيد (عبد الرزاق الحلو). أما المحور الأخير، فقد تناول (المدينة) في ظل الاحتلال البريطاني (١٩١٧م-١٩٢٠م)، وما أدت إليه السياسة التي اتبعتها البريطانيون من تدمير العشائر؛ إذ كان الفلاحون في غليان مستمر، وكان السبيل الوحيد الذي اهتمت إليه الإدارة البريطانية أن تضرب العشائر بشيوخها، مستفيدة من مبدأ (فرق تسد) سيء الصيت.

Abstract

AlMdaina township has witnessed important changes in the administrative, economic, and political aspects. The introduction of the present research paper tackles the history of AlMdaina since the Ottoman occupation of Basra in 1546 up to the arrival of Midhat Pasha as a Wali (ruler) of Iraq in 1869. The first section deals with the administrative conditions in this township from 1869 up to 1891 how it broke away from Al-Mintifig Sheikhdom and connected to Basra province. The second section is about land registration and the problems linked to it. The third section covers the conditions in AlMdaina at late Ottoman rule for the period 1895 up to 1914. The role played by AlMdaina tribes and bani Asad in confronting the Ottomans is stressed. The fourth section highlights the attitude of AlMdaina tribes towards Aljihad (holy war) against the British occupation (1914-1917), which led to their effective participation in Kut Al-Zain battle. The last section is about AlMdaina under the British occupation (1917-1920) and how the British policies led to the tribes complaints: the farmers were in constant turmoil at a time the British authority adopted the ill-famed "divide and rule" strategy.

مقدمة

تقع المدينة على نهر الفرات، ما بين القرنة والجبايش^(١)، وتحيط بها الأهوار. سُميت في القرن السادس عشر الميلاديّ (جزائر البصرة)، وكانت مركزاً لإمارة آل عليّان؛ لكونها حاضرة المنطقة، وتشتمل على قرى كثيرة في شرق الفرات وغربه، وهي كثيرة النخيل وغنيّة الموارد^(٢)، وهذا ما أكّده الوثائق العثمانيّة؛ إذ أشارت إلى أنّ «المدينة أعظم قلاع الجزائر وأحصنها»^(٣)، وعلى الرغم من احتلال العثمانيين لبصرة عام (١٥٤٦م)، إلاّ أنّهم عجزوا عن السيطرة عليها؛ وذلك لقوّة إمارة آل عليّان، وطبيعة المنطقة التي كان معظمها مناطق أهوار ومستنقعات، ولم يكن بوسع العثمانيين الوصول إليها بسهولة^(٤). ومع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر بدأ انتقال السّلطة السياسيّة في البصرة إلى إمارة أفراسياب^(٥)، التي انتهجت نزعة استقلاليّة، مستغلّة وضع الدولة العثمانيّة بعد أن تمكّن الصفويّون من إعادة سيطرتهم على بغداد عام (١٦٢٣م)^(٦)؛ إذ استطاع عليّ أفراسياب أن يوسّع حكمه ويوطّد دعائم النّظام خارج المدينة وضواحيها^(٧). وفي عام (١٦٣٣م) سيطر على الجزائر، وتمكّن من القضاء على إمارة ابن عليّان^(٨)، إلاّ إنّ العثمانيين استطاعوا إنهاء وجود الإمارة الأفراسيابيّة عام (١٦٦٧م)، وبعدها أصبحت منطقة الجزائر

مطمعاً للقوى القبليّة المجاورة، ومع بروز قبائل المنتفك في بداية القرن الثامن عشر أصبحت المنطقة تحت نفوذهم^(٩). وبعد سلسلة الأحداث وعدم الاستقرار في المنطقة، أدركت الدولة العثمانيّة أهميّة الاتحادات العشائريّة في إخضاع تلك القبائل، لاسيّما المنتفك المهيمنة على معظم سكّان منطقة الفرات الجنوبيّة^(١٠)، من السماوة شمالاً حتّى القرنة جنوباً، التي تُعدّ المديّنة جزءاً منها^(١١)؛ لذا فوّضت الدولة العثمانيّة حاصلات البصرة إلى مشايخ المنتفق مقابل نقود معيّنة^(١٢)، من خلال التزام يتمّ تجديده كلّ ثلاث سنوات^(١٣)، وبدورهم أخذوا يدفعون للولاية العثمانيّين، وبقي اتّحاد عشائر المنتفك تحت رئاسة آل السعدون حتّى أيام مدحت باشا مستقلاًّ يتمتّع بنفوذ ذاتيّ لا علاقة له تقريباً بالحكم العثمانيّ، الذي أطلق أيديهم في التصرّف بشؤون النّاس وإدارة أمورهم حسب أهوائهم الشخصيّة^(١٤).

أولاً: الوضع الإداريّ في ناحية المديّنة (١٨٦٩م-١٨٩١م)

بعد وصول الوالي مدحت باشا إلى العراق عام (١٨٦٩م)، هيّأ المجتمع العراقيّ للدخول في عمليّة تكوين بنية اجتماعيّة - اقتصادية جديدة، بدأت بتشجيع السّلطة العثمانيّة لشيوخ ورؤساء المناطق القبليّة على الاستقرار والاستيطان، بعد أن ضمنت ولاءهم، ومن أجل إقناع الشّيخ ناصر السعدون بالإجراءات التي اتّخذها مدحت باشا، طلب الأخير منه الحضور إلى بغداد لمناقشة الموضوع، وعند حضور شيخ المنتفك إلى بغداد سنة (١٨٦٩م)، أقنعه الوالي بفكرة تحويل المشيخة إلى المتصرّفيّة، قائلاً له: «إنّ العراق لا يصلح لإمارة بدويّة أبداً، وإنّ المشيخة زائلة، إنّ لم تكن اليوم فغداً، وإنّي أريد أن أعطيك روح

الزعامة، فلا تهتمُّ الألفاظ، تعال نقلب الشيخ باشا، والزعامة وظيفة كبيرة»^(١٥)، فضلاً عن ذلك، طلبوا منه ترك بعض الأراضي لصالح الإدارة العثمانية، لاسيما القرى الواقعة على نهر الفرات، والممتدة من القرنة إلى الحمار، أي: المدينة وقرها، التي كانت تبلغ وارداتها السنوية عشرين ألف ليرة عثمانية، إلا إن ناصر باشا السعدون تردّد كثيراً، وتحجج بذريعة أنه «وصل -الآن- إلى بغداد، ولم يسترح بعد، وأنه يحتاج إلى تأملٍ واستشاره»^(١٦)، ولما ذهب للاستراحة في بيته تذكّر أنّ ترك قصبه (المدينة) وجزائر البصرة التي كانت -وحسب تقديره- تحتوي ثلاثين ألف مسلّح بالبنادق، وعدّها مستند شيوخ المنتفق وقوتهم، وأنه في حال تركها ستزول سطوته، ويذكر سليمان فائق: أنّ ناصر باشا السعدون «ضاقت به الدنيا على رحبها، وطمس في بحر الهموم والغموم، لعلمه أنّه إذا ترك هذه الأراضي تتوسّع المسألة، أي: تنمحي وتنقرض تدريجياً»^(١٧)، ويبدو أنّ الوالي مدحت باشا كان يهدف إلى تفويض سلطة المنتفق باقتطاع تلك المناطق.

وبعد زيارة مدحت باشا القرنة شاهد بعينه القرى والأراضي المزمع فصلها، واستفسر حالة أهلها، فأظهروا رغبتهم في الانفصال، وخلصهم من المنتفق، واعترف شيوخ العشائر المجتمعين عنده بالظلم الذي لحق بهم؛ لذا أمر بانفصالها، وجعل القرى المنفصلة تابعة لقضاء القرنة، وبلغ الحاضرين عنده بأنّ عليهم أن يراجعوا قائم مقام القرنة بسائر أعمالهم، فأظهروا له رغبتهم في ذلك، ووعدوه ببذل قصارى جهدهم في أمر الزراعة؛ لكونهم خلصوا من الأيادي الظالمة وشكروا فعله هذا^(١٨).

وفي الأحوال كافة، فقد سلّخت في عام (١٨٧١م) كلّ من: المدينة، وبنى

منصور، ونهر عنتر، من المنتفك، ورُبطت بلواء البصرة^(١٩)، بعد أن شرع مدحت باشا في إدخال قانون الولايات الذي صدر عام (١٨٦٤م)، وبموجبه أُلغيت التقسيمات الإداريّة السّابقة للولايات، واستبدلت بقانون جديد^(٢٠)، وتمّ إصدار نظام جديد للإدارة في (٢٩ شوّال ١٢٨٧هـ / ١٨٧١م)؛ إذ جعل ولاية البصرة تتألّف من أربعة ألوية، منها: لواء البصرة، الذي أصبحت فيه المديّنة ناحية تابعة لقضاء القرنة^(٢١).

وبعد انكسار سدّ الجزائر^(٢٢)؛ ومن أجل إدامته، اتّخذ قرار ربط كلّ من مقاطعات: المديّنة، وبني منصور، ونهر عنتر، ونهر صالح، والخاصّ، بلواء المنتفك^(٢٣)، بعد أن أوكل مدحت باشا مهمّة بناء السدّ إلى متصرّف المنتفك (ناصر باشا السعدون) بحدود عام (١٨٧١م)^(٢٤)، وقد قام بجمع عددٍ كبيرٍ من العمّال من بين فلاحي المنطقة لبناء السدّ على الفرات في منطقة الجزائر، وبأجورٍ زهيدة^(٢٥)، فضلاً عن تسخير الآلاف من رجال العشائر للعمل فيه، بعد أن أخذ نهر الفرات يفيض وتغرق الأراضي الكائنة على ضفتيه من سوق الشيوخ إلى القرنة، فتتلف الأراضي الزراعيّة؛ لذا فهو سدّ واقٍ من الفيضان، فأصبح من الميسور بواسطته صيانة الأراضي كافة الواقعة جنوب النهر بين تلك المدينتين من الغرق، وزراعتها بمحاصيل شتويّة وصيفيّة كلّ عام^(٢٦)، وزيادة الأرض الصّالحة للزّراعة؛ إذ قضى على مساحات كبيرة من الأهوار وجعلها صالحة للزّراعة^(٢٧)، إلّا إنّ السدّ لم يكتمل في عهد مدحت باشا، فقد تمّ إنجازه في عام (١٨٧٤م). وبعد إكمال السدّ صدرت إرادة سلطانيّة بتلبية طلب أهالي مقاطعات المديّنة وبني منصور ونهر عنتر ونهر صالح والخاصّ

بفك ارتباط هذه المقاطعات من سنجق المنتفك، وإعادة ربطها بالقرنة^(٢٨)، في وقت كانت التقسيمات الإدارية غير مستقرّة، وتتغير بين حينٍ وآخر، ما بين عامي (١٨٧٤م، ١٨٨٤م)، وفي التقسيمات كافة كانت ناحية المدينة تابعة لقضاء القرنة ضمن ولاية البصرة^(٢٩)، وكانت تُعدّ من أكبر نواحي القرنة^(٣٠)، وأخذ سكّانها يراجعون دائرة نفوس القرنة التي أُسّست في عام (١٨٩٠م)^(٣١)، وكان مدير ناحيتها في عام (١٨٩١م) (ساقى أفندي)، وكاتب الناحية (إبراهيم أفندي)، وهم غرباء ليسوا من أبناء الناحية^(٣٢)، ويعمل مدير ناحيتها على إدارتها، ويساعده كاتبه الذي يقوم بالأعمال الكتابية وحفظ سجلّات الناحية، وفيها دائرة كمارك، وظيفتها متابعة السفن الهاربة عبر نهر الفرات، من تسديد الكمارك عند القرنة، وثكنة عسكرية للجيش العثماني النظامي، البالغ عددهم (٤٠) شخصاً من الجند^(٣٣).

ثانياً: الطابو ومشكلة الأراضي (١٨٦٩م-١٨٩٥م)

أدخل الوالي مدحت باشا نظام الطابو في ملكية الأرض، وكان يهدف إلى تغيير المؤسسات القبليّة عن طريق تحويل رجالها إلى مزارعين في أراضي محدّدة ملكيتها الخاصّة بقانون الأراضي، أراض أميرية، أو أراضي الدولة، وهي الأراضي التي أعطت الدولة حقّ شغلها بموجب وثيقة تُعرف باسم (سند الطابو)، بشروط عامّة معيّنة. وهذه الأراضي تُعرف عامّة باسم (أراضي الطابو)، ونادراً ما كان يُشار إليها على أنّها ملك؛ لأنّ حقّ الملكية المطلقة بيد الدولة، أمّا حقّ التصرف فيظلّ بيد الفرد^(٣٤)، أي: أنّ ملكية الطابو حافظت على حقّ ملكية الأرض

للدولة، ولكنها في الوقت نفسه أعطت ممنوحها حقاً قانونياً وموروثاً بالانتفاع المملوك لأفراد، غير أن الوضع العملي لهذا التفويض أخذ يقترب تدريجياً إلى حقوق الملكية نفسها^(٣٥)، لاسيما أن له الحق في أن يفرغ حقوقه فيها إلى غيره، أي: أن يتنازل صاحب التصرف عن الحقوق التصرفية لغيره، إما ببدل أو بدون بدل، كما كان من حقه أن يرهنها، أو أن يوصي بها، أو يهبها^(٣٦).

وقد أولت الدولة العثمانية أهمية خاصة لدوائر الطابو؛ لكونها المسؤولة عن تسجيل الأراضي وتنظيم ملكيتها، وقد قامت بفتح تلك الدوائر في ألوية العراق وأقصيته عام (١٨٨٦م)، بعد أن كانت مقتصرة على الولايات^(٣٧)، وقام أصحاب الشأن في ناحية المدينة بمراجعة دائرة الطابو في قضاء القرنة التي يديرها كاتب الطابو (سليمان أفندي)^(٣٨)، وكانت واجباته تسجيل كل المعلومات عن الأراضي بصفة عامة، وكذلك يقوم بتسجيل الأملاك؛ إذ يسجل المسؤول السندات الخاصة بملكية المنازل والعقارات، وكان الموظف يأخذ ضريبة بدل تسجيل مقدارها (٥٪) من قيمة الأراضي^(٣٩).

وفي الوقت نفسه، عزف الكثير من أبناء العشائر عن الحصول على سندات الطابو، ويمكن تفسير ما حدث؛ بسبب عدم تمكن رجل العشيرة من إثبات حقه التقادمي على أرضه أمام السلطة العثمانية التي اشترطت ذلك، وحددتها بفترة لا تقل عن عشر سنوات، نتيجة اضطراره إلى التنقل بين أراضي ديرته، سواء بسبب استهلاك خصوبة الأرض، أم حدوث فيضان. ولم تساعده إمكاناته المادية المحدودة في الحصول على الأراضي الزراعية بالطابو، لاسيما أن الدولة كانت تعارض أي نوع من أنواع الملكية الجماعية؛ لكي يسهل عليها التعامل

مع صاحب الأرض عند التأخير أو عدم دفع الضرائب المطلوبة من ناحية، ولتفكيك التكتلات العشائرية لصالح السلطة المركزية من ناحية أخرى؛ لذا لم يستطع الاشتراك مع فردٍ آخر أو أكثر لشراء الأرض، هذا ناهيك عن أنه لم يرَ موجباً لشرائها طالما هي بالفعل تحت تصرفه. ولا يمكن إهمال دور الفهم الخاطئ لرجال العشائر لقانون الطابو، فقد خشي الكثير منهم من أن يكون مجرد وسيلة لجلبهم للخدمة العسكرية، أو فرض الضرائب عليهم^(٤٠).

وهكذا استفاد الأغنياء وشيوخ العشائر من نظام الطابو، فقد ضمن لأغنياء المدن الحصول على مساحات واسعة من الأراضي قرب مدنها؛ بسبب إمكاناتهم المادية، وعلاقاتهم العديدة مع الإدارة العثمانية الفاسدة^(٤١)، ما أدى إلى زيادة نسبة فئة الملاكين الغائبين، لاسيما مع استمرار رفض العديد من أفراد العشائر سياسة منح الأراضي بالطابو؛ لخشيتهم من أن يفقدوا استقلاليتهم^(٤٢)، وقد برزت أسر في هذا المجال، منها: أسرة آل السعدون، وأسرة آل التقيب^(٤٣)، التي سيطرت على معظم الأراضي في ناحية المدينة التابعة لقضاء القرنة، عن طريق شراء سندات الطابو التي كانت تُباع في المزاد العلني الذي أعلن عنه في الجريدة الرسمية (الزوراء)، وكان سعر الدونم من الأرض ثمناً بسيطاً جداً، بصفة أن أراضي القرنة أميرية^(٤٤).

وهكذا سيطر أبناء أسرة السعدون على العديد من الأراضي الحدودية بين ناحية المدينة ولواء المتفك، إلا القليل منها، فقد كانت تحت تصرف أبناء المنطقة^(٤٥)؛ لذلك فقد أعرب أحد المواطنين من خلال المقالة التي نشرتها صحيفة الزوراء في: (٦ رمضان ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م) عن استيائه من عدم حصول معظم

الفلاحين على قطع الأراضي، وطالب بتفويض أراضي سدّ الجزائر لسكّان هذه المنطقة، وقد برّرت الصّحيفة في ردّها على كاتب المقالة بأنّ المسؤولية تقع على عاتق أهل هذه المناطق؛ لعدم تقديمهم طلب التّفويض^(٤٦).

وإزاء ذلك، تحوّل رجل العشيرة إلى مجرّد عامل زراعيّ يعمل في الأرض التي أصبحت ملكاً لشيخ العشيرة، الذي قد يكون ملاكاً غائباً يسكن أحد المدن؛ لذا، فالوسيط بينه وبين الفلاح فرد آخر يُدعى: (السّركال)^(٤٧). فضلاً عن ذلك، فقد تسبّبت الدّيون الطائلة المتراكمة على الفلاحين في القضاء على الملكيّات الزراعيّة الصّغيرة، فقد كانوا غالباً ما يضطّرون إلى رهن أراضيهم لدى المرابين لقاء قروض بفوائد عالية وصلت إلى ما لا يقلّ عن (٢٤٪) في البصرة مطلع القرن العشرين^(٤٨)، وإنّ الدّيون المستمرّة على الفلاحين أجبرتهم على فقد ملكيّاتهم^(٤٩)، وسرعان ما تحوّلوا إلى عمّال زراعيّين عملوا في الأغلب لصالح الملاك الكبار، لقاء أجور مقطوعة، نقود أو حبوب، حسب مواسم الزراعة والحصاد، وقد كانوا حتّى قبل أن يفقدوا أراضيهم يقومون بفلاحتها وفق نظام المشاركة في المحصول، أي: المحاصصة لصالح الشيوخ وأصحاب الملكيّات الكبيرة^(٥٠).

ثالثاً: أحوال المدينة في أواخر العهد العثمانيّ

(١٨٩٥م - ١٩١٤م)

يهدف المحافظة على الملاحة في نهر الفرات، قامت السّلطات العثمانيّة بتخصيص مبالغ سنويّة لشيوخ بني أسد والإمارة؛ لحراسة خطوط المواصلات

من القرنة إلى سوق الشيوخ^(٥١)؛ إذ كانت حراسة المواصلات نوعاً من السّلطة العشائريّة على المناطق التي لها تأثير فيها، وبسبب الخروقات المستمرة من قبل العشائر على خطوط المواصلات، قرّرت السّلطات العثمانيّة قطع الرّاتب السنويّ، وسحب يدهم من الحراسة^(٥٢)، وعليه، قامت عشيرة بني أسد بزعامة شيخها (حسن الخيون)، وحلف الصّيامر في ناحية المديّنة، بزعامة شيخهم (منشد الوادي)، بحركة ضدّ السّلطات العثمانيّة في البصرة عام (١٨٩٥م)، فتجمّع من العشيرتين ما يقرب من الثلاثين ألف رجل، فعملوا على الاستيلاء على الحبوب وبعض المحاصيل الزراعيّة التي كانت تصل إلى البصرة من منطقة الغرّاف عبر نهر الفرات، وقد حاولت الحامية العثمانيّة الصّغيرة في ناحية المديّنة، التي تتكوّن من ثلاثين جندياً يرأسهم الضّابط (رشيد أفندي) بالتصدّي لهم^(٥٣)، فحاصرتهم العشائر المنتفضة، وقتلوا قائدهم وعشرين من أفراد الجندرمة، بعد صدام استمرّ يومين متتاليين، وقتل من العشائر ما يقرب من المائة من رجالهم^(٥٤)، وقد استطاع من تبقى من الجندرمة الفرار إلى البصرة، فأبلغوا الوالي (حمدي باشا) (١٨٩٢م-١٨٩٦م)، وبدوره قام بإبلاغ الدّولة العثمانيّة بتلك الحادثة، فأصدر السّلطان العثمانيّ أمراً إلى (رجب باشا) قائد الفيلق السّادس في بغداد بتجهيز الجيش والتوجّه به إلى البصرة لمحاربة هذه العشائر، وقد تمكّن (رجب باشا) في عام (١٨٩٦م) من تجهيز جيش قوامه ألف جنديّ، وأعطى قيادته إلى أحد قوّاد الجيش في ولاية بغداد، وهو (محمد باشا الداغستانيّ) (الجيجانيّ)، الذي دخل عليهم من منطقة الأهوار^(٥٥)، غير أنّ العشائر لم تتريّث وتنتظر حتّى تنزل الحملة العسكريّة وتعسكر، ومن ثمّ تهاجمها بخطة مدروسة، بل استعجلوا

الأمر، واستقبلوا الحملة إلى مسافةٍ بعيدةٍ شرق ناحية المدّينة، وهاجموها وهي سائرة بسفنها في وسط نهر الفرات، وقد كانت السفن محكمة إحكاماً جيّداً؛ إذ إنّ نيران بنادقهم لم تنفذ فيها، وقد فتكت مدفعية العثمانيين بالعشائر المهاجمة اضطرتهم على الانسحاب والهزيمة، ومن ثمّ واصلت الحملة توجيهها إلى المدّينة وعسكرت فيها، وألقت القبض على الكثير من أبناء العشائر^(٥٦)، واستولوا على أعداد كبيرة من الأسلحة، واعتقل عددٌ من شيوخهم، ومن بينهم (حمود الجابر، وحسك المبارك، ومنشد الوادي، وجبير بن مبارك)^(٥٧)، وأرسلت بعضهم إلى سجن البصرة^(٥٨)، ونزح آخرون مع عوائلهم إلى منطقة الحويزة في إيران^(٥٩).

ومن أجل أن تبقى السّلطة ماثلة، قطعت الحكومة أكثر من خمسة آلاف نخلة في ناحية المدّينة، وأنشأت في مكانها قلعة (قشلة) جعلتها مركزاً لمدير النّاحية والجنדרمة، وعيّن (إبراهيم نامق) مديراً لها، وقد سمّيت الحوادث باسم الجيجاني (نسبة إلى محمّد باشا الدّاغستاني (الجيجاني))، واعتُبرت تاريخاً يرجع إليه في معرفة تاريخ الحوادث والولادة^(٦٠). وفي الوقت نفسه، عزّزت الحكومة العثمانيّة قوتها النّهريّة بزورق بنخاريّ حربيّ، يُسمّى (مرمريس)، واستخدمته كدوريّة في نهر الفرات يجوب ما بين القرنه والجبايش، وكان مسلّحاً بمدفعية يبلغ مداها حدود خمسة كيلو متر، وكثيراً ما يقصف القرى المقامة على نهر الفرات، التي تكون في متناول مدى مدفعيّته، ما اضطّر الكثيرون إلى مغادرة قراهم^(٦١) والسكن وسط الأهوار حيث لا تصلهم قنابل مدفعية مرمريس^(٦٢).

وبعد مدّة جاءت مجموعة من رجال الدّين طالبين العفو لعشائرهم، فكتب (محمّد باشا الدّاغستاني) إلى (رجب باشا) في بغداد طالباً لهم العفو من السّلطان

العثماني^(٦٣)، فورد الأمر بالعمو عن أبناء القبائل، وبعد فترة وجيزة تم إطلاق سراح المعتقلين من شيوخ وأبناء ناحية المدينة^(٦٤)، فضلاً عن تدخل الشيخ (صيهود ابو محمد) بينهم وبين العثمانيين، وعليه تم إعادة نفوذهم في منطقة المدينة^(٦٥). وتجدر الإشارة هنا إلى علاقة الشيخ (حمود الجابر) بالشيخ (صيهود)؛ إذ تُشير الوثيقة البريطانية إلى أن (فالح، وعبد الكريم الصيهود) شيوخ ابو محمد بعد صراعهم مع الدولة العثمانية عام (١٩٠٩م) « قد أودعا مقتنياتهما الثمينة لدى حمود الجابر شيخ المدينة»، وعلى إثرها توجهت قوة بحرية عثمانية إلى المدينة، وبوصول المركب أطلقت نيران مدافعهم في الهواء، لكن تدخل الشيخ (سالم الخيون) قد عقد السلام بينهم^(٦٦)، وهذا يوضح مدى التلاحم بين شيوخ المنطقة وأبنائها.

بعد تلك الأحداث، أصبحت المدينة أكثر استقراراً، حتى إنّها قد تأثرت بالحرّاك السياسي في البصرة، بعد أن شهدت المدة من (١٩٠٨م - ١٩١٤م) تأليف أحزاب وجمعيات سياسية فيها^(٦٧)، فقد استجاب (حمود الجابر) شيخ عشائر الصيامر في ناحية المدينة لدعوة (طالب النقيب)^(٦٨) للانضمام إلى الجمعية الإصلاحية^(٦٩) في البصرة، التي أسسها (طالب النقيب) في: (٢٨ شباط ١٩١٣م)، بعد أن كان جلّ اعتماده على عشائر القرنة ونواحيها، بوصفهم القوة التي يعتمد عليها بسبب ما تملكه عائلة النقيب من أراضٍ^(٧٠). وبالفعل، نجح في استمالة مجموعة من شيوخها^(٧١) المتبرّمين من احتكار شيوخ السعدون لسندات ملكيات الأراضي الزراعية^(٧٢).

واستمرت علاقة الشيخ (حمود الجابر) مع (طالب النقيب) وتأثيره عليه،

وهذا ما تؤكّده الرسالة الموجّهة إلى الضابط البريطاني السير (برسي كوكس) من قبل (طالب النقيب) في: (١٠ كانون الأوّل ١٩١٤م)، بأنّه «... قد غادرتُ البصرة بعد أن حذرتُ بصورةٍ سرّيّةٍ كلاً من رئيس اللّجنة البلديّة وبعض سكّان المدينة، وشيخ المديّنة حمود المير جابر من مقاتلتكم»^(٧٣). وربّما شكّل ذلك ضاغطاً فاعلاً تجاه الشّيخ (حمود الجابر) في مراجعة موقفه بالوقوف ضدّ البريطانيّين، وهذا ما سنراه في مجرى الأحداث اللاحقة.

رابعاً: المديّنة وفتوى الجهاد ضدّ الاحتلال البريطانيّ (١٩١٤م-١٩١٧م)

ابتدأتُ المواجهة بين البريطانيّين والعثمانيّين عندما قامت طلائع القوّات البريطانيّة في الخليج العربيّ في: (٦ تشرين الثاني ١٩١٤م) بأوّل عمل عسكريّ بريطانيّ في العراق باحتلال مدينة الفاو، ورفعت العلم البريطانيّ فوق قلعتها^(٧٤)، وعليه، بعث أهالي البصرة برقيّةً إلى علماء الدّين جاء فيها ما نصّه: «تغرُّ البصرة الكفّار محيطون به، الجميع تحت السّلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدّفاع»، ولقد استجابت مدينة النّجف لهذا الطلب الجهاديّ، وحصل اجتماع كبير في جامع الهنديّ في: (٩ تشرين الثاني ١٩١٤م)، حضره الكثير من علماء الدّين ورؤساء العشائر، وخطب فيه السيّد (محمد سعيد الحبّوبي) وغيره من العلماء، كالشّيخ (عبد الكريم الجزائريّ)، وأشاروا إلى وجوب المشاركة الإسلاميّة لطرد الغزاة من البلاد^(٧٥).

إزاء ذلك الوضع، يبدو أنّ شيوخ المنطقة بعثوا رسائل إلى النّجف يُبدون

فيها استعدادهم لمقاومة البريطانيين، وعلى إثرها أرسل السيد (محمد كاظم اليزدي) رسالة شكر إلى الشيخ (حمود الجابر) رئيس عشيرة الإمارة في المدينة، والشيخ (كباشي السعد) رئيس عشيرة السعد في القرنة، نصّها: «الماجدان الشيخ الأكرم حمود الجابر، والشيخ الأجد كباشي السعد، وصلنا تلغرافكم، شكر الله مساعيتكم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلكم منصورين، وعلى الأعداء ظافرين قاهرين، إن شاء الله تعالى»^(٧٦).

وهكذا، لبّت جميع عشائر المدينة دعوة الجهاد، وتوجّهوا إلى البصرة، وقد شاركوا في معركة كوت الزين^(٧٧) في: (١٧/١١/١٩١٤م)، وهي معركة غير متكافئة، انتهت بهزيمة الأتراك وانسحابهم، وأعطت العشائر الكثير من رجالها في المعركة، منهم (نصر) الابن الأكبر للشيخ (حمود المير جابر)^(٧٨).

بعد ذلك، تقدّم البريطانيون باتجاه مدينة البصرة واحتلالها في: (٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م)، بعد انسحاب العثمانيين منها^(٧٩)، بعد ذلك توجه البريطانيون نحو القرنة، وبعد سلسلة من المناوشات والمعارك غير المتكافئة، تمكّنوا في: (٩ كانون الأول ١٩١٤م) من احتلالها بعد استسلام القائد العثماني (صبحي بيك)^(٨٠).

وفي غضون ذلك، وقبل أن يصل البريطانيون إلى المدينة، انقسمت عشائر المدينة على قسمين، بعد أن رجّح (حمود المير جابر) انضمامه إلى كفة القوّات البريطانية لاعتباراتٍ تتطلّبها سلامة وأمن العشيرة، القسم الأوّل: يرى رأي الشيخ (حمود المير جابر) بعقد الصلح مع القوّات البريطانية والركون إلى السلم والهدوء، والقسم الآخر: يرى البقاء على تحالفهم مع الأتراك، وتلبية نداء الجهاد،

وهذا الرأي ممثَّل بالشيخ (حسك المبارك)^(٨١).

وعليه، بعث السيّد (عبد الرزاق الحلو)^(٨٢) رسالة إلى شيوخ المديّنة يحثُّهم على الجهاد، وركن الخلافات جانباً، وجاء فيها: «حضرة المحترمين: حمود آل جابر، وحسن [حسك] آل مبارك، وعموم الإمارة، وعموم عشائر الجزائر: البصرة من أكبر الثغور الإسلاميّة، واليوم ابتليت بمهاجمة الكفّار والمشرّكين، يجب عليكم جميعاً أن تحضروا وتجمعوا لحماية المسلمين وأراضي الإسلام، ولا يجوز التخلف والتهاون عن هذه الفريضة الشرعيّة، ويلزم عليكم أن تلقوا جانباً كلّ عداوة وكدورة ما بينكم، وكلُّكم بيد واحدة تطردون الكفّار من بلاد المسلمين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، وإذا اقتضت مهاجرتنا إلى تلك الأطراف فأطلعونا نأني»^(٨٣).

وفي إطار ذلك كلّه، ومع بداية عام (١٩١٥م)، تقدّم الإنكليز صعوداً في نهر الفرات باتجاه المديّنة والجبائش، فطلب البعض من الشيخ (حمود الجابر) التّفاهم مع الإنكليز لعدم إلحاق الأضرار بالنّاس^(٨٤)؛ ونتيجة لذلك، وطبقاً لما تقدّم، فقد رافق الشيخ (حمود المير جابر) القوّات البريطانيّة المتّجهة إلى احتلال لواء المنتفك بمعيّة (كباشي السّعد) من شيوخ القرنة، و(إبراهيم بك مزعل السّعدون)، والسيّد (إبراهيم البعّاج) (من سادة المنطقة)، و(عليّ الفاضل) شيخ خفاجة^(٨٥). أمّا الاتجاه الآخر الجهاديّ النّزعة، بزعامة (حسك المبارك)، فقد استجاب لدعوة السيّد (عبد الرزاق الحلو) في مواصلة الجهاد، بعد أن جاء إلى منطقة المديّنة، وقد اتّخذوا من قرية العردة شمال القرنة مقراً لهم، وبدأت العشائر تُغيّر ليلاً على خطوط دفاعات الإنكليز في القرنة وترجعها بإطلاق النّار على

المعسكرات والخنادق^(٨٦). لقد أكّد (طاوزند) دور سكّان الأهوار في مضايقة الجنود البريطانيين، بقوله: «أما العرب القاطنون في البطائح، فأخذوا يُضايقون جنودنا في القرنة بإطلاق النّار عليهم»^(٨٧)؛ لذا عمد الإنكليز لأنّ يضربوا العشائر، وبدأوا يسيّرون مركباً مسلّحاً في نهر الهوير^(٨٨) باتجاه العردة لضرب قوّات العشائر وإجبارها على الانسحاب؛ ولما كان أوّل هدف لتقدّم هذا المركب هي قرية العردة التي هي مقرّ العالم المجتهد السيّد (عبد الرزّاق الحلو)؛ لذلك تصدّى المجاهدون لذلك المركب، ودخلوا وإيّاه في معركة ضارية، مستفيدين من كثافة البرديّ وتحديد الرّؤية، فاضطرّ المركب إلى الانسحاب إلى الوراء، حتّى وصل قرية الهوير^(٨٩) على ضفّة نهر الفرات، وقد تدخلت السفن الحربيّة المتواجدة في نهر الفرات بإطلاق مدافعها البعيدة المدى لتخليص المركب المنسحب من تضيق العشائر، وقُتل في هذه المعركة رجالان من أبناء المدينة^(٩٠).

ولمنع تكرار دخول الزّوارق الحربيّة الإنكليزيّة من نهر الهوير وضربها جناح القوّات التّركيّة الأيمن والحشود العشائر المتواجدة في هذا الجناح، التي أصبحت ذات تأثير ومصدر قلقٍ على القوّات الإنكليزيّة في القرنة؛ لذا طلب (حسك المبارك) من الأتراك إعطاءه مدفعاً لوضعه في منطقة القنّاصيّة، ليستطيع منع البواخر الإنكليزيّة التي تتسلّل من نهر الهوير، وقد وافقوا على ذلك، على أن يكون لديهم شابان رهينتان من أبنائه أو أقربائه للحفاظ على المدفع المذكور، وبالفعل، أعطاهم شابّين من أبناء عشيرة الإمارة، وهما: غانم الوادي، وخليفة الجبير^(٩١).

أمّا في معركة الشّعبية، التي بدأت صباح يوم (١٢ نيسان ١٩١٥م) بهجوم

العثمانيين على المواقع البريطانية، فقد كان لعشائر الحلاف دورٌ بارزٌ فيها؛ إذ التفت حول الشيخ (طاهر فرج الله الحلفي)، الذي قادهم لقتال القوات البريطانية، وقد استمرت المعركة يومين، وشاركت فيها معظم العشائر العراقية^(٩٢)، وفي صباح (١٤ نيسان)، كان للهجوم البريطاني المضاد أثره في دحر القوة العثمانية، ومن أسباب الهزيمة: عدم التجانس في القوة العثمانية^(٩٣).

وفي ضوء معطيات الواقع، بدأت القوات البريطانية بقيادة (طاووزند) الاستعداد لمهاجمة القوات العثمانية في شمال القرنة في: (٢٤ آيار ١٩١٥ م)، وقد بدأ الهجوم البريطاني قبل فجر (٣١ آيار)، ونجح في التقدم ودحر العثمانيين؛ بسبب تفوقه في المدفعية ووسائل النقل النهري المسلحة، وهكذا تراجع العثمانيون مطاردين حتى العمارة، التي وصلوها في: (٣ حزيران ١٩١٥ م)^(٩٤)، فلم يكن من (حسك المبارك) وحفاظاً على العهد، إلا أن قام بأخذ المدفع وطاقمه البالغ ثلاثين جندياً وضابط الارتباط (أحمد أفندي أديب)، متعقباً الأتراك لتسليمهم المدفع وطاقمه، غير أنه لم يستطع اللحاق بالقوات التركية المنسحبة، وفي إحدى قرى منطقة قلعة صالح^(٩٥)، وجد الشابين الرهيتين هارين، فصرف الجنود مع أسلحتهم، تاركين المدفع، بعد أن أخذوا مقلقه، وقد عاد بالرّهائن وبالمدفع دون مقلقه، أما بقاء المدفع، فكان ضرورياً؛ لأنه يُعدّ - حينذاك - سلاحاً مخيفاً، يُمكن أن يشدّ أزره به ويقوّي به مركزه^(٩٦).

ونظراً إلى ذلك الموقف، أصبح بقاء جماعة (حسك المبارك) في (أصلان) غير مجدٍ؛ لأنهم معرضون لهجوم القوات الإنكليزية في كل لحظة، لاسيما وأنهم من أعوان العالم السيد (عبد الرزاق الحلو)، وهو لا يزال بينهم ويدعوهم

لمواصلة الجهاد، وعليه، رحلوا إلى حافة هضبة سيّد (أحمد الرّفاعي) الشّرقية، التي كانت تحت نفوذ الشّيخ (شواي الفهد)^(٩٧) رئيس عشائر الإزيرج في لواء العمارة؛ وذلك لبعدها عن متناول القوّات الإنكليزيّة، ولتتمكّن من الاتّصال بالقوّات التّركيّة التي أعادت تنظيم خطوط دفاعاتها في منطقة الكوت^(٩٨)؛ إذ ارتأى القائد التّركي (نور الدّين بيك) بعد سقوط النّاصريّة أن يعمل على تقوية التحصينات للدّفاع عن الكوت، فأمر القوّات المرابطة في (فليفلة) و(اكميت) للانسحاب إلى الكوت، وكان ذلك في: (٢٥ تمّوز ١٩١٥م)^(٩٩)، وهناك من يرى وجود سببٍ آخر في هجرة (حسك المبارك) وأعوانه إلى العمارة، وهو ضغط الشّيخ (حمود الجابر) عليهم، لاسيّما بعد أن يئس من انضمامهم إليه، فقام بحرق مضائفهم، ومنها: مضيف الشّيخ (حسك المبارك) في أصلان، بعد أن طلبت القوّات البريطانيّة منه (إجلاءهم) من المنطقة، ما أجبرهم على التّروح إلى أهوار العمارة^(١٠٠). وبعد أن استقرّوا، ذهب (حسك المبارك) بصحبة السيّد (عبد الرّزاق الحلو) إلى الكوت، واتّصل بالأترك، وعرض عليهم الموقف وما يستطيع أن يقدّمه من خدمة، فطلبوا منه أن يساعد الوكلاء الذين يعملون مع العثمانيّين، ويؤمّن إيصالهم إلى البصرة، ويقوم ببعض الأعمال التي من شأنها أن تؤثّر في خطوط مواصلات القوّات الإنكليزيّة في نهري الفرات ودجلة، وفي الوقت نفسه، أصدروا أمراً بتعيينه قائمقاماً لقضاء القرنة، وراتبٍ شهريّ قدره عشرين ليرة ذهبية^(١٠١). ويبدو أنّ ذلك التّعيين لم ير النور لسيطرة البريطانيّين الفعلية على القرنة.

وفي غضون ذلك، أوّزت الإدارة الإنكليزية إلى الشّيخ (شواي الفهد)

بأن يُرحَّل تلك الجماعات من مقاطعته، وأوعزت إلى جميع رؤساء عشائر العمارة بمساعدته، فاضطروا لأن يتجهوا إلى حدود أراضي الجبايش، وكان رئيس الجبايش -آنذاك- (ماجد الحمود)^(١٠٢)، الذي رفض دخولهم إلى أراضي الجبايش، وبما أن المنافذ قد سُدَّتْ بوجوههم؛ فإتَّهم رفضوا الانصياع إليه، بصفة أن الجبايش هي من الجزائر، وهي مشاعٌ لجميع عشائر المنطقة، وقرروا السكن في (تلّ العبد) على حافة الهور، وشيدوا فيه قلعة من الطين، مصمَّمين على القتال مهما كانت النتائج، ومن ثمَّ بدأوا يُغيرون على طرق المواصلات بين الجبايش والقرنة، ويقطعون خطوط البرق والتلفونات، ويقومون بإرسال الأعمدة والأسلاك التي يستحوذون عليها إلى الأتراك في الكوت^(١٠٣).

وبعد أن سقطت بغداد عام (١٩١٧م)، وانسحب الأتراك إلى شمال العراق، توسَّط الشَّيخ (خزعل)^(١٠٤) أمير عربستان، عند الإنكليز لعودة (حسك المبارك)، ومنَّ معه إلى منطقة المدينة، وبما أنَّهم كانوا مصدر إزعاج لخطوط مواصلاتهم بين الجبايش والقرنة، فقد وافقوا على ذلك، وأسكنوهم في قرية (الخاص) في منطقة المدينة، ومن ثمَّ انتقلوا إلى الدرريوشي^(١٠٥) داخل المدينة نفسها^(١٠٦)، وهذا ما أكَّدته التقارير البريطانيَّة في عام (١٩١٧م)، التي أشارت إلى أن: «حسك بن مبارك الحاضر كان موقفه مع الأتراك حتَّى شهر مارت سنة ١٩١٧، وبعدئذٍ التحق بنا»^(١٠٧).

خامساً: المَدِينَة فِي ظلِّ الاِحْتِلالِ البَرِيْطانيِّ (١٩١٧م-١٩٢٠م)

عندما احتلَّ البريطانيُّونَ البصرة، قاموا بإعادة التقسيم الإداريَّ فيها، وتمَّ فصلُ القُرْنَة^(١٠٨) بوصفها منطقةً مستقلَّةً، وبقيتْ المَدِينَة ناحيةً تابعة لها^(١٠٩)، وعملوا على إغراء الشيوخ لتولِّي شؤون الإدارة في مناطقهم؛ لتقوية الروح العشائريَّة وإضعاف الوحدة الوطنيَّة، وتقرَّبوا إلى كبار الملاكين والمتنفذين، وأصبح في كلِّ ناحيةٍ مديرٌ يستمدُّ صلاحيَّاته من صلاحيَّات مساعد الضابط السياسيِّ في المنطقة، الذي كانت له صلاحيَّات واسعة^(١١٠)، ووفق تلك السياسيَّة، أصبح (عبد الحميد حمود المير جابر)^(١١١) مديراً لناحية المَدِينَة من قبل السير (هنري دوبس)^(١١٢) في: (٤ كانون الأوَّل ١٩١٦م)^(١١٣) براتبٍ قدره (٥٠٠) رويَّة^(١١٤)، الذي أصبح شيخ الصيامر بعد وفاة والده الشيخ (حمود المير جابر) في العام نفسه، وكان صغير السنَّ قليل التجربة^(١١٥)؛ إذ كان عمره (١٩) سنة، ولصغر سنِّه اختار (مزيد الحبيب) مستشاراً له، وكان غير مرغوب فيه من قبل الإدارة البريطانيَّة، التي أخذتْ تتحينُ الفرص للتخلُّص منه، وقد عدتْ ذلك الشيء صعباً؛ «بسبب تعلق الشيخ حميد به شخصياً»، لكن بعد ذلك حدثتْ بينهم خصومة مفتوحة، فقرَّر (حميد) على إثرها الطلب من (مزيد) بمغادرة ناحية المَدِينَة، نُفي على إثرها إلى المحمَّرة، وبعده عيَّن (سعدون) عمَّ (حميد) مستشاراً له، وبالتدرُّج تطوَّرتْ صلات وُدِّ وصدقةٍ بينه وبين (حسك المبارك)، حتَّى أصبح الأخير المستشار الوحيد للشيخ الشَّابِّ^(١١٦)، وإلى جانب

مدير النّاحية كان في كلّ قرية مختار، يستعين بهم في تنفيذ أوامره، ويجمعون له الصّرائب والغرامات^(١١٧).

وفي عهده، فتح الإنكليز مدرسة المديّنة الابتدائيّة بين عامي (١٩١٧م، و ١٩١٨م)^(١١٨)، وتتكوّن من صّفٍ واحدٍ، عيّنوا لها مدرّساً واحداً نجفياً، وهو السيّد (مرزا بحر العلوم)، فالتحق فيها أكثر من ثلاثين طالباً، ثمّ أخذ العدد يتناقص؛ لعدم توافر وسائل النّقل، حتّى نزل إلى ستّة طلاب، وبعد (١٦) شهراً ألغيت، وبطلت من (حسك المبارك) أعاد الإنكليز فتح المدرسة ثانية، وبعده صفوف، وقد عيّنوا لها مديراً من النّجف -أيضاً-، هو الشّيخ (سعيد)، وبعض المعلّمين المصريّين. كان الشّيخ (سعيد) ضليعاً باللّغة العربيّة، ففتح صفّاً ليلياً في مكتبته داخل المدرسة، وأخذ يدرّس الطلاب الدّروس النّحويّة على الطّريقة النّجفيّة؛ ولذا كان مستوى الطلاب جيّداً حسب تقييم رجال المعارف الذين كانوا يزورون المدرسة -آنذاك-^(١١٩).

وفي ضوء سلبّيّات الواقع، وفي أواخر عام (١٩١٩م)، وبناءً على رغبة أهالي المديّنة، ارتأت الإدارة الإنكليزيّة أن يُؤتمى بـ(حسك المبارك) رئيساً لعشائر المديّنة بدلاً من (عبد الحميد)؛ لكونه الرّئيس الثّاني لعشيرة الإمارة بعد الشّيخ (حمود المير جابر)، فضلاً عن الأحداث التي صهرته في تجاربها^(١٢٠)؛ إذ تُشير الوثائق البريطانيّة إلى أنّ (عبد الحميد) «لم يحقّق نجاحاً يُذكر، فنُفي سنة ١٩١٩م إلى التّرابة»^(١٢١).

ومع ذلك، لم تخلُ السّنوات التي أصبح فيها الشّيخ (حسك المبارك) مديراً لناحية المديّنة من بعض المشاكل، ففي العام نفسه، حدثت بعض المشاكل التي وُصفتُ بأنّها «ذات طبيعة خطيرة»، بعد أن رفضت عشيرة العلوان دفع الملاكية،

ومنعت المخمّنين الذين بعثتهم الحكومة من الدّخول إلى البساتين وتقديرها، وقد بدأت العشيرة بإطلاق النار على المخمّنين، وأصبحت في حالة من الهياج؛ وإزاء ذلك، رفضت القرى المجاورة عملية التّخمين، مثل: قرية البدران، وقد فرضت عليها الحكومة غرامة نصف حصّة الملاكية، أمّا عشيرة الخليفة، فقد سدّدت الملاكية دون إثارة أيّ مشكلة، وعليه، ذهب معاون الحاكم البريطانيّ إلى المدّيّة لمقابلة رؤساء العشائر والاطّلاع بنفسه على الشّكوى، إلّا أنّه وجدهم قد قصدوا البصرة لرفع شكواهم، فصدر إليهم إنذارٌ يطلب منهم القدوم إلى المدّيّة فوراً، وفي حالة الرّفص يتقرّر إرسال مركب مسلّح وإلقاء القبض عليهم. وانحصرت شكواهم بعدئذٍ في عدم دفع الميري^(١٢٢) إلى الشّيخ (حسك)، وأنهم مستعدّون لتسديد الملاكية إلى الحكومة مباشرة، ولم تعدّ الحكومة البريطانيّة هذا العمل موجّهاً ضدها، وإنّما هو نتيجة الخصومات الداخليّة^(١٢٣)، ومن الجدير بالذكر، أنّ شيوخ تلك العشائر -آنذاك- هم: (عبد الحبيب ابن حاج شريف، شيخ عشيرة العلوان، ومحمّد السّلمان، شيخ عشيرة البدران، ونعيم ابن حاج حسين، شيخ عشيرة الخليفة)^(١٢٤).

وفي شهر أيلول (١٩٢٠م)، تكرّر الموقف نفسه بعد أن رفضت القرى الثلاث: (العلوان، البدران، الخليفة) قبول المخمّنين، وهدّدوا موظّفي الحكومة بإطلاق النار عليهم، الأمر الذي أدّى إلى تدخّل البريطانيّين؛ إذ أرسلوا مركباً حربياً يحمل (٣٠) من رجال السّرطة، اتّخذ موقعاً أمام القرى الثلاث، وألقي القبض على سبعةٍ من شيوخ تلك العشائر، واقتيدوا إلى سجن القرنة^(١٢٥). لم تقضِ الحملة البريطانيّة على مشاكل العشائر، فقد استمرّت وانتشرت إلى

القرى الأخر، مثل: قرية الحاج حمدي^(١٢٦)، وبعد عودة معاون الحاكم السياسي من إجازته، قام بالتجوال لمدة يومين بين القرى؛ ليطلع على أسباب المشاكل في المنطقة، ويتحرى الأسباب الحقيقية؛ لذا وعدتهم الإدارة البريطانية بقدوم موظفٍ خاصٍّ بتسوية الأراضي؛ لئنيهي الخصومات، وقد ورد بالتقارير البريطانية أنّ الإجراءات القمعية أدت إلى نتائج عكسية، فاستدعاء المراكب المسلحة لم يكن علاجاً صحيحاً للمشكلات؛ لأنّ الأهالي يطالبون بحلّ قضاياهم حلاً عادلاً، فيما أشارت التقارير إلى أنّ الشّعور المعادي للشيخ (حسك) كان قوياً وشاملاً، وقد تحرّى معاون الحاكم السياسي عن ذلك، ولم يجد ما يُبرّره، غير أنّه أورد أنّ بعضها كان «نتيجة التهور وعدم الحكمة»^(١٢٧).

وإزاء ذلك، رفض بقية المختارين دفع ما بذمتهم من رسوم الملاكية؛ حتى يروا قرى (العلوان، والبدران، والخليفة) يسدّدون ما بذمتهم، فاستدعى معاون الحاكم السياسي في القرنه رؤساء هذه القرى الثلاث، ونوقشت القضايا المتعلقة، وعادت العلاقة على طبيعتها بين تلك العشائر والشيخ (حسك المبارك)، واتفق الجميع على دفع رسوم الملاكية إلى الحاكم السياسي بوساطة الشيخ (حسك)، وفي حال تخلّفهم يدفعون غرامةً. وفي الوقت نفسه، وافقت الإدارة البريطانية على اختيار عددٍ من المختارين الجدد؛ شريطة الإفراج عن الموقوفين بالبصرة، وإرسال وفدٍ إلى بغداد لعرض مشكلات أراضيهم بالسرعة الممكنة، بعد ذلك، دفعت (العلوان والخليفة) الديون المستحقة، وأصبح الوضع مستقرّاً^(١٢٨)، ولم يكن من المستطاع تسوية هذه المنازعات عن الأراضي وملكيّتها بصورة نهائية إبان الاحتلال الإنكليزيّ، فلجؤوا إلى حلولٍ مؤقتة^(١٢٩).

وعند إعلان الحكومة الوطنيّة في العراق، أصبح الشيخ (حسك المبارك) مديراً لناحية المدينة، بتاريخ: (٢٣ / ٢ / ١٩٢١م)^(١٣٠)، ولا يُستبعد أن تكون ثمة مشاكل حدثت في السنوات الثلاث اللاحقة أسهمت في فرض الإقامة الجبريّة عليه في البصرة، ومن ثمّ الاستغناء عنه مديراً لناحية المدينة^(١٣١) في: (٨ تشرين الثاني ١٩٢٣م)^(١٣٢).

الختامة

تناولت هذه الدراسة عبر صفحاتها ناحية المدينة في المدّة الواقعة ما بين عامي (١٨٦٩م - ١٩٢٠م)، التي شهدت تغييرات مهمّة، وقد تضمّنت مواضيعها تلك التغيّرات من خلال تسليط الضوء على جوانب من الواقع الإداري والاقتصادي والسياسي، وقد أظهرت الدراسة النتائج الآتية:

- أصبحت المدينة - على الصعيد الإداري - ناحية مرّة ثانية، بعد أن كانت ضمن مشيخة المتفك منذ بداية القرن الثامن عشر، بعد أن شرّعت الحكومة العثمانيّة مجموعة من القوانين والأنظمة الخاصّة بالإدارة، أُدخلت إلى العراق في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩م - ١٨٧٢م).

- إنّ التغيرات العميقة التي حصلت في ناحية المدينة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، هي محصّلة المتغيّرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة في العراق، التي نتج عنها تطبيق نظام الطابو، ما أدى إلى قلبٍ تدريجيٍّ للتوازن في العلاقات الاجتماعيّة، كان أبرزُ مظاهره صعود فئات اجتماعيّة جديدةٍ أفرزت نظاماً إقطاعياً سادت خلاله العلاقات الطبقيّة (الإقطاعيّة والفلاحيّة) مع بعض علاقات برجوازيّة.

- إنّ إسهام شيوخ العشائر في الحياة الحزبيّة في نهاية الحكم العثمانيّ يُعدّ ظاهرة جديدة في المجتمع العشائريّ في المدينة؛ لأنّ شيوخ العشائر انغمروا في الأهواء السياسيّة بمفاهيمهم القبليّة، وكانت مشاكل الأراضي بين رؤساء العشائر سبباً في انتهمهم إلى الأحزاب السياسيّة لمواجهة تلك المشاكل.

- إنّ حركة المقاومة ضدّ الاحتلال البريطانيّ تفاعلت مع الجماعة الدّينيّة إيجابياً لتشكّل صورةً حيّةً للمجتمع في مناهضة التسلّط الأجنبيّ على العراق؛ إذ كان لعلماء الدّين موضع احترام المجتمع وتقديره.
- تذبذب ولاء بعض شيوخ العشائر تجاه سلطات الاحتلال البريطانيّ والعثمانيّين، حسبما تقتضيه مصالحهم الخاصّة، وتقلّبات ظروف الحرب، فأصبح بعضهم يحوّل التّغيير، لاسيّما الفئات التي اكتسبت وضعاً مادّيّاً ومعنوياً مرتفعاً في المجتمع، فكانت ممتنّة من الأوضاع القائمة.
- لقد أثمرت السّياسة التي اتّبعتها الإدارة البريطانيّة تدمّر العشائر في ناحية المدينة من الأوضاع السّائدة؛ إذ إنّ العشائر لم تكن تخضع إلى سلطةٍ حكوميّةٍ لقرونٍ سبقت الاحتلال؛ إذ كان الفلاحون في هياجٍ شديدٍ، والسّبيل الوحيد الذي اهتمت إليه الإدارة البريطانيّة هو أن تضرب العشائر بشيوخها ورؤسائها، أو أن تضرب رؤساء العشائر ببعضهم، وتعزل الشّيوخ وتستبدلهم بأخرين، مستفيدةً من مبدأ (فرّق تسد) سيّء الصّيّة.

الهوامش

- ١- الجبايش: من نواحي الناصرية (وحياناً قضاء)، تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات، لم تعرف -كسائر منطقة الأهوار- إدارة فعالة طول الحكم العثماني، ولكن ابتداء العثمانيون يؤلون منطقة الجبايش اهتماماً متزايداً من عام (١٨٦٥م)، فقد أنشئ فيها عدد من مراكز الجندرية، وفي عام (١٩٠٤م)، أصبح (سالم الخيون) شيخاً على العشيرة، واتبع سياسة موالية للعثمانيين. وبعد سيطرة البريطانيين عليها، لجؤوا إلى الحكم المباشر، فتم تعيين رجل من أهل الهوير اسمه سيد (عبد الحسن) مديراً لناحية الجبايش. وكانت الجبايش بين سنتي (١٩١٤م-١٩١٨م) ملحقة إدارياً بالقرنة التابعة للبصرة، وبعد ذلك ألحقت بسوق الشيوخ التابع للناصرية. للمزيد، يُنظر: شاکر مصطفى سليم، الجبايش دراسة اثروبولوجية لقرية في أهوار العراق، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٠م.
- ٢- للمزيد من الاطلاع، يُنظر: حسام طعمة ناصر، ومشتاق عيدان اعبيد، المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني (١٥٤٦م-١٧١٨م)، مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٥م.
- ٣- حكم موجه من الديوان الهمايوني في إسطنبول إلى بكلي بكلي بغداد في: (٢٩ جمادى الأولى ٩٥٩هـ)، الموافق: (٢٣/آيار/١٥٥٢م). فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواسط القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي: المجلد الثاني، ص ١٠٩-١١١.
- ٤- طارق نافع الحمداني، انتفاضات القوى العربية المحلية في البصرة والجزائر ضد التوسع العثماني خلال القرن السادس عشر، مجلة آفاق عربية، السنة التاسعة، العدد ٨، ص ٦٩.
- ٥- طارق نافع الحمداني، موقف القوى المحلية من الولاة العثمانيين في البصرة خلال

- القرن السادس عشر، مجلّة دراسات للأجيال، العدد الثالث، السنّة الخامسة:
ص ٢١٣-٢١٤.
- ٦- عبد عليّ بن ناصر الحويزيّ، السيرة المرضيّة في شرح الفرضيّة: ص ٥.
- ٧- ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ١٢٨.
- ٨- عبد عليّ بن ناصر الحويزيّ، المصدر السابق: ص ٣٥.
- ٩- للمزيد من التفاصيل، يُنظر: حسام طعمة ناصر، ومشتاق عيدان اعييد، المصدر السابق: ص ١٢٤-١٣٣.
- ١٠- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق المعاصر: ص ٤٥.
- ١١- عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقيّة: ص ٧٢، الهامش ٢.
- ١٢- محمّد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهائيّ الطائيّ، التّحفة النبهائيّة في تاريخ الجزيرة العربيّة: ص ٣٠٨.
- ١٣- يعقوب سر كيس، مباحث عراقية، القسم الثاني: ص ٢٥٨.
- ١٤- عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقيّة: ص ٦٩-٧٠.
- ١٥- سليمان فائق بك، عشائر المنتفق: ص ٦٩، هامش ١.
- ١٦- المصدر نفسه: ص ٦٥.
- ١٧- المصدر نفسه: ص ٦٦-٦٨.
- ١٨- المصدر نفسه: ص ٦٥-٦٦.
- ١٩- عبد الله الفيّاض، مشكلة الأراضي في لواء المتفك: ص ٦٢؛ ويعقوب سر كيس، مباحث عراقية، القسم الثاني: ص ٢٦٤.
- ٢٠- فردوس عبد الرحمن كريم، لواء العمارة في العهد العثماني (١٨٦١-١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة: ص ٤٨.
- ٢١- مصطفى كاظم المدامغة، نصوص من الوثائق العثمانيّة عن تاريخ البصرة في سجلّات المحكمة السّريّة في البصرة (١١٨٨-١٣٣٠): ص ٣٧.
- ٢٢- بُني سدّ الجزائر عام (١٢٧٨هـ/١٨٦٢م) بعد أن عُيّن محمّد منيب باشا رئيساً لمجلس الإعمار في بغداد، وعُهد إليه مهمّة بناء السّدود في الجزائر لتخليص البصرة من ضرر المستنقعات، يُنظر: أحمد نور الأنصاريّ، النصرة في أخبار البصرة: ص ٥٨.

- ٢٣- فاضل بيات، محاضرة: ناذج من الوثائق العثمانية المتعلقة بتاريخ العراق، قاعة كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢١/٤/٢٠١٥ م.
- ٢٤- عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية: ص ٧٤، الهامش.
- ٢٥- كمال مظهر أحمد، الطبقة العاملة العراقية، التكوّن وبدايات التحرك: ص ٣١.
- ٢٦- شاکر مصطفى سليم، الجبايش دراسة اثروبولوجية لقرية في أهوار العراق: ص ٢٣١.
- ٢٧- عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية: ص ٧٤، الهامش.
- ٢٨- فاضل بيات، محاضرة...، المصدر السابق.
- ٢٩- عبد العال وحيد عبود العيساوي، لواء المتفك في سنوات الاحتلال البريطاني (١٩١٤م-١٩٢١م): ص ١٧-١٨.
- ٣٠- عبد الرزاق الحسيني، تاريخ البلدان العراقية: ص ١١٧.
- ٣١- بصرة سالنامه ولايتي، سنة (١٣٠٨هـ-١٨٩٠م)، الدفعة (١)، ص ٧٨.
- ٣٢- بصرة سالنامه ولايتي، سنة (١٣٠٩هـ-١٨٩١م)، الدفعة (١)، ص ١٥٣.
- ٣٣- عبدالله رمضان آل عيادة الرفاعي، تراث البصرة، أنهار البصرة وقراها ومقاطعاتها الزراعية: ص ٩٣.
- ٣٤- شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب (١٨٠٠م-١٩١٤م)، ترجمة: رؤوف عباس حامد: ص ٥٢٩.
- ٣٥- مكرم الطالباني، الأصل التاريخي لعلاقة الدولة بالأرض والازدواجية في ملكية الأراضي في وادي الرافدين، «الثقافة الجديدة» (مجلة)، بغداد، العددان (١٧-١٨)، أيلول - تشرين الأول، ١٩٧٠م، ص ٢٨؛ ونوري خليل البرازي، الملكية والتطوير الزراعي في العراق، «كلية الآداب»، بغداد، العدد (٧)، نيسان ١٩٦٤م، ص ١٧١-١٧٢.
- ٣٦- سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق: ص ١٢٧.
- ٣٧- جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩م-١٩١٧م): ص ٤٠٨.
- ٣٨- بصرة سالنامه ولايتي، سنة (١٣١٤-١٨٩٥م)، دفعة (١)، ص ١٨٧.
- ٣٩- الزوراء، العدد (١٩١) (١٤ شعبان ١٢٨٨هـ تشرين الثاني ١٨٧١م).

- ٤٠- دورين وورنر، مشاكل ملكية الأرض في الهلال الخصيب في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة: أحمد القصير، «الثقافة» (مجلة)، بغداد، العدد (٨)، آب ١٩٧٩م، ص ١٩-٢٠؛ وجعفر الخياط، القرية العراقية، دراسة في أحوالها وإصلاحها: ص ١٩-٢٠؛ وغسان العطية، العراق، نشأة الدولة (١٩٠٨م-١٩٢١م)، ترجمة: عطا عبد الوهاب: ص ٤٥؛ وشاكر مصطفى سليم، المصدر السابق: ص ٢٦٢.
- ٤١- شاكر مصطفى سليم، المصدر السابق: ص ٢٦٣.
- ٤٢- ألبرت م. منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة: هاشم صالح التكريتي: ص ٦٨.
- ٤٣- لاتزال بقايا قصور السيد حامد النقيب في نهر عنتر ومنطقة الخاص إلى الآن، وكان يُدير أملاكه بعض الشيوخ المتنفذين في ناحية المدينة -آنذاك-.
- ٤٤- زوراء، العدد ١٤٠٣، (٢٠ ذي الحجة ١٣٠٦هـ، آب ١٨٨٩م).
- ٤٥- منها قطعة (شطّ البخاترة)، وهي أرض مملوكة بالطأبو، كان يستغلها ناصر آل عبد الحسن، البخاتريّ) من أهالي منطقة نهر صالح التابعة للمدينة، ويدفع بالإضافة إلى ضريبتها الاعتيادية ضريبة ٥,٧٪ للحكومة، يُنظر: شاكر مصطفى سليم، المصدر السابق: ص ٢٨٣.
- ٤٦- نقلاً عن: عبد العال وحيد عبود العيساوي، المصدر السابق: ص ٢٧.
- ٤٧- هو بمنزلة مراقب زراعيّ، أو وكيل لصاحب الأرض، تكون حصته سدس الغلّة، أو عشرين من نصيب الطرفين، في بعض المناطق يمنح قطعة من الأرض تُسمّى (الطليعة)، يزرعها الفلاحون، وتُعطى البذور من أصحاب الأرض. ومصطلح (السركال) جاء من كلمتي (سه ر) و (كار) المستخدمتين في اللغتين الفارسية والكردية، وهما تعنيان حرفياً رأس العمل. والسراكيل في الأصل زعماء الفروع العشائرية على الأغلب، لاسيما عندما يكون صاحب الأرض من سكان المدن. للمزيد من التفصيل، يُنظر: أحمد فهمي، تقرير حول العراق: ص ٥٨-٥٩، ٧٢، ٧٨-٨٠، ١٣٠.
- ٤٨- ألكسندر آدموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: د. هاشم صالح التكريتي، الجزء الأول: ص ٩٧؛ ومحمد عليّ الصوريّ، الإقطاع في لواء الكوت: ص ٥٥.

- ٤٩- دورين وورنر، المصدر السابق: ص ٢٦؛ و ١. بونيه، الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الأوسط، ترجمة: راشد البراوي: ص ٢٠٢.
- ٥٠- دورين وورنر، الأرض والفقر في الشرق الأوسط، ترجمة: حسن أحمد السلّمان: ص ١٧٥-١٧٨؛ وزكي خيرى، تقرير عن مسائل في الإصلاح الزراعيّ: ص ٩٠-٩٢.
- ٥١- خلود عبد اللطيف عبد الوهاب، البصرة في العهد الحميديّ (١٨٧٦-١٩٠٩م): ص ١٨٥.
- ٥٢- شاكر حسين دمدوم، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (١٨٦٩-١٩١٤م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة: ص ١١٧؛ وفراس إبراهيم حميد التميمي، الملاحه في الأنهار العراقية وموقف القبائل العراقية العربية منها (١٨٦٩م-١٩١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة: ص ٨٣.
- ٥٣- عبد اللطيف عبد الوهاب، المصدر السابق: ص ١٨٥-١٨٦.
- ٥٤- رقية حميد حسن البرزنجي، سالم الخيون ودوره الاجتماعيّ والسياسيّ حتى سنة ١٩٥٤م، رسالة ماجستير غير منشورة: ص ٥٩.
- ٥٥- خلود عبد اللطيف عبد الوهاب، المصدر السابق: ص ١٨٥-١٨٦؛ وعامر حسك، أهوار جنوب العراق: ص ٨٢.
- ٥٦- المصدر نفسه.
- ٥٧- عبد الزهرة الإمارة، عشائر الإمارة وعشائر قضاء المدية: ص ١٤٥.
- ٥٨- عامر حسك، المصدر السابق: ص ٨٢-٨٣.
- ٥٩- عبد الزهرة الإمارة، المصدر السابق: ص ١٤٦.
- ٦٠- عامر حسك، المصدر السابق: ص ٨٢-٨٣.
- ٦١- يذكر عامر حسك: «أنّه من وقتٍ لآخر يأتي مرميس-وهو زورقٌ حربيٌّ تركيٌّ- ويقصف قريتنا الترابية بمدافعه (أطوابه)، ونضطرّ إلى أن نجلو عنها إلى أصلان، وهو تلّ لبقايا مدينة مندرسة يقع شمال قرية الترابية على [بعد] اثني عشر كيلو متراً، حيث لا تصل إليه قنابل مدافع مرميس، ولا توجد طائرات -حينذاك- نخشى قصفها، ولايستطيع جنود الأتراك (الجندرية) التوغّل في الأهوار والقتال فيها؛ لذا نكون

- آمنين في أصلان، وكنّا ونحن أطفال نهوس: (أصلان إنت العزّ والهيبة)»، يُنظر: عامر حسك، على الدّرب (مخطوطة): ص ٢.
- ٦٢- عامر حسك، أهوار جنوب العراق: ص ٨٢-٨٣.
- ٦٣- خلود عبد اللّطيف عبد الوهاب، المصدر السّابق: ص ١٨٥-١٨٦.
- ٦٤- عبد الزّهرة الإمارة، المصدر السّابق: ص ١٤٦.
- ٦٥- المصدر نفسه: ص ١٥٨.
- ٦٦- خالد حمود السّعدون، الأوضاع القبليّة في ولاية البصرة العثمانيّة (١٩٠٨م-١٩١٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة: الملحق رقم (١).
- ٦٧- للمزيد من الاطلاع، يُنظر: حميد أحمد حمدان التّميمي، دراسة في تطوّر الأوضاع السياسيّة في البصرة (١٩٠٨م-١٩١٤م)، جامعة البصرة، ١٩٩٠م.
- ٦٨- وُلد في البصرة سنة (١٨٧٠م)، على الرّغم من انتهازيّة شخصيّته، لكنّه كان في الوقت نفسه جريئاً، تولى متصرّفية لواء الأحساء التابع للبصرة سنة (١٩٠١م)، حتّى العام (١٩٠٣م)، ثمّ أصبح عضواً في مجلس شورى الدّولة بإسطنبول، الذي استمرّ فيه إلى أيام ثورة الاتّحاديّين، توفّي سنة (١٩٢٩م). للمزيد، يُنظر: مير بصري، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث: ص ١٩-٢١.
- ٦٩- الجمعيّة الإصلاحية: أُسست هذه الجمعيّة في البصرة في: (٢٨/ شباط/ ١٩١٣م)، برئاسة طالب النّقيب، بالاشتراك مع مجموعة من القوميّين العرب فيها، مثل: سليمان فيضي، وقد أُنشئت على غرار جمعيّة بيروت الإصلاحية، وكانت هذه الجمعيّة تتركز على مقاومة سياسة الاتّحاديّين؛ من أجل نظام لا مركزيّ تحت راية الدّولة العثمانيّة، للمزيد، يُنظر: غسان العطيّة، المصدر السّابق: ص ٨٧، والعراق في الوثائق البريطانيّة (١٩٠٥م-١٩٣٠م)، ترجمة: فؤاد قزانجي: ص ٧٥.
- ٧٠- عامر حسك، أهوار جنوب العراق: ص ٨٤.
- ٧١- دليل المملكة العراقيّة لسنة (١٩٣٥م-١٩٣٦م) الماليّة: ص ١٣١.
- ٧٢- للتّفصيل عن هذا الموضوع، يُنظر: (لغة العرب)، الجزء السّادس، عدد محرّم ١٣٣١هـ، كانون الأوّل ١٩١٢م: ص ٢٦١-٢٦٢؛ ومحمّد سلمان حسن، طلائع الثّورة العراقيّة، العامل الاقتصاديّ في الثّورة العراقيّة الأولى: ص ١٩؛ و مذكّرات برترام توماس في

- العراق (١٩١٨م-١٩٢٠م)، ترجمة: عبد الهادي فنجان: ص ١٨٣-١٨٧.
- ٧٣- باسم سليمان فيضي (تحقيق)، مذكرات سليمان فيضي: ص ٢١٣.
- ٧٤- عبد العال وحيد عبود العيساوي، المصدر السابق: ص ٦٩.
- ٧٥- عليّ فاروق محمود عبد الله الحبوبيّ، محمّد سعيد الحبوبيّ ودوره الفكريّ والسياسيّ (١٨٤٩م-١٩١٥م): ص ١٠٩-١١٠؛ و مبيض جمال عمر نظمي، ثورة (١٩٢٠) الجذور السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلاليّة) في العراق: ص ١٢٥.
- ٧٦- يُنظر: كامل سلمان الجبوريّ، المواقف المشتركة لعلماء العراق وإيران ضدّ الغزو الأجنبيّ للبلاد الإسلاميّة (١٩٠٥م-١٩٢٠م)، دراسة تاريخيّة وثائقيّة: المجلد الثاني، ص ١٥١.
- ٧٧- معركة كوت الزّين: تقع قرية كوت الزّين على الشّاطئ الغربيّ من شطّ العرب، مقابل المحمّرة تقريباً، وكان الأتراك قد اتخذوا مواقعهم إلى الجنوب منها، وفي (١٧ تشرين الثاني)، وقعت هناك معركة بين الإنكليز والأتراك، انتهت بهزيمة الأتراك وانسحابهم، عُرفت في المصادر التّركيّة باسم (معركة السّاحل)، يُنظر: عليّ الوردّي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث: المجلد (٢)، الجزء الرابع، ص ١٣٥-١٣٦.
- ٧٨- عامر حسك، على الدّرب: ص ٢.
- ٧٩- يُنظر: حميد أحمد حمدان، البصرة في الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤م-١٩١٨م)، موسوعة البصرة الحضاريّة (الموسوعة التّاريخيّة): ص ٣٥٤.
- ٨٠- يُنظر: عبد العال وحيد عبود العيساويّ: ص ٧٠.
- ٨١- يُنظر: عبد الزّهرة الإمارة، المصدر السابق: ص ١٦٦-١٦٩.
- ٨٢- عبد الرّزّاق الحلو (... - ١٣٣٧هـ): وهو السيّد عبد الرّزّاق بن عليّ بن حسن بن سلمان ابن سعد، الحلو، الموسويّ، ولد في النّجف ونشأ بها، قرأ المقدّمات الأدبيّة والشّرعيّة على يد والده وعمّه السيّد محمّد الحلو، استقلّ بالبحث والتّدريس، وكان بارعاً في الفقه، وحاز مرجعيّة التّقليد. قاد مجموعة من المجاهدين ضدّ الاحتلال البريطانيّ، وبعد انكسار قوّاته في مواجهة المحتلّ، عاد إلى النّجف، وعكف على خدمة الدّين حتّى وفاته في النّجف، له مؤلّفات عديدة، يُنظر: آغا بزرك الطّهرايّ، طبقات

- أعلام الشيعة: ج ١٥، ص ٥٣٧-٥٤١.
- ٨٣- يُنظر: كامل سلمان الجبوري، المصدر السابق: ص ٥٧.
- ٨٤- عامر حسك، على الدرب، المصدر السابق: ص ٢.
- ٨٥- يُنظر: دار الكتب والوثائق (بغداد)، الوحدة الوثائقية، البلاط الملكي، تسلسل الملفّة (١١٥٧)، رقم الملفّة (د/٨)، موضوع الملفّة التقارير الحكومية، نقلاً عن: عبد العال وحيد عبود العيسوي، المصدر السابق: ص ٧٧، الهامش.
- ٨٦- عامر حسك، على الدرب، المصدر السابق: ص ٢.
- ٨٧- يُنظر: مذكرات الفريق طاووزند، المصدر السابق: ص ٦.
- ٨٨- نهر الهوير: وهو تصغير لكلمة (الهور)، وهو النهر الذي يخترق ناحية الهوير من الشمال إلى الجنوب؛ إذ يربط بين الهور شمالاً ونهر الفرات جنوباً بطول (٢ كم).
- ٨٩- قرية الهوير: وهي قرية تقع في منتصف المسافة تقريباً بين المدينة والقرنة، كانت تابعة لقضاء القرنة، وفي عام (١٩٧١م)، أصبحت ناحية تابعة لقضاء القرنة، وبعد أن تحولت ناحية المدينة إلى قضاء عام (١٩٧٨م)، أصبحت ناحية الهوير تابعة لقضاء المدينة، أما سبب تسميتها، فقد اقترن باسم نهر الهوير، الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب. وفي عام (١٩٩٤م)، تمّ تغيير اسمها إلى ناحية (العز)، وسميت باسمها الحالي ناحية الشهيد (عزّ الدين سليم)؛ استناداً لموافقة مجلس محافظة البصرة ذي الرقم (٥٢)، المنعقد بتاريخ: (٢٦/١٠/٢٠٠٥م)، ومصادقة وزارة البلديات والأشغال بالأمر ذي الرقم (٢١٦م/١)، بتاريخ: (١٧/١/٢٠٠٦م)، يُنظر: عبد الزهرة كاظم سمحاق، سيرة داعية (عزّ الدين سليم): ص ١٥-١٦، الهامش؛ مقابلة شخصية مع لازم عبد الله خميس، المولود عام (١٩٠٤م)، والمتوفى عام (١٩٩٤م)، نقلاً عن حفيده: غسان عبد الكريم لازم، في: (٢٥/٢/٢٠١٧م).
- ٩٠- عامر حسك، على الدرب: ص ٣.
- ٩١- المصدر نفسه: ص ٣-٤.
- ٩٢- جريدة الرأى العراقية، العدد (١١٦)، ١٥/١٥ تموز/٢٠٠١م.
- ٩٣- حميد أحمد حمدان، البصرة في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م-١٩١٨م): ص ٣٥٨.
- ٩٤- يُنظر: مذكرات الفريق طونزند، قدّم له وعلّق عليه: حامد أحمد الورد: ص ٩٧-١٠٣؛

- 95- وحيد أحمد حمدان، البصرة في الحرب العالمية الأولى: ص 309.
- 96- قلعة صالح: أحد أفضية العمارة، أنشئت فيها قلعة سنة (1866م) من قبل رجل اسمه (صالح)، فُعُرتُ القلعة باسمه، فسكن حولها الناس، وتمكّن من تأسيس قسبة اتّسعت رقعتها بمرور الزمن، حتّى عُنيَتْ بها الحكومة الملكيّة، فجعلتها مركز قضاء تابع للواء العمارة، يُنظر: عبد الرزاق الحسيني، العراق قديماً وحديثاً: ص 193.
- 97- عامر حسك، على الدّرب: ص 4.
- 98- شواي الفهد (1860م-1943م): ولد في المجرّ الصّغير في العمارة، وتولّى زعامة عشيرته آل إزيرج بعد وفاة والده (فهد بن مدحور)، شارك مع عشيرته في مواجهة الاحتلال البريطانيّ سنة (1914م) تلبية لنداء الجهاد. انتُخب سنة (1924م) نائباً عن لواء العمارة، وُجِّدَ انتخابه في مجلس التّواب في عدّة دورات حتّى وفاته، يُنظر: عبد الجليل الطّاهر، المصدر السّابق: ص 300.
- 99- عامر حسك، على الدّرب: ص 4.
- 100- يُنظر: عبدالله فهد النّفيسي، دور الشّيعية في تطوّر العراق السّياسي الحديث: ص 93-94.
- 101- يُنظر: عبد الزّهرة الإمارة، المصدر السّابق: ص 166-169.
- 102- عامر حسك، على الدّرب: ص 4.
- 103- أصبح في كانون الثاني (1915م) شيخاً على بني أسد، بعد نفي عمّه (سالم) إلى الهند، وقد كان يعمل تحت الإدارة البريطانيّة، وقد شغل المشيخة لمُدّة أربع سنوات، وأثبت (عدم لياقته)، ورأوا ضرورة تنحيته عندما فشل في تنفيذ رغبات الإدارة البريطانيّة العسكريّة، وآته -أيضاً- أثار حفيظة العشيرة؛ لضعف سيطرته، يُنظر: شاكِر مصطفى سليم، المصدر السّابق: ص 232-233.
- 104- عامر حسك، على الدّرب: ص 5.
- 105- الشّيخ خزعل: أحد شيوخ البوكاسب في المحمّرة، وهو ابن الشّيخ (جابر)، اعتلى كرسيّ الإمارة عام (1897م) بعد اغتيال أخيه الشّيخ مزعل، وقامت الحكومة الإيرانيّة بوضعه تحت الإقامة الجبريّة عام (1925م)، وظلّ مقيماً في طهران حتّى وفاته عام (1936م)، يُنظر: عليّ جاسب عزيز الصّرخي، تاريخ الحركة الوطنيّة في

- الأحواز (١٩٢٥م-١٩٥٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة: ص ٢٦-٤٤.
- ١٠٥- الدريويشي: وهو نهر صغير ما زال موجوداً إلى اليوم، يخترق المدينة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتقع على جانبيه بساتين النخيل.
- ١٠٦- عامر حسك، على الدرب: ص ٥.
- ١٠٧- نقلاً عن: عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية: ص ٣٢٣.
- ١٠٨- ولقد بقيت القرنة منفصلة حتى أواخر عام (١٩١٨م)، حينها دُججت القرنة بالبصرة في لواء واحد يضم عدداً من الأفضية والنواحي، يُنظر: حميد أحمد حمدان، البصرة في الحرب العالمية الأولى: ص ٣٦٧.
- ١٠٩- عدنان هريز جودة الشجيري، النظام الإداري في العراق (١٩٢٠م-١٩٣٩م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة: ص ٣٤.
- ١١٠- حميد أحمد حمدان، البصرة في الحرب العالمية الأولى: ص ٣٦٧.
- ١١١- عبد الحميد حمود المير جابر (١٨٩٩م-١٩٧٢م): تولى المشيخة بعد وفاة والده في عام (١٩١٦م)، وقد استطاع الحصول على مقعد في مجلس النواب لثان دورات متتالية، ابتداءً من الدورة التاسعة في عام (١٩٣٩م)، وحتى الدورة السادسة عشر التي انتهت بسقوط النظام الملكي عام (١٩٥٨م)، وبعد وفاته استمرت المشيخة في ابنه الشيخ جري، ومن بعده حفيده الشيخ يعرب، ثم آلت إلى حفيده الشيخ قحطان، الشيخ الحالي لعشائر الإمارة في البصرة، يُنظر: عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية: ص ٣٢٣؛ وإبراهيم فنجان الإمارة، الشيخ حميد حمود جابر الإمارة (١٨٩٩م-١٩٧٢م)، مقالة غير منشورة: ص ١-٣.
- ١١٢- هنري دويس (١٨٧١م-١٨٣٩م): إيرلندي الأصل، بريطاني المولد، تخرّج من جامعة أكسفورد. التحق بعد تخرّجه بحكومة الهند، وقد عمل في أماكن عديدة، كأفغانستان، وإيران، والخليج العربي، بين عامي (١٨٩٠م-١٩١٤م)، انتدب للعمل في الإدارة المدنية للبصرة (١٩١٥م-١٩١٦م) بصفة معتمد للواردات، ثم عُيّن وزيراً للخارجية في حكومة الهند بين عامي (١٩١٩م-١٩٢٢م)، ثم مندوباً سامياً في العراق بين عامي (١٩٢٣م-١٩٢٩م)، أُحيل بعدها على التقاعد، يُنظر: أنعام مهدي عليّ السلّمان؛ أثر هنري دويس في السياسة العراقية (١٩٢٣م-١٩٢٩م)، أطروحة دكتوراه مقدّمة إلى

- كَلِيَّةُ الآدَابِ، جامِعةُ بَغدَادِ، تَمَوَّزَ ١٩٩٧ م.
- ١١٣- تَقْرِيرُ سَرِّي لِدَائِرَةِ الِاسْتِخْبَارَاتِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ، الْعِشَائِرُ وَالسِّيَاسَةُ، تَرْجَمَةُ: عَبْدِ الْجَلِيلِ الطَّاهِرِ: ص ٩ (الهامش).
- ١١٤- سَعْدُ خَلْفِ جَبْرِ عَلِيٍّ، الْقُرْنَةُ (١٨٦٩م-١٩١٨م)، رِسَالَةٌ مَاجِسْتِيرٍ غَيْرِ مَنْشُورَةٍ: ص ١٥١.
- ١١٥- عَامِرُ حَسَكٍ، عَلَى الدَّرْبِ: ص ٦.
- ١١٦- يُنْظَرُ: عَبْدِ الْجَلِيلِ الطَّاهِرِ، الْعِشَائِرُ الْعِرَاقِيَّةُ: ص ٣٣٥.
- ١١٧- شَاكِرُ مِصْطَفَى سَلِيمٍ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ١٩٩.
- ١١٨- يُنْظَرُ: الْمَسْ بَيْلٍ، فَصُولٌ مِنْ تَارِيخِ الْعِرَاقِ الْقَرِيبِ، تَرْجَمَةُ: جَعْفَرِ الْخَيَّاطِ: ص ٣٧.
- ١١٩- عَامِرُ حَسَكٍ، عَلَى الدَّرْبِ: ص ٦.
- ١٢٠- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ.
- ١٢١- نَقْلًا عَنْ: عَبْدِ الْجَلِيلِ الطَّاهِرِ، الْعِشَائِرُ الْعِرَاقِيَّةُ: ص ٣٢٣.
- ١٢٢- وَهِيَ الصَّرَائِبُ الَّتِي تُدْفَعُ لِلْأَرْضِي الَّتِي تَعُودُ مَلَكَتِيهَا لِلدَّوْلَةِ، يُنْظَرُ: خَلِيلِ إِبْرَاهِيمِ الْخَالِدِ، وَ مَهْدِي مُحَمَّدِ الرَّزِيِّ، تَارِيخُ أَحْكَامِ الْأَرْضِي فِي الْعِرَاقِ: ص ٥٥.
- ١٢٣- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ص ٣٣٦-٣٣٧.
- ١٢٤- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ص ٣٢٦.
- ١٢٥- عَبْدِ الْجَلِيلِ الطَّاهِرِ، الْعِشَائِرُ الْعِرَاقِيَّةُ: ص ٣٣٧، وَ إِبْرَاهِيمِ فَنجَانِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٢.
- ١٢٦- وَهِيَ إِحْدَى قُرَى الْمَدِيْنَةِ، تَقَطَّنَهَا عَشِيْرَةُ الْحَاجِ (حَمْدِي)، وَكَانَ يَرَأْسُهَا -أَنْدَاكُ- (زَهْيُو بْنُ نَزَالِ)، يُنْظَرُ: عَبَّاسُ الْعَزَاوِيِّ، عِشَائِرُ الْعِرَاقِ، الْمَجْلَدُ (٢): ص ٢٤٤.
- ١٢٧- عَبْدِ الْجَلِيلِ الطَّاهِرِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٣٣٨.
- ١٢٨- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ص ٣٣٩.
- ١٢٩- شَاكِرُ مِصْطَفَى سَلِيمٍ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٢٦٤.
- ١٣٠- جَرِيْدَةُ الْحُكُومَةِ الْعِرَاقِيَّةِ، الْعِدْدُ (٢٠)، بَغدَادِ، ٢١ أَوْتُوبَرِ (١٩٢١م): ص ٤-١٠.
- ١٣١- عَامِرُ حَسَكٍ، عَلَى الدَّرْبِ: ص ٦؛ وَ إِبْرَاهِيمِ فَنجَانِ الْإِمَارَةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٢.
- ١٣٢- عَبْدِ الْجَلِيلِ الطَّاهِرِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٣٣٩.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق المنشورة.

- ١- بصرة سالنامة ولايتي، سنة (١٣٠٨هـ-١٨٩٠م) الدفعة (١).
- ٢- بصرة سالنامة ولايتي، سنة (١٣٠٩هـ-١٨٩١م) الدفعة (١).
- ٣- بصرة سالنامة ولايتي، سنة (١٣١٤هـ-١٨٩٥م) الدفعة (١).

ثانياً: الكتب الوثائقية.

- ١- العراق في الوثائق البريطانيّة (١٩٠٥م-١٩٣٠م)، ترجمة: فؤاد فزانجي، دار الحرّية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩م.
- ٢- تقرير سريّ لدائرة الاستخبارات البريطانيّة، العشائر والسّياسة، ترجمة: عبد الجليل الطاهر، النّجف، (د.ت).
- ٣- دليل المملكة العراقيّة لسنة (١٩٣٥م-١٩٣٦م) الماليّة، بغداد، ١٩٣٥م.
- ٤- فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة أواسط القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، المجلّد الثاني، إعداد وترجمة ودراسة: فاضل بيّات، إستنبول، ٢٠١١م.

ثالثاً: المخطوطات.

- ١- عامر حسك، على الدّرب (مخطوطة، لدى الباحث نسخة منها).
رابعاً: الأطروحات والرّسائل الجامعيّة.
- ١- أنعام مهدي عليّ السّلمان، أثر هنري دوبس في السّياسة العراقيّة (١٩٢٣م-١٩٢٩م)، أطروحة دكتوراه مقدّمة إلى كليّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧م.
- ٢- خالد حمود السّعدون، الأوضاع القبليّة في ولاية البصرة العثمانيّة (١٩٠٨م-١٩١٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كليّة الشّريعة والدراسات الإسلاميّة، جامعة أمّ القرى، ١٤٠٥هـ.

- ٣- رقية حميد حسن البرزنجي، سالم الخيون ودورة الاجتماعي والسياسي حتى سنة (١٩٥٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣م.
- ٤- سعد خلف جبر علي، القرنه (١٨٦٩م-١٩١٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٧م.
- ٥- شاكر حسين دمدوم، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (١٨٦٩م-١٩١٤م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٢م.
- ٦- عدنان هريز جودة الشجيري، النظام الإداري في العراق (١٩٢٠م-١٩٣٩م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
- ٧- علي جاسب عزيز الصرخي، تاريخ الحركة الوطنية في الأحواز (١٩٢٥م-١٩٥٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية-ابن رشد، ٢٠٠٢م.
- ٨- فراس إبراهيم حميد التميمي، الملاحه في الأنهار العراقية وموقف القبائل العراقية العربية منها (١٨٦٩م-١٩١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- جامعة البصرة، ٢٠١٥م.
- ٩- فردوس عبد الرحمن كريم، لواء العمارة في العهد العثماني (١٨٦١م-١٩١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

خامساً: الكتب.

- ١- أ. بونيه، الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الأوسط، ترجمة: راشد البراوي، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ٢- أحمد فهمي، تقرير حول العراق، بغداد، ١٩٢٦م.
- ٣- أحمد نور الأنصاري، النصره في أخبار البصرة، تحقيق: يوسف عز الدين، ط ٢، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٦م.
- ٤- آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ٥- ألبرت م. منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، بغداد، ١٩٧٨م.
- ٦- ألكسندر آدموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: د. هاشم صالح

- التكريتي، الجزء الأول، البصرة، ١٩٨٢م.
- ٧- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٠م.
- ٨- باسم سليمان فيضي (تحقيق)، مذكرات سليمان فيضي، ط٤، بغداد، ٢٠٠٠م.
- ٩- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ترجمة: زينة جابر إدريس، ط١، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٠- جعفر الخياط، القرية العراقية، دراسة في أحوالها وإصلاحها، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٠م.
- ١١- جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩م-١٩١٧م)، ط١، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩١م.
- ١٢- حسام طعمة ناصر، ومشتاق عيدان اعبيد، المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني (١٥٤٦م-١٧١٨م)، مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، ط١، دار الكفيل، كربلاء، ٢٠١٥م.
- ١٣- حميد أحمد حمدان التميمي، دراسة في تطوّر الأوضاع السياسية في البصرة (١٩٠٨م-١٩١٤م)، جامعة البصرة، ١٩٩٠م.
- ١٤- خلود عبد اللطيف عبد الوهاب، البصرة في العهد الحميدي (١٨٧٦م-١٩٠٩م)، البصرة، ٢٠١٠م.
- ١٥- خليل إبراهيم الخالد، ومهدي محمد الأرزبي، تاريخ أحكام الأراضي في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- ١٦- دورين وورنر، الأرض والفقر في الشرق الأوسط، ترجمة: حسن أحمد السلّمان، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ١٧- زكي خيري، تقرير عن مسائل في الإصلاح الزراعي، بغداد، ١٩٦٠م.
- ١٨- ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط٥، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٩- سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق، بيروت، ١٩٣٨م.
- ٢٠- سليمان فائق بك، عشائر المنتفق، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٣م.

- ٢١- شارل عيساوي، التاريخ الاقتصاديّ للهِلال الخصب (١٨٠٠م-١٩١٤م)، ترجمة: رؤوف عبّاس حامد، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٢٢- شاكِر مصطفى سليم، الجبايش دراسة انثروبولوجيّة لقرية في أهوار العراق، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٠م.
- ٢٣- عامر حسك، أهوار جنوب العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٩م.
- ٢٤- عبّاس العزّاويّ، عشائر العراق، المجلّد (٢)، مكتبة الحضارات، بيروت، ٢٠١٠م.
- ٢٥- عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقيّة، بغداد، ١٩٧٢م.
- ٢٦- عبد الرزّاق الحسنيّ، العراق قديماً وحديثاً، ط٧، بغداد، ١٩٨٢م.
- ٢٧- عبد الرزّاق الحسنيّ، تاريخ البلدان العراقيّة، ط١، مطبعة النّجاح، بغداد، ١٩٣٦م.
- ٢٨- عبد الزّهرة الإمارة، عشائر الإمارة وعشائر قضاء المديّنة، كربلاء، ٢٠١٢م.
- ٢٩- عبد الزّهرة كاظم سمحاق، سيرة داعية (عزّ الدّين سليم)، المركز الوطنيّ للدراسات الاجتماعيّة والتّاريخيّة، البصرة، ٢٠١٤م.
- ٣٠- عبد العال وحيد عبّود العيساويّ، لواء المتنفك في سنوات الاحتلال البريطانيّ (١٩١٤م-١٩٢١م)، النّجف الأشرف، ٢٠١٣م.
- ٣١- عبد الله الفيّاض، مشكلة الأراضي في لواء المتنفك، بغداد، ١٩٥٦م.
- ٣٢- عبدالله رمضان آل عبادة الرّفاعيّ، تراث البصرة، أنهار البصرة وقراها ومقاطعاتها الزراعيّة، ط١، ٢٠١١م.
- ٣٣- عبد الله فهد التّقيسيّ، دور الشّيعة في تطوّر العراق السّيّاسيّ الحديث، ط١، الكويت، ١٩٩٠م.
- ٣٤- عبد عليّ بن ناصر الحويّزيّ، السّيرة المرضيّة في شرح الفرضيّة، تحقيق: محمّد الخال، باسم تاريخ الإمارة الأفراسيانيّة، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٩٦١م.
- ٣٥- عليّ الوردّيّ، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، المجلّد الثاني، الجزء الرّابع، ط١، إيران، ٢٠٠٥م.
- ٣٦- عليّ فاروق محمود عبد الله الحبوّبيّ، محمّد سعيد الحبوّبيّ ودوره الفكريّ والسّيّاسيّ (١٨٤٩م-١٩١٥م)، النّجف، ٢٠١٢م.
- ٣٧- غسان العطيّة، العراق، نشأة الدّولة (١٩٠٨م-١٩٢١م)، ترجمة: عطا عبد الوهّاب، دار السّلام، لندن، ١٩٨٨م.

- ٣٨- كامل سلمان الجبوري، المواقف المشتركة لعلماء العراق وإيران ضدّ الغزو الأجنبيّ للبلاد الإسلاميّة (١٩٠٥م-١٩٢٠م)، دراسة تاريخيّة وثائقيّة، المجلّد الثاني، إيران، ٢٠١٥م.
- ٣٩- كمال مظهر أحمد، الطبقة العاملة العراقيّة، التكوّن وبدايات التّحرّك، دار الخلود للطباعة والنّشر، بيروت، ١٩٨١م.
- ٤٠- محمّد بن خليفة بن حمد بن موسى، النّبهايّ، الطائيّ، التّحفة النّبهايّة في تاريخ الجزيرة العربيّة، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ٤١- مصطفى كاظم المدامغة، نصوص من الوثائق العثمانيّة عن تاريخ البصرة في سجلّات المحكمة الشرعيّة في البصرة (١١٨٨م-١٣٣٠م)، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٢م.
- ٤٢- محمّد عليّ الصّوريّ، الإقطاع في لواء الكوت، بغداد، ١٩٥٨م.
- ٤٣- مير بصريّ، أعلام اليقظة الفكريّة في العراق الحديث، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٩٧١م.
- ٤٤- محمّد سلمان حسن، طلائع الثّورة العراقيّة، العامل الاقتصاديّ في الثّورة العراقيّة الأولى، دار الجمهوريّة، بغداد، ١٩٥٨م.
- ٤٥- مذكّرات الفريق طونزند، قدّم له وعلّق عليه: حامد أحمد الورد، ط٢، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٤٦- مذكّرات بترام توماس في العراق (١٩١٨م-١٩٢٠م)، ترجمة: عبد الهادي فنجان، بغداد، ١٩٨٦م.
- ٤٧- وميض جمال عمر نظمي، ثورة (١٩٢٠م) الجذور السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلاليّة) في العراق، ط٢، بغداد، ١٩٨٥م.
- ٤٨- يعقوب سر كيس، مباحث عراقيّة، القسم الثاني، شركة التّجارة والطّباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٥م.
- سادساً: البحوث والمقالات.
- ١- إبراهيم فنجان الإمارة، الشّيخ حميد حمود جابر الإمارة (١٨٩٩م-١٩٧٢م)، مقالة غير منشورة.
- ٢- حميد أحمد حمدان، البصرة في الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤م-١٩١٨م)، موسوعة

- البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية)، جامعة البصرة، ١٩٨٩م.
- ٣- دورين وورنر، مشاكل ملكية الأرض في الهلال الخصيب في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة: أحمد القصير، «الثقافة» (مجلة)، بغداد، العدد (٨)، آب، ١٩٧٩م.
- ٤- طارق نافع الحمداني، انتفاضات القوى العربية المحلية في البصرة والجزائر ضد التوسع العثماني خلال القرن السادس عشر، مجلة آفاق عربية، السنة التاسعة، العدد (٨)، بغداد ١٩٨٤م.
- ٥- طارق نافع الحمداني، موقف القوى المحلية من الولاة العثمانيين في البصرة خلال القرن السادس عشر، مجلة دراسات للأجيال، العدد الثالث، السنة الخامسة، ١٩٨٢م.
- ٦- فاضل بيات، محاضرة: نماذج من الوثائق العثمانية المتعلقة بتاريخ العراق، قاعة كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢١ / ٤ / ٢٠١٥م.
- ٧- (لغة العرب)، الجزء السادس عدد محرّم، ١٣٣١هـ، كانون الأوّل ١٩١٢م.
- ٨- مكرم الطالبي، الأصل التاريخي لعلاقة الدولة بالأرض والازدواجية في ملكية الأراضي في وادي الرافدين، «الثقافة الجديدة» (مجلة)، بغداد، العددان (١٧-١٨)، أيلول - تشرين الأوّل ١٩٧٠م.
- ٩- نوري خليل البرازي، الملكية والتطوير الزراعي في العراق، «كلية الآداب»، بغداد، العدد (٧)، نيسان ١٩٦٤م.

سابعاً: الصحف.

- ١- جريدة الرأي العراقية، العدد (١١٦)، ١٥/ تموز/ ٢٠٠١م.
- ٢- جريدة الزوراء، العدد (١٩١) (١٤ شعبان ١٢٨٨هـ/ تشرين الثاني ١٨٧١م).
- ٣- جريدة الزوراء، العدد (١٤٠٣)، (٢٠ ذي الحجة ١٣٠٦هـ/ آب ١٨٨٩م).
- ٤- جريدة الحكومة العراقية، العدد (٢٠)، بغداد، (٢١ أكتوبر ١٩٢١م).
- ثامناً: المقابلات الشخصية.
- ١- مقابلة شخصية مع لازم عبد الله خميس، المولود عام (١٩٠٤م)، والمتوفى عام (١٩٩٤م)، نقلاً عن حفيده: غسان عبد الكريم لازم، في: (٢٥/٢/٢٠١٧م).

Peaceful Coexistence ... In Basrah... 17C

Henry Herringman, London, 1665.

15. Stephen Hemsley Longrigg, Four Centuries Of Modern Iraq,
Oxford At The Clarendon Press, 1925.

10. John Baptista Tavernier, *The six voyages of John Baptista Tavernier*, Publisher: London. Printed for R.L. and M.P, 1678.

11. Mohammad U. Amara, *History of Mandeian Sabians (in Arabic)*, Qutaiba Publishing House, Beirut, the Lebanon, 1st ed., 1992.

12. Mustafa Mulla Oghlo, *The Rights of Non-Muslim Minorities in the Ottoman State (in Arabic)*, a research paper submitted to the 17th course of the European Council for Ifta' (deliverance of advisory opinions) and Research. Sarajivo, May, 2007.

13. Pedro Teixeira, *The travels of Pedro Teixeira; with his "Kings of Harmuz," and extracts From his "Kings of Persia."* by Teixeira, Pedro, b. ca. 1570; Sinclair, William Srederick, d.1900; Serguson, Donald William; Stevens, John, d. 1726; Turan Shah ibn Qutb al-Din, d. 1378 ; Mir Khwand; Cruz, Gaspar da, d. 1570. .

14. Pietro della Valle, *The travels of Sig. Pietro della Valle, a noble Roman, into East-India and Arabia Deserta. In which, the several countries, together with the customs, manners, traffique, and rites both religious and civil, of those Oriental princes and nations, are faithfully described: In familiar letters to his friend Signior Mario Schipano. Whereunto is added a relation of Sir Thomas Roe's voyage into the East-Indies. Translated from the Italian by George Havers. A dedication, written by Havers to the Right Honourable Roger, Earl of Orrery, precedes the main text. The second part of the volume, A Voyage to East-India with a description of the large territories under the subjection of the Great Mogol, was written by Edward Terry, and not, as the frontispiece suggests, by Sir Thomas Roe. Printed by J Macock for*

Bibliography

1. the Holy Qur'an.
2. Ibnabil Haddeed, Elucidation of Nahj Al-Balagha (Approach of Rhetoric), Imam Ali bin abiTalib, Achieved by: Mohammed Al- Nimry, Dar al kutob Alilmiya, Beirut, Lebanon, 1998.
3. Andre Rimon, Outstanding Arab Cities in the Ottoman Period. Trans By Latif Faraj, Dar Alfkr for Publication, Cairo,1991.
4. Rasheed Al-Khayyoun, Religions and Creeds in Iraq. Al-Jamal Publications, Colonia, Germany, 2nd ed., 2007.
5. Abdul Razzaq Al-Hassany, The Sabeans; Present and Past (in Arabic), 3rd ed., Al-Irfan Publishing House, Sidon, the Lebanon, 1963.
6. Butrus Haddad, Sebastiani Trip to Iraq in 1666. Trans. From Italian into Arabic (with comments) by Dr. Butrus Haddad. Arab House for Publication, Beirut, 1st ed., 2006.
7. Butrus Haddad, Vincenzo Trip to Iraq in the Seventeenth Century. Trans. From Italian (with comments) by Dr. Butrus Haddad. Al-Mawred Journal (in Arabic), vol. 5, No. 3, 1976.
8. Drower, E. S. (Ethel Stefana), Lady, b. 1879, The Mandaeans of Iraq and Iran; their cults, customs, magic, legends, and folklore, Oxford : The Clarendon press 1937.
9. Izzidin House for Publication, Bani Othman Sultans: Aspects of the Social, Political and Islamic History of Turkey (in Arabic), Beirut, Lebanon, 1986.

(with comments) by Dr. Butrus Haddad. Arab House for Publication, Beirut, 1st ed., 2006, p. 33. For more details see The Sabeans; Present and Past (in Arabic) by Abdul Razzaq Al-Hassany, 3rd ed., Al-Irfan Publishing House, Sidon, the Lebanon, 1963; Mohammad U. Amara. History of Mandeans (in Arabic), Qutaiba Publishing House, Beirut, the Lebanon, 1st ed., 1992; Rasheed Al-Khayyoun. Religions and Creeds in Iraq. Al-Jamal Publications, Colonia, Germany, 2nd ed., 2007.

14- The six voyages of John Baptista Tavernier, Publisher: London. Printed for R.L. and M.P, 1678. pp 87-93. See also: Drower, E. S. (Ethel Stefana), Lady, b. 1879. The Mandaeans of Iraq and Iran; their cults, customs, magic, legends, and folklore, Oxford : The Clarendon press 1937. Stephen Hemsley Longrigg, Four Centuries Of Modern Iraq, Oxford At The Clarendon Press, 1925.

15- Andre Rimon. Outstanding Arab Cities in the Ottoman Period. Trans. By LatifFaraj, p. 81. For more details, see: Mustafa Mulla Oghlo, The Rights of Non-Muslim Minorities in the Ottoman State (in Arabic), a research paper submitted to the 17th course of the European Council for Ifta' (deliverance of advisory opinions) and Research. Sarajivo, May, 2007. Bani Othman Sultans: Aspects of the Social, Political and Islamic History of Turkey (in Arabic), pp. 25 – 26. Izzidin House for Publication, Beirut, the Lebanon, 1986.

(Endnotes)

1- the Holy Qur'an, 12 The Prophet Joseph -Yusuf: 111.

2- the Holy Qur'an, 3 The Family of 'Imran -Aali 'Imran: 137.

3- the Holy Qur'an 11 The Prophet Hood -Hood: 120.

4- Elucidation of Nahj Al-Balagha (Approach of Rhetoric), Imam Ali ibn abiTalib, by ibnali Haddad, Vol. 16, pp. 67-68.

5- The travels of Pedro Teixeira; with his "Kings of Harmuz," and extracts From his "Kings of Persia." by Teixeira, Pedro, b. ca. 1570; Sinclair, William Srederick, d.1900; Serguson, Donald William; Stevens, John, d. 1726; Turan Shah ibn Qutb al-Din, d. 1378 ; Mir Khwand; Cruz, Gaspar da, d. 1570. .

6- See, pp. 1124 – 1134.

7- See, pp. 1213 – 1215.

8- THE TRAVELS OF Sig. Pietro della Valle, A Noble ROMAN, INTO EAST-INDIA AND Arabia Deserta, pp. 246 – 248.

9- Vincenzo Trip to Iraq in the Seventeenth Century. Trans. From Italian (with comments) by Dr. Butrus Haddad. Al-Mawred Journal (in Arabic), vol. 5, No. 3, 1976, p. 84.

10- Ibid, p. 85.

11- Ibid, p. 86.

12- Ibid.

13- Sebastiani Trip to Iraq in 1666. Trans. From Italian into Arabic

Conclusion

It has become clear that followers of various religions in Basra in the period covered by the present research paper have enjoyed tolerance and peaceful coexistence. Besides, the various sects in the same religion such as Shi'a and Sunna have lived peacefully. This is also applicable to various Christian sects. In this respect, Andre Rimon states that Christians and Jews formed communities that enjoyed hospitality and protection due to their religious status; they themselves responded with respect. This attitude has been accompanied with a number of guarantees: relative religious tolerance and partial independence. The Christian and Jewish communities lived and grew without suffering of any serious prosecution⁽¹⁵⁾.

the people take it sor a great dishonour to be marry'd by any other than the Bishops; sor when a Priest marries, 'tis an insallible sign that the Bride was no Virgin... .

Their chies festivals are three. The one in Winter, that lasts three days , in memory of our first Parent and the Creation of the World. The other in 'the Month' of August , that also lasts three days, which is call'd the feast of St. John.

The third which lasts five days in June, during which time they are all re-baptiz'd. They observe Sunday , doing no work upon that day. They neither fait nor do any penance. They have no Canonical Books, but a great number of Others that treat of nothing but Witchcraft, in which they believe their Priests to be very crafty , and that the Devils are at their beck. They hold all Women to be unclean, and that it is not at all available for them to come to the Church...⁽¹⁴⁾.

Aster which he returns to the Guests, and sends his Wise with some other skilsul Women to make an inspection. Is they sind her to be a Virgin, the Billhop'b Wise returns and makes Oath of is, and then they all go to the River, where the Bishop re-baptizes the Couple to be marry'd. Then they return toward the House, and making a stop besore they come quite near it, the Bridegroom takes the Bride by the Hand , and leads her seven times srom the Company to the House, the Bishop sollowing them every time, and reading certain Prayers. Aster that they go into the House , and the Bride and Bridegroom place themsclves under the Canopy, where they let their Shoulders one against another , and. the Bishop reads again , causing them to lay their Heads together three times. Then op'ning a Book of Divination , and looking sor the most sortunate day to consummate the Marriage, he tells them of it.

But is the Bishop's Wise do not sind the Bride to be a Virgin, the Bishop can proceed no sarther, so that is the young Man have still a mind, he must go to some meaner Pricst to persorm the Ceremony. Which is the reason that

Election , say several Prayers over him that is elected. Is he be a Bishop , after he is received, and that he go about to Ordain others , he ought to fast six days , during which time he continually repeats certain Prayers over him that is to be ordain'd Priest , who also sor his part fast and prays all the said time. And whereas I say the father succeds the Son , it is to be observ'd , that among the Christians in those Parts, both Bishops and Priests marry, as do the rest of the people ; only is their first Wise dye, they cannot marry another unless shebe aVirgin. Moreover, they that are admitted to Ecclcsiastical functions, must be of the race of Bishops or Priests; and their Mothers must have been always Virgins when they were marry'd. All their Bishops and Priests wear their Hair long, and a little Cross wrought with aNeedle.

When there is any Wedding to be, the kindred and persons invited go together with the Bridegroom, to the House where the Bride lives. Thither comes the Bishop alio, and approaching the Bride, who is sitting under a Canopy, he asks her is (he be a Virgin. Is (he answer that she is so , he makes her consirm it by an Oath.

Persons of the Divinity are not nam'd therein, they can make no rational defence for themlelves. Nor have they any knowledge of the Mystery of the Holy Trinity, only they say that Christ is the Spirit and Word of the Eternal father They are so blind as to believe the Angel (gabriel to be the Son of God , begotten upon Litght; yet will not believe the Eternal Generation of Christ, as God. Yet they cofsess he became Man , to free us from the Punishment of Sin : and that he was conceiv'd in the womb of a Virgin without the knowledge of Man, by means of the Water of a certain fountain which she drank of. They believe he Was crucifi'd by the Jews that he rose the third day, and that his Soul ascending up to Heaven, his Body remaind on Earth. But like the Mahometans they corrupt their faith, by saying, that Christ vanish'd when the Jews came to take him, and that he deluded their cruelty with his shshadow...

As to their Bishops and Priests, when any one dyes , who has a Son, they choose him in his place ; and is he have no Son , they take the next a-kin that is most capable and best instructed in their Religion. They that make the

receiv'd their faith, their Books, and their Traditions. Every year they celebrate a feast for about five days , during which time they go in Troops to their Bishops, who Baptize them according to the Baptism of St. John.

They never Baptize but in Rivers , and only upon Sundays. But before they go to the River they carry the Infant to Church , where there is a Bishop who reads certain Prayers over the Head of the Child ; from thence they carry the Child to the River, with a Train of Men and Women , who together with the Bishop go up to the knees in Water. Then the Bishop reads again certain Prayers out of a Book which he holds in his Hand , which done he sprinkles the Infant three times, saying, Beesmebrad er-Rabi, Kaddemin, Akreri, MenhaLel gennet Alli Koulli Kralek ; or, In the Name of the Lord, first and last of the World and of Paradise , the high Creator of all thum.

After that, the Bishop reads something again in his Book, while the Godfather plunges the Child all over in the Water ; after which they go all to the Parents House to feast. If any tax their Baptism for insufficient, in regard the Three

they ruin'd their Churches , burnt their Books , and exercis'd all manner of cruelties upon their Persons: which oblig'd them to retire into Mesopotamia and Chaldea, and for some time they were under the Patriarch of Babylon , from whom they separated about ahundred and sixty years ago. Then they remov'd into Persia and Arabia , and the Towns round about Balsara - as Soshtcr, Despoul, Rumez. , Bitoum , Mono, Endecan, Calaaabat, Aveza, Dega, Dorech, Masqucl, Gumar, Carianous, Balsara, Onezer, Zech, Loza. Nor do they inhabit City or Village by which there does not run a River.

And many of their Bishops have assur'd me, that the Christians in all the foregoing places make above five and twenty thousand families. There are some among them who are Merchants ; but the most part of them are Tradesmen , especially Goldsmiths, Joyners, and Lock-smiths.

Their Creed is full of fables and foul errours. The Persans and Arabians call them Sabbi , a People that have forfak'n their own Religion , to take up a new one. In their own Language they call themselves Mendai Jahia, or 'Disciples of St. John, from whom, as they ascertain us, they have

87). He then hinted at the ethnic diversity in Basra, and the religious freedom practiced in the city. He said:

“CHAP. VIII.

A Continuation of the road from Bagdat to Balsara ; and of the religion of the Christians of St. John.

There is at Balsara a Cady that administers Justice, and who is establish'd by the authority of the Prince that commands there. In the City are also three sorts of Christians, Jacobites, Nestorians, and Christians of St. John. There is also a House or Italian Carmelites. and there was a House of Portugal Anstin-friars , but they have forsak'n the Town ever since their Country-men quitted the Trade.

The Christians of St. John are very numerous at Balsara , and the Villages thereabouts; who anciently liv'd by the River of Jordan y where St. John Baptiz'd - and from whom they took their Name. But since the time that Mahomet conqucr'd Palestine, though Mahomet formerly gave them his Hand and his Letters of Privilege that they should not be molested , nevertheless they that succeeded the false Prophet resolv'd to extirpate them all ;, to which purpose

sold to Louis XIV of France in 1668 for 120,000 livres, the equivalent of 172,000 ounces of pure gold, and a letter of ennoblement. (Five years later, Louis had his court jeweler Jean Pitau recut the stone into the 68 carat French Blue and had it set as a hatpin. The gem was reset by his great-grandson Louis XV in The Medal of The Order of the Golden Sneeze, stolen in 1792, and was recut and re-emerged in London 30 years later as the Hope Diamond).

In 1669, Tavernier purchased for 60,000 livres the Seigneurie of Aubonne, located in the Duchy of Savoy near the city of Geneva, and became Baron of Aubonne.

Tavernier's writings show that he was a keen observer, as well as a remarkable cultural anthropologist. His *Six Voyages* became a best seller and was translated into German, Dutch, Italian, and English during his lifetime. The work is frequently quoted by modern scholars writing about the period.

Tavernier passed by Basra in 1676 during the Afrasiab Emirate. He described the places he passed by while sailing in the Tigris including villages and three castles in Qurna (p.

French gem merchant and traveler. Tavernier, a private individual and merchant traveling at his own expense, covered, by his own account, 60,000 leagues (120,000 miles[clarification needed]) in making six voyages to Persia and India between the years 1630 and 1668. In 1675, Tavernier, at the behest of his patron Louis XIV, published *Les Six Voyages de Jean-Baptiste Tavernier* (Six Voyages, 1676).

Tavernier was born in Paris of a French or Flemish Huguenot family that had emigrated to Antwerp, to escape persecution, and which subsequently returned to Paris after the publication of the Edict of Nantes, which promised protection for French Protestants. Both his father Gabriel and his uncle Melchior were cartographers. Though it is clear from the accuracy of his drawings that Tavernier received some instruction in the art of cartography/engraving, he was possessed of a wanderlust. While still a teenager, he traveled extensively through Europe and achieved a working knowledge of its major languages.

Tavernier is best known for his 1666 discovery/purchase of the 116-carat Tavernier Blue diamond that he subsequently

Tigris, Sebastiani said that on the ship there were a lot of Turks, dervishes, merchants, Jannisary soldiers, a group of Bedouins, Indians, two priests, and two Armenian monks⁽¹³⁾.

In Chapter Twenty of the book, he outlined his arrival to Basra, and some information on the Sabeans. He stated that they have arrived in Basra on early August 1658. He knew that the envoy of the Ottoman Sultan had just reached the city. He went to visit him with a Jewish translator. He gave the envoy a beautiful present—a pineapple tree. That man seemed confused. He tried to know news of Aleppo and Constantinople. Sebastiani pointed out that Mar John Christians resided at the outskirts of Gezzael, and they have shown great sympathy with us. He said that we have sailed in the Euphrates and passed by Salucia, Cutimarmar, Musasar, and Arge, which is a village where a number of Sabeans live.

6. The French Tavernier (1676) Speaks about Peaceful Coexistence in Basra

Jean-Baptiste Tavernier (1605-1689) was a 17th-century

decided to go back to Europe passing by Iraq. He was then commissioned to work in an island in the Aegean Sea in Bisignano city in Calabria on 22 August 1667. After a few years, he was transferred to Citta di Castello in Umbria district on 8 October 1672. He died there in 1689 leaving a pleasant memory for his people.

The Book of the Trip

Sebastiani's trip is in two volumes. The first volume was published in Rome in 1666 covering information related to his first trip. The second volume was printed in Rome in 1672 covering the trip events. The first volume consists of three books, each one includes a number of chapters. This is also the case of the second volume.

Aim of the Trip

Sebastiani's aim of his many trips was to go to India to visit the Christians living in Malabar State. The delegation, he headed, had three other religious men. When he came back home, he published his trip memoirs in response to his friend's demands. On their way to Basra on board of Dank ship they have chartered to get to Basra via the

committed on a religious mission to Germany where he spent a number of years. He then came back to Italy where he began to teach theological principles to monks.

The ecclesiastical top authority commissioned him to go on an official mission to India as a commissioner to be acquainted with the conditions of Christians at Malabar (now Kerala State). He left Rome on 22 February 1656 heading eastward knowing no Oriental language. He was accompanied by a number of monks from his convent. Having completed his mission, he went back to Europe at the end of 1658. He was then appointed as the bishop of Hierapolis Parish on 15 December 1659. Following that he headed again for the East to deal with the ordeal he had already studied. He left Rome on 7 February 1660. On mid-1660 he passed by Iraq and continued his trip to India. He did his best then to bolster ties between Christians and their religious leaders there.

While he was there, the Dutch troops conquered Koshin area. He was obliged to move from one place into another until he was finally forced to leave out. As a result, he

enough water. The Wali ordered a canal to be dug at his own expenses extending from the river to the convent. The canal was dug in a short time⁽¹¹⁾.

Vincenzon left Basra on 16 August 1658 by sea where he passed a number of places.⁽¹²⁾

5. The Italian Sebastiani and Peaceful Coexistence in Basra (1666)

Bishop Giuseppe Maria Sebastiani, O.C.D. Bishop of Città di Castello

The name of the book is (Viaggio, e nauigatione di monsignor Sebastiani, S. Giuseppe di S. Maria, dell'ordine de'Carmelitani Scalzi ... nell'andare, e tornare dall'arcipelago .by Giuseppe Maria Sebastiani).

Publication date 1687

Publisher per Domenico Ant. Ercole

Giuseppe Maria Sebastiani was born in Caprarola township in Italy on 21 February, 1623. In his youth, he joined the monastic order of the barefooted Carmelites. He took his monastic vows on 3 March, 1641, in Rome. He was

accompanied them. He stated that Basra embraced people of different nationalities including Turks, Persians, Arabs, foreigners, Jews, Armenians, Sabeans, and Christians of all sects.

Those people used to practice their religious rituals quite freely. The amir of Basra had an inclination for Europeans. This has been apparent in a number of occasions. He treated the Carmelites with special respect and met their demands. He, for instance, visited our convent more than once where he showed a friendly attitude towards the monks whom he treated as Muslim dervishes⁽¹⁰⁾.

After that Vincenzo singled out a special section (Chapter Thirty One) for the Sabeans or the Christians of St. John where he wrote in details about this sect. In Chapter 14, he talked about his return to Basra after he had visited India for two years. He stated that their arrival to Basra was on 3 August 1658. In these days, the Wali of Basra visited our convent in Basra. When he entered into the orchard of the convent, he noticed only little vegetables there. Asking about the reason for that, he was told that there was no

oriental del padre s. Vincezo Maria di s. Caterina da Siena, published first in 1672. The book was translated from Italian with comments by Father Butris Haddad. It was published in Al-MawridJournal, No. 3. 1976, pp. 71-89.

Vincezo passed by Basra in 1656 during the period of the famous Afrasiab Emirate which was established by Afrasiab and was ruled then by his sons and grandsons. In his account of the city, its demographic dimension and population, he indicates that they have arrived in Basra on August, 1656. He noticed a large number of houses belonging to the Sabeans who were speaking a language peculiar to them. As Basra is so far away from Constantinople, the city was always in turmoil. The Ottoman Sultan feared that he might lose control of Basra, while the rulers of Basra wished to have the city under their grip. The Sabeans, on their part, were seeking freedom, and they were changing fidelities according to the benefits gained ⁽⁹⁾.

Then he touches on the Afrasiab Emirate, the characteristics of the Ruler at that time Hussain Pasha Afrasiab, the wars that broke out, and the calamities that

of much humanity, contracting an intimate friendship with me, did me a thousand courtesies whilst I staid at Bassora. In the morning his Wife in person went about seeking a House for us; and at night I accompanied her to see one adjoining to her own, which for that reason, and because it was somewhat better then the rest, although far from good, I made choice of, and she promis'd to get it prepar'd for me against the next day; whereupon I return'd aboard this night also. This day Proclamation was made in Bassora for every house to send out a man with Arms to the camp to aid the Basha in the War against the Persians, who were said to approach"⁽⁸⁾.

4. Vincenzo and Peaceful Coexistence in Basra (1656)

He is Father Vincenzo Maria di S. Caterina da Siena. He is Italian. He joined the Carmelites monastic order. In 1656, he was sent on a religious mission to East India. When he went back home, he was committed to undertake some official religious duties. He died in 1679 when he was 54.

The first book on his trip was titled *Il viaggio all'Indie*

the other three were abroad in the great River near the place where the Basha had pitch't his camp to make head against the Persian Army, which was upon the Confines, and was rumor'd to intend an attempt against Bassora.

March the twelfth, Early in the morning, before we stir'd, I was visited in the Ship by F. Basilio a Bare-footed Carmelite, and by F. Fra. Paolo di Giesu an Italian Franciscan whom I had known at Goa, and who was now in his passage to Italy, lodg'd at Bassora by the Carmelites. At night, upon the coming in of the Tide, we tow'd the Ship up to the City. On either side of the Dike, were abundance of Houses and Gardens, which render the passage very delightful. Having cast anchor within the City, near the Southern bank, which is most inhabited, I went ashore after dinner to seek a House; but not finding one to my mind return'd back to rest all night in the Ship.

March the thirteenth, Not finding a House to my content, upon further search, I got one to speak to Chogia Negem, the chiefest Christian of S. John then amongst them, being also Scibender of the Dogana; who, as a Christian and a Person

Jurisdiction, which he usurps not without some intrusion upon the Bare-footed Carmelites, notwithstanding the Briefs of most ample Authority which they have obtain'd of the Pope for that purpose; insomuch that in my time the said Augustine-Vicar publish't an Excommunication against all such as should not confess at Easter in their Church, although they did it in that of the Carmelites; and publish'd his Church to be the Parish-Church, and not the other, besides other like contentions between them; not without some prejudice to the Affairs of Religion. The Basha, who for the assistance which he had of the Portugals in the war, us'd not only them, but all Europaeans that came thither, very well; gave a Pension or Alms to either Church every Month sufficient for Provision; and he also well paid the five Portugal Ships which lay at Bassora for his service in the War.

Having entred the above-mention'd Dike, and cast anchor for fear of being carri'd back again by the violence of the ebbing water; we met with two of the said Portugal Ships at anchor, in one of which was the General himself:

Christians hither, the bare-footed Carmelite-Fathers of Persia first, and afterwards the Portugal Augustines of Goa have built two Churches, either Order one, wherein the Catholick and Roman Rite is publicly observ'd. That of the Carmelites, the Seat whereof was partly given them by the Basha, and partly bought by themselves, I found already finish't with a small Cloister, and some Cells for the Fathers that live there: of its Dedication which hapned in my time, I shall speak below.

The Church of the Augustines had not its foundation yet fully laid, and they were in suspense whether to go on with the building or no, for fear lest the Persians should one day take Bassora in these wars which were on foot. So that in my time the said Fathers lived in an hired house, which the Basha paid for; yet they had a Church, or rather an Oratory there, wherein Mass, and all Divine Offices were publicly celebrated. Of Augustines, there were two at Bassora; one with the Title of Prior, was also Vicar to the Archbishop of Goa; likewise an Augustine Fryer, who, for the sake of the Portugals that resort to the City of Arabia, pretends to a

Hhaveiza there are more then in any place else, where they have a place inhabited only by themselves, call'd Kiumalava, or, as themselves pronounce it, Chiumalava, reading the Letter K with the sound of Ch. Here live certain of their chief Priests, Monks, and Bishops, whom they all Chanzaba, and by whom they are govern'd in Religion. I believe they have there some kind of Church, Sacrifice, and all other things better then at Bassora; yet because I cannot speak either upon my own knowledg, or any sufficient & credible information, I shall not relate any thing more of them; although I had once a servant of the same Nation, born in Kiumalava near Hhaveiza, who amongst them was call'd Roheh, but being afterwards re-baptiz'd by our Religious, was nam'd Giovanni Robeh.

I shall only add concerning Bassora, that of late dayes the City hath been more frequented with the trade of the Portugals of India, (to wit, since the loss of Ormuz) five of whose Ships at my being there continually rode in the River to defend the place from the attempts of the common enemy the Persian. Upon the conflux of many Europaeen

which is generally in use; which Language of theirs they call Mendai, as also for the most part amongst themselves they are styl'd Mendai, besides the two other names of Christians of S. John and Sabeans, by the first of which they are known to us Europaeans, and by the latter to the Moors. What Mendai signifies, and whence it is deriv'd, I could not learn. They have also particular Characters different from the ordinary Chaldaick and Syrian, both ancient and modern, wherewith they transcribe their sacred Books, but commonly none can either read or write this character besides the Priest, who by an Arabick word is usually styl'd Sceich, that is, Old Man. I could not learn any thing more concerning them, because they are few and very Idiots; only I think they may be those Sabean Heretick mention'd in Histories, and particularly in the Elenchus Alphabeticus Haereticorum of Gabriel

Prateolus, who relates their Original and Rites. Besides these of Bassora, there are other at Hhaveiza, which is near Bassora, at Durec, Sciuscter, and many other places of Persia; amounting, as they say, to many thousand Families: yet in

have no Church except the House of one single Priest, who was there in my time, and he a very Idiot; nor could I learn that they ever assembled there to be present at any Divine Service.

They have no Fast or abstinence from Flesh, but eat every day alike. Nor have they any Sacraments, except some shadow of them; and 'tis a question whether their Baptism be such as it ought to be, and not rather the Baptism of S. John then of Christ. And because in this, and many other things, they observe S. John Baptist more then any other, and have him in greatest Veneration, therefore they are call'd Christians of S. John, with no small suspicion of being the remainder of those Jews whom S. John baptiz'd with the Baptism of Repentance, and who, without caring for any thing else, have continu'd in that Rite ever since.

The Gospels, and other sacred Books, 'tis not known (at least) in Bassora, that they have or use; but they have a Book which they call Sidra, according whereunto they govern themselves in matters of Religion; but who is the Author of it, I know not. They speak a harsh Chaldee, besides Arabick

did not set up a monastery peculiar to them: they instead rented a house for their residence and worship. The Pasha paid the rent, and the monks made one of the rooms as a worshipping place for prayers. In addition to that, the Pasha treated the Portuguese and Europeans in general with respect due to the considerable assistance he was offered during the war against the Persians. He therefore allotted a monthly salary or a monetary aid for the two churches.

“The people are Arabians with some Turks intermix’d, so that the Arabian Language is most spoken, although the Turkish and Persian are not unfrequent. As for Religion, the Moors are partly Sonai’s, and partly Scinai’s, with Liberty of Conscience to both; yet in the Meschita’s the Service is after the manner of the Sonai’s, and also all publick Ceremonies are perform’d after the Rite of the Sonai’s, which is that which the Great Turk, who is King of this Country, observes at Constantinople.

There are also some Houses of Chaldean Christians, call’d Christians of S. John, or Sabeans; though I believe they have little more besides the name of Christians; for they

After that he refers to non-Muslims living in Basra stating that there were a number of Chaldean Christians known as the Christians of St. John or Sabeans. He described their customs, manner of worship, their distinctive language—a sort of a distorted Chaldean language known as Mandaean, besides Arabic. Touching on Basra affairs he indicated that trade flourished in the city following Portuguese conquest of Hormuz castle. With this event an increasing number of Portuguese citizens working in India headed for Basra.

As the number of European Christians in Basra was high at that time, the Carmelite monks sought to establish a religious worship place followed by Portuguese Augustine monks. Each monastic order had its own church where religious rituals were carried out in accordance with Roman religious ceremonies. The he describes the worship place of the Carmelites stating that it was constructed in a beautiful manner, that the Carmelites bought part of the plot of land themselves while the Pasha granted them the other part. He then documented the inauguration ceremony of that place of worship. As to the Augustine monks, he said that they

Religious at Basra often were asked to act as intermediaries, and negotiators between the trading representatives of the Portuguese, Dutch and English ships on the one hand, and the Arab governors and their Turkish pasha successors on the other. From 1679 the Vicar of the residence had been appointed by the ambassador of the French king in Constantinople as 'consul for the French' at Basra: the Vicar continued to hold the position until the arrival of a civilian consul on behalf of the French East India Company in 1739⁽⁷⁾

3. Pietro della Valle and Peaceful Coexistence in Basra (1625)

Della Valle hinted at the religions in Basra and their followers covering the areas he passed through his trip in Iraq in 1625. He also dealt with the demographic variety in the city, stating that Arabs rank first, then come Turks and Persians; Arabic language was predominant followed by Turkish and Persian.

In addition, he talked about Muslim sects in Basra (Shi'a and Sunna) pointing out that people were free in their worship.

lay-out of buildings, and appears to date from Fr. Basil's time).

Considerable repairs were carried out in 1644. and 1655.

In 1660 the Carmelite Residence was described as erected on a site "50 paces by "50 paces": and situated between the Pasha's palace and the 'great mosque': not long before 1653 one mosque had been constructed near the church. Arabic documents of 1679 describe it as near the "Qurban bridge", and the "Khan "Ad-Dahan".

In 1683 mention is made of "another house adjoining ours" possessed by the Carmelites, and let out to lay-folk.

In 1703 "to the east of the church there is another house belonging to us, called "vulgarly the 'caransarai', where Europeans are lodged, when there are Christian traders at Basra. . . ." In 1719 the west front of the 'caravansarai' was rebuilt, and extended...

(vii) That of 1624 was the first church of a Christian rite to be made in Basra—formerly there had been only mosques and 3 synagogues. By 1753 the Armenian schismatics

(ix) From their arrival in 1623 until 1704, at least, the

high: and had two side-altars in stone.)

(v) The first church in 1658, and the second in 1703 possessed 'images' (paintings or statues) of: Our Lady of Ransom, The Prophet Elias, S. Teresa of Jesus, S. John of the Cross, S. Gregory the Illuminator, S. Louis, king of France.

In 1708, after the sequestration by the Turks, these "sacred images", together with lamps, candelabra and other heavy goods of the church were sent to Kung for safety, and there "burnt" in the course of an attack made by the Masqatis on the Portuguese.

(vi) The first House, 'very small, in ruins, only one single room standing', was granted as a gift by the Arab governor, 10.3.1624, and made into a church, 3 rooms and a small entrance-hall.

In July 1624 a house next the church was bought for 200 piastres (a law-suit on this account in 1680?): the buildings rearranged and made into 5 cells, and offices, and an upper storey.

By 11.11.1625 a piece of land had been bought for 1,000 piastres (a plan exists in Archiv. Gen., O.C.D., Rome, of the

a tribune, or gallery, was erected over the door, and two cells to the right and Left. In 1706 once more its dimensions were checked by the Turkish authorities and found to be 27 cubits length, by 10 cubits width (height not mentioned), the two small rooms at the sides a cubits long and broad, and a tribune over the door. 'Cubit' is the Latin translation, in the one case from the Arabic, in the other, from the Turkish, where "za.r'a" is used. The longer zar'a in general use for measurements to-day is over a metre in length; viz, the distance from the tip of the nose to the tip of the fingers of one outstretched arm. This must be the shorter zar'a, from the elbow to the tip of the finger; the Arabic indeed specifies "Al-yad al-mu'atidilat", —medium arm.

The building was not in ruins, but needed repairs to the material. It was demolished to its foundations, 30.9.1765.)

The third church was "blessed" by the tide of 'Our Lady of Mount Carmel' [sic], 24.12.1765. (N.B. The existing church, 1936, has, however, the dedication of original of 1624 and its successor—'Our Lady of Ransom').

(It measured 41 cubits long, 291 cubits broad, 13.5 cubits

ministration); i.e. at least for 140 years between 1624 and 1778 church and one or more missionaries and Residence (or Hospice) were functioning:

(The intervals—arising from death, temporary abandonment, force majeure—when there was either no Carmelite Father in residence or, if a missionary were in or near Basra, the church was shut or under sequestration by the Turks, were...

(iv) There were three buildings of the church:

The first dedicated to 'Our Lady of Ransom', 14.4.1625.

(It measured 23 'pieds' long by 10 'pieds' broad, vide letter of 1660: the walls became in a ruined condition, partly owing to damage through the war, and the edifice was entirely rebuilt, the first stone being laid 18.6.1679).

This second church, whose dedication to 'Our Lady of Ransom' is mentioned on more than one occasion subsequently, was blessed 10.9.1679 S. Michael Archangel being taken as its patron.

(It measured 27 cubits long, by 10 cubits broad, height 21 cubits, and was on same foundations as the first; but

and Philip of the Most Holy Trinity), two choir brothers, and two lay"⁽⁶⁾.

At the end of the book, there is a summary outlining the situation in Basra since 1623 up to the end of the records. The following is an extract of this summary:

"Summarizing, therefore, from the evidence available the reader may conclude that:

(i) The mission at Basra is the senior by far of all the Carmelite Residences that survive

from the historic 'Mission of Persia and the Indies';

(ii) from the first Mass said by Fr. Basil of S. Francis in 1623 till 1778—the end of the

present narrative, to carry it no further—was 155 years (154 years since the opening of the Residence, 16.3.1624: a second span of 155 years has passed since then, of which the narrative remains to be discovered, and written);

(iii) of those first 154 years the Residence was in the occupation of Fathers of the Order continuously, except : for a total of some ,13 (or 14 years—if the months August 1769 to end of 1770 are not to be considered as valid

Order esteemed that mission at Basra:

I am well respected both by the Pasha and by all his chief men, A few days ago, from a place where he had gone against some rebels, he wrote me a very courteous letter and recommended himself much to our prayers. This House is frequented by Muslims as well as by 'Franks', and especially by the Armenians who know no other. . . . Our site has been such a success that I can say no better could be found: and that today is the "general opinion of everybody....

Additional building fallowed, however, in 1628... .

He added, comparing conditions in Basra with those in Persia, that they needed the more help of God and men at Basra because the Muslims here are very different" (i.e. to those in Isfahan and Persia) "and much more "opposed to Christians, and their friendships are of small constancy. . . ."

In August 1630, however, once more there was a revival of Portuguese shipping... .

At that date there were in the Residence at Basra four priests (Fri. Basil, Elias of the Mother of God, John Antony

the licence to make a church and establish a hospice of a Religious Order in Basra had been conceded to Fr. Basil by the Arab governor on his own responsibility, and under his personal seal. In his letter of 22.7.1625 Fr. Basil touches on a point, which was to cause years of trial and suffering to subsequent Carmelites:

Fr. Basil wrote to Rome at 11.4.1625:

I arrived here two years ago at a time when there was no Father here, nor even any 'Frank' at all: there had never been a Religious House here, nor a church, nor Mass said.

Two months after my arrival, had a house, said Mass, and by virtue of our Brief from Clement VIII I exercised my office, and administered the Sacraments to the 'Franks', when they came here. I made a copy of the Brief in the vulgar tongue, and read it to the Franks', so that we were considered by them as Parish Priests. After a year had passed, that I had been here alone in peaceful possession...

on 6.11.1626 he mentioned that in the previous month he had received letters from the Praepositus General (then Fr. Paul Simon) in which the latter signified how greatly the

and they (the owners) waited 2 months for us to pay the other 100 piastres. I had the deed (of sale) made out by the public authority, and felt much relieved...

Up to oday I have baptized 20 or 21 children of Christians, save one a Gentile (i.e. pagan probably Hindu) "and another a Muslim whom the Fr. Visitor baptized. There are also many associate brothers who take our scapular. As soon as the house is finished, with God's will we shall pay more attention to learning the languages.

. . . There are a large numbr of those whom they call Christians of S. Johns and who are ignorant to the utmost degree. . . . Other kinds of Christians... such as Nestorians, Armenians, Jacobites, Syrians know Christian principles much better, though there is work to be done among all of them; but they appear to me very easy to bring to submission, and to recognize the Sovereign Pontiff as head of the Church.

Up to today I have seen no one who denies this, or who fails to take well what we are telling them,

(sd.) Basil of S. Francis, 8th April 1625.

and the other necessary offices, nor even a little garden: and all we had was the church, the 3 rooms mentioned and a small entrance: and I say in truth up to then there was no thought of being able to have anything more. But the Lord, who had thought for this, provided a good remedy for it; because the discomfort was indeed great. As I was then alone I did not feel it so much; but afterwards, when Fathers came and things grew, it was better perceived.

At last it began to come into my mind that, if the house next the church could be obtained, matters could be better adjusted. I had no money, but still I began to speak about this. Yet I could not obtain the building because the owner did not wish to sell.

I did not cease to importune the more for the space of a month, and finally by the intermediary of one of these notables I succeeded in getting the house sold to me: the price was 200 piastres and with this I was well content, and at once went off to our fleet and gave an account of all to the senior captain, who gave me 50 piastres and the other captains another 50 piastres, and we paid this on account:

Portugal who was here).

At once I had two other rooms arranged, and i came and inhabited them. The day when I began building in that house was the 10th March 1624: the day when I went to inhabit it was the 5th April of the same year. Of those rooms which I had arranged one served as an oratory.

I then began to set about making a small church, because many people were coming, and the oratory in question was still small and inconvenient. And so on the rest of the site, which was very cramped, I began to make the church. I proceeded little by little, and in the space ot 4 months had finished putting a roof on it: and I shall not omit to say also how I had so little in the way of funds that many times I had to go out and beg in order to pay the workpeople. But, with all that, I never ceased working through lack of coin, for the Lord always had care to make provision in His own time.

As it was within such limits, the church did not appear bad; but, since the place was so cramped, stood in front of the door a wall of another house, a matter of a distance of 7 or 8 hand-breadths: and there was no more space for cells,

studying: many times I preached to the 'Franks' and to the Christians of the country; I read and explained the Gospel in Arabic, together with some doctrine seasonable for them. On the 2nd December of the same year the Father of S. Augustine who was here died in our House, and there was no one besides myself in the town. Without my knowing anything, the Factor of the king wrote at once to his Prior at Isfahan not to trouble to send other Fathers, as the country could hardly support one House...

So I found a loan of nearly 300 piastres . . . and I began once more to negotiate about taking some house here, and I was the more solicitous in this because of the great discomfort in which I was living, and also because the Pasha then was well disposed towards us. And so after many talks and much labour, I got from him—it was the first Pasha who made the grant, and at Easter at night together with his son, his successor, he came to visit Fr. Basil—a house, very small, poor and ruined, in which there was only a single room standing, but this was granted as a gift (and this by the help and intercession of the Factor of the king of

which he rented, but continued to come and say it in my house: and this good Father was much my friend and behaved well towards me. While they were here, all the 'Franks' on those ships came here to make their confessions and do their business and provide themselves with what they needed, so that there was no shortage of work then. Finally those ships left, and also that captain of ours who had been feeding me. About thirty persons from the vessels, however, remained here that winter and, although it was a little far away, continued to come to my house, especially on Sundays and feast-days, and also many Christians of the country. So I passed that winter and daily continued to arrange thc house better, and God made provision for us so that it began to get into shape.

I spoke to the Pasha several times, and worked hard to obtain a house of our own, laying great insistence on this, but at the time did not succeed. At this time too I was also teaching some boys of the Christians to read and write in Arabic, prayers, and the Christian doctrine, and I baptized some of them, as I shall relate: the rest of the time I was

need of the Viceroy of India at that juncture he easily came to an agreement: the need that he had was that, in case there should happen to him some ill encounter with the king of Persia, of whom he stood in great fear, he would be able to betake himself to India—this was according to what was said...

8th August thic arrived here 6 ships, which stayed here for the space of a month and a half. (There were nine Portuguese ships in all at Basra then—"a thing that had never been seen there before: so that the Pasha was greatly pleased, because the town was so much honoured, and much merchandise was coming.

The Viceroy of India had written to him and sent his Factor to stay here, and other things, which the Pasha desired exceedingly, and so today he is a great friend of the Portuguesc"—letter of 20.8.1623.) "Then I became provided with some things for the church and began to arrange the house, and received 120 piastres as alms besides. The other Father had become somewhat disgusted for certain reasons and so did not wish to say Mass in his own house,

I spoke to him, and gave him notice of my intention, together with some reasons for it, which appeared to satisfy him; for he was much pleased, and told me verbally that he gave it" (the permission) to take a house and dwell here, showing great goodwill and pleasure, perhaps—as he afterwards let me know—because he had certain monetary claims in Goa. I was rejoiced, seeing in it a good beginning. After a few days had passed I went again to speak to him: and I obtained the permission in writing, written with his own hand and under his own seal—he even gave me to understand (although he did not put it as a condition) that he would give it on my arranging to obtain from the Viceroy of Goa permission for Portuguese ships to come freely to this port, which these gentlemen tell me will not be difficult.

I was the more content at this, because everyone said that it would never be possible to succeed in having a church made in this country, where there has never been seen anything like it, and from what I have understood his chief Mullas opposed the grant. But as he (the Pasha) had

according to what the captain afterwards told me, he came here almost by a miracle

I did not say Mass, because no wine made from grapes was to be found. People began to flock to me—Christians and Arabs—giving alms. At once I commenced negotiating

the business of making a foundation here, which at first seemed absolutely impossible, that I was the rather prepared to have to go to India: the first and chief need consisted in getting the permission of the Pasha, because, if he did not give it, there would be nothing else to do but take myself away. I took counsel, and it seemed advisable to wait some days to see whether some other ships came, so that then all together might ask this favour of the Pasha. I waited a month; but, knowing that the Portuguese fleet was sailing in the 'straits' (i.e. Gulf), "for which reason it would be difficult for any vessel at all to come here" (to Basra), "I determined to wait no longer, and to go myself to speak to the Pasha: and so, trusting in God alone, I went with this captain and men from the ship, and another man of the country, a friend of the Pasha.

the Carmelites chronicles including their worshipping place. The following pages will review some of the Carmelites documents on Basra. To start with, the first Papal envoy to Basra, who was committed to set up a house for worship, reports throughout the period 1623 – 1663:

“In the year 1623 on the 26th March i was sent from Persia, from the city of Isfahan capital of that kingdom, from our Convent of Jesus Mary, in which at the time there were 7 Fathers priests and two Lay Brothers: and the cause of this mission of mine was first to see whether it were possible to make a House (of ours) in Basra...

“Finally I arrived at this town of Basra on the last day of April 1623 two hours after nightfall; but landing about 1.5 miles distant from the town I entered it on foot and unshod, and went to sleep that night in a caravansarai in a lonely place...

I took a very small house on hire...it so happened that there was great scarcity prevailing in the own, and many hundreds died of hunger: I was thinking of going to the desert to eat gras ...I g news of a ship arriving : and,

scholars. This new edition contains an introduction by Rudi Matthee, an acknowledged authority on Safavid Persia.

The documents of this mission are written in about 500 pages. They outline the history of the Carmelites in Basra from 1623, the year of the first mission sent to Basra, following the Persian mission, up to late Eighteenth Century in Basra. They record the establishment of the first Carmelites worshipping place in Basra in 1623 with the help of the amir of Basra. That place was shortly developed into a church. There is also information on the good manners and open-mindedness of the Basra people and also the respect and love shown to the Carmelites and to the followers of other religions in the city. Besides, there is reference to the assistance given to them by the local government of Basra and the Turkish government including supporting their mission, repairing or reconstructing their houses, and other details.

It is worth mentioning that the documents are arranged chronologically exposing diverse information on Basra. The documenter, however, gives a summary now and then of

the Papal Mission of the XVIIth and XVIIIth Centuries. Eyre & Spottiswoode, 1939. Edited by H. Chick, Translated by H. Chick.

A Chronicle of the Carmelites in Persia and the Papal Mission of the XVIIth and XVIIIth Centuries. Eyre & Spottiswoode, 1939.

Edited by: H. Chick . Translated by: H. Chick

In 1604 Pope Clement VIII despatched a delegation of Discalced Carmelites to Persia to exhort Shah Abbas I to join an alliance with him. Thus began almost two hundred years of Carmelite activity in the region. During their time there, the Order not only bore witness to the great Safavid dynasty and its demise: they also amassed a huge written record. Herbert Chick's two impressive volumes present an important collection of these writings. The records provide an unparalleled source of detailed information on the politics, diplomatic rituals, foreign policy concerns and matters of court ceremony of the time, including correspondence between the Popes and the Shahs. Now extremely rare, the work remains an invaluable resource for

prayer, and saw on the shore a little house like a hermitage, and asked what it was.

They said that it was dedicated to Iga ben Mariam, that is, Jesus, the son of Maria ; and showed me much land and many palm-groves, assigned to its support and service.

Whereat I wondered ; for though I knew that the Moors honour him greatly and call him Ruyalah, that is, "the Breath of God," I had never known them to dedicate a temple to him"⁽⁵⁾.

2. The Mission of the Carmelites to Basra and Peaceful Coexistence (1623)

The documents written by this mission are considerably important for all those interested in the history of Basra in general. The details in these documents on the history of Basra are unmatched. It is therefore necessary to translate the Carmelites documents into Arabic due to their significance to researchers and historians. These documents and memoirs were published in English in 1939 in two volumes under the title A Chronicle of the Carmelites in Persia and

His style is characterized by simplicity, smoothness and fluency. In the following script, he describes the hospitality he has experienced from a well-known Muslim amir and sheikh from Basra. He then records his observations on his way back through Al-Ashar River where he saw large beautiful orchards consecrated to Jesus Christ.

“one day they took me up it, rather more than three leagues, to see a Xequé, or Lord, who held much of the country that I after wards traversed. He was called Xequé Mahamed eben raxet ; a man for his presence and aspect worthy of that and of a better position. By means of an interpreter, he spoke at larg with me; shoing great pleasure therein, for that he had never seen a Frank,they call the christians of Europe. He wondered of my dress, speech, and manners, which he considered with particulare attention; and after great offers , and entertainment on a little ill-stewed goat’s meat — which was no small favour — I took leave of him. Descending the river, which is really very pleasant, at a certain point I saw the Moors in my boat rise, and pray very reverently. I looked whither they faced in

originally into English, was adopted.

In the following sections, the historical documents would be reviewed according to their chronological order.

1. Pedro Teixeira (Portuguese) and Peaceful Coexistence in Basra (1604)

Pedro Teixeira (died 4 July 1641) was a Portuguese explorer. He was born at Cantanhede; the date of his birth is unknown. His exploits are considered remarkable even by today's standards. He belonged to one of those Portuguese-Jewish families.

The name of his book is (The travels of Pedro Teixeira; with his "Kings of Harmuz") which was published in 1902. London and printed for the Hakluyt Society. It is a translation of: *Relaciones de Pedro Teixeira d'el origen descendencia y succion de los reyes de Persia, y de Harmuz, y de un viage hecho por el mismo autor desde la India Oriental hasta Italia por tierra.* Amberes, 1610.

Teixeira is considered to be one of the first foreign travelers who visited Basra, as he arrived in the city in 1604.

are intermingled together, namely:

1. Traditional historical research which is concerned with recording historical events and ascertaining their verification.

2. Analytical historical research: mainly concerned with analyzing historical events through finding out about their causes and results.

3. Philosophical historical research: focuses on discovering rules and laws that govern the history of humanity: how they operate, stages of human history, the causes behind the development of the movement of history in general, and future prediction.

The present paper adopts an approach that mixes the above three levels although the first level may be prominent in some parts of the research work. The paper uses primary documents. One main problem is that most documents belonging to the period under study are written in either Italian or French. The research therefore relied considerably on documented English translation. In less limited cases, the Arabic translation of some documents, not translated

power, what they achieved, from where they started their careers; where, when and how they were brought to an end, where they are now; what have they actually gained out of life and what was their contributions to the human welfare.

If you carefully ponder over these problems, you will find that each one of those people has parted company with the others and with all that he cherished and loved and he is now in asolitary abode, alone and unattended; and you also will be like him.

My dear son! Though the span of my life is not as that of some other people who have passed away before me yet I took great care to study their lives, assiduously I went through their activities, I contemplated over their deliberations and deeds, I studied their remains, relics and ruins, I pondered over their lives so deeply that I felt as if I have lived and worked with them from early ages of history down to our times and I know what did them good and what brought harm to them"⁽⁴⁾.

Historical research is in three levels mainly although they

“There have been examples before you. Journey in the land and see what was the fate of the liars” ⁽²⁾.

“And all We relate to you of the tidings of the Messengers is that whereby We strengthen your heart” ⁽³⁾.

The importance of history was also highlighted by Imam Ali bin abiTalib’s will to his son Al-Hassan where he refers to the lessons to be learnt from getting acquainted with the history of older generations:

“Accept good exhortations and refresh your mind with them. Adopt piety and kill your inordinate desires with its help. Build your character with the help of true faith in religion and Allah. Subjugate your nature with the vision of death, make it see the mortality of life and of all that it holds dear, force it to realize the actuality of misfortunes and adversities, the changes of circumstances and times and compel it to study the lives of past people.

Persuade it to see the ruined cities, the dilapidated palaces, decaying signs and relics of fallen empires of past nations. Then meditate over the activities of those people, what they have all done when they were alive and were in

The paper is limited to the Seventeenth Century where a diversity of historical sources could be utilized and where peaceful coexistence in Basra has become quite apparent. Hopefully, this research work would be continued to cover peaceful coexistence in Basra in the following centuries.

The importance of such a research orientation emanates from the significance of the documented historical research work. In this respect, the Holy Qur'an looks into history as a source of knowledge; it therefore urged people to get acquainted with it and make use of it.

"Indeed, in their stories is a lesson for those of understanding. This is no forged tale, rather, it is a confirmation of the previous, a distinguishing of all things, a guidance and a mercy to a nation who believe"⁽¹⁾.

Besides, the Holy Qur'an has a lucid and thorough approach in tackling human history in its manifold branches, spheres and levels. History, in matters of persuasion and reliability, provides knowledge based on experience and practice, which cannot be found in sheer theoretical knowledge.

Introduction

Basra, which was established outside the Arab peninsula after the emergence of Islam, has assumed special importance. As such, it has attracted, for a long time, the attention of travelers, explorers and preachers. Added to this, and due to the characteristics of the city, Basra turned to be a center of attraction for many people who belong to different religions and sects. The interaction among all those people has become inevitable. In fact, it has become a school for them through peaceful coexistence among the followers of various religions and sects up to now.

This distinctive mark of Basra stimulated researchers and inquirers to highlight this fact. The present research paper comes in line with this course. The paper is based on an objective exposition of information using reliable documents and records.

إنَّ تميّز البصرة بهذه الميزة وفعاليتها جعلتُ الموضوع مثار بحثٍ وتحقيقٍ من قبل الباحثين، وهو ما جعلنا نثيره في هذا البحث، ولكن، عن طريق عرضٍ فنيٍّ موضوعيٍّ مستندٍ إلى الوثائق والمستندات التاريخية المعتمدة، التي ستشهد لهذه المدينة وأهلها بالتعايش السلمي بين أتباع الديانات والطوائف المختلفة؛ بحيث تكون مثلاً يحتذي به البصريّون قبل غيرهم في هذا المجال، وهو أمر لا نزال نعيّشه، على الرغم من شدّة التغيّرات التي طرأت على المدينة وأهلها.

وسوف تكون حدود البحث في ما نحن فيه القرن السابع عشر الميلاديّ لا غير، وإنّما بدأنا به بوصفه فترة متميّزة لموضوع البحث؛ إذ تعدّدت المصادر التاريخية التي يمكن الاستفادة منها، واتّضحت معالم التعايش السلمي في البصرة بصورة كبيرة جدّاً، على أمل مواصلة البحث مستقبلاً ليستعرض وثائق التعايش السلمي في هذه المدينة العريقة في القرون اللاحقة إلى يومنا هذا.

ملخصُ البحث

لم يكن لمدينةٍ أُسِّستْ بعد الإسلام خارج الجزيرة العربيَّة ما لمدينة البصرة من أهمِّيَّة وحساسيَّة وفعاليَّة ونشاط؛ لهذا، صارت محلَّ اهتمام الرِّحالة والمستكشفين والمبشِّرين من مختلف الجنسيَّات على مدار العصور وحتىَّ يومنا هذا، لاسيَّما المستكشفون الأوربيُّون.

وقد جدَّ هؤلاء تمام الجدِّ في الوصول إلى هذه المدينة، واستكشافها بصورة كاملة تتناسب وأهمِّيَّتها منذ مئات السِّنِّين.

ومن الطَّبيعيَّ أنَّ أهداف هؤلاء في استكشافهم للمدينة تختلف من شخص إلى آخر، فمنهم مَنْ جاء للتجارة، ومنهم مَنْ كان غرضه التبليغ والتبشير، ومنهم مَنْ كانت له أسبابه الاستعماريَّة، إلى غير ذلك من الأسباب والأهداف.

ولأهمِّيَّة هذه المدينة وما تتمتعُ به من مميَّزات جعلتها قبلة لأفراد كثيرين من ديانات وطوائف مختلفة، كان التفاعل بين هؤلاء الأفراد أمراً لا مفرَّ منه؛ حتَّم ذلك ضرورة التفاعل والتعامل بين هؤلاء.

وهنا يأتي ما تميَّزتُ به هذه المدينة بحيث جعلتها مدرسة للجميع في الدَّول جميعها، وهو التعايش السِّلميَّ بين أتباع الدِّيانات والطوائف المختلفة فيها، على مدى العصور -أيضاً-، وحتىَّ يومنا هذا.

Century one can find a lot of useful documents and the landmarks of peaceful coexistence in Basra has been quite apparent. Hopefully, the researcher will embark on other research work covering peaceful coexistence in Basra in the centuries that follow.

Abstract

Basra has assumed a pivotal importance since its establishment. It has thus become a center of attraction for travelers, explorers and preachers of various nationalities. The European explorers carried out very serious trips to the city since a few centuries ago. The aims of their visits have been diverse: some came mainly for commerce, others for religious missions, others for imperialistic purposes etc. As Basra has distinctive qualities that attracted people of various religions, sects and nationalities, the interaction of those people has become a necessity. This has been culminated in the peaceful coexistence among the followers of these religions and sects—a topic that is highlighted in the present paper and based on documents and reliable historical records. The study starts with the 17th Century being a period of special importance. In this

Peaceful Coexistence among the Followers of
Various Religions and Sects in Basra According
to European Documents

Episode (1)

Peaceful Coexistence in 17th-Century

التعايش السلمي بين أتباع الديانات والطوائف المختلفة
في البصرة- دراسة في ضوء وثائق الأوربيين- القسم
الأول (القرن السابع عشر)

By

Dr. Mahmoud M. Al-Aidani

Assistant Professor

Al-Mustafa University, Holy Qum, Iran

أ.م.د. محمود محمد العيداني

جامعة المصطفى العالمية - قم - إيران

Basrah through the journey of (Carsten Niebuhr) in (1765) 209

Assistant Professor.Dr. Shaker Majeed Kazem

Dr.Mohammed Salman Manwar

History Department/College of Arts/University of Basrah

Political and Administrative Conditions of AlMdaina Township (1869-1920) 243

Mushtaq Edan Ubaid

Assistant Lecturer Directorate of Education, AlMdaina, Basrah

Peaceful Coexistence among the Followers of Various Religions and Sects in Basra According to European Documents Episode (1) Peaceful Coexistence in 17th-Century 19

Dr. Mahmoud M. Al-Aidani

Assistant Professor Al-Mustafa University,Holy Qum, Iran

Contents

The Letter of Imam Hussein (a.s.) to the Nobles of Basrah: a Semantic Study of its Structure and Phrasing 23

Professor.Dr. Salim Yacoob Yousif Al-Salemi

College of Education for Human Sciences / Basrah University

Resalat Al-Basmala by Muhathib Al-Deen Al-Basry 51

Assistant Professor .Dr. Qassim Kh. Meshari

Department of Arabic Language/College of Arts/University of Basrah

Abu Al-Fadhl Al-Riyashy: A Distinguished Basrah Linguist and Grammarian 91

Dr. Ammar Gh. Salman

Lecturer Directorate of Education, Basrah

The Recall of Heritage in the Poetry of Abdul Sada al-Basri 149

Assistant Professor in College of Arts and Human Sciences-Department of Arabic Language and It Arts, Persian Gulf University, Bushehr

Aspects of the Social Relationship among the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them) and the People of Basrah for the Period of Imam Hassan (peace be upon him) Rule to the Time of the Awaited Imam Al-Muntadhar 175

Dr. Alaa H. Faisal

Lecturer, Directorate of Education, Basrah

specialists keen to enrich this refereed journal. The Journal Editorial Board, on its part, always try hard to encourage contributors to investigate Basra heritage objectively, believing in the forward movement of heritage that makes up an incentive for future generations. This journal could not have come into existence without the big support of Al-Abbasid Holy Shrine, especially the noticeable support of His Eminence Sayyed Ahmad As-Safi, who is entrusted with Al-Abbasid Holy Shrine. Readers of the journal have a key role in backing up the continuity of the journal through their follow-ups and remarks.

The present number therefore contains a number of rigorous research papers which tackle various topics comprising religious, linguistic, literary, historical, and other fields, all highlighting Basra. We hope that other researchers and scholars would follow suit and provide the journal with more research work.

Editorial Board

Foreword

Praise be to God, and God's blessings and peace be upon Prophet Mohammad, together with his family elite (Ahlulbayt). Basra Heritage Journal, to be sure, is mainly concerned with human heritage that extends to hundreds of years. As its general orientation displays, the Journal covers various linguistic, literary, historical, intellectual, and other spheres of a city that was and still constitutes the quintessence of Arabic and Islamic consciousness. Basra, in this respect, is a city of special importance where one can find landmarks of events, eminent figures and intellectuals, all contribute to portray an illuminating picture of a city that has aroused controversies, brought out manifold cultures, and witnessed unparalleled social mosaic.

Basra Heritage Journal, in its third number, has been issued due primarily to the efforts made by scholars and

not approved; it is not necessary to state the whys and wherefores of the disapproval.

e: Research papers to be published are only those given consent by experts in the field.

f. The researcher would be bestowed a copy of the journal in which the research paper is published, together with a financial reward.

13. Priority in publication is dictated by the following:

a. Research papers delivered in conferences or symposiums held by Basra heritage Center.

b. The date of receiving the research papers concerned by the Editor-in-Chief of the journal.

c. The date of submitting the research papers after carrying out the required modifications.

d. Diversifying research papers topics as much as possible.

14. Research papers should be emailed to the Center's main office location:

Basra heritage Center

Al-Ghadeer Quarter

Baghdad Street,

Basrah, IRAQ

been published before, or submitted to any means of publication.

11- The ideas contained in the research paper manifest the viewpoints of the researchers themselves; it is not necessary that they come in line with the general policy of the Journal. The research papers arrangement is subject to technical priorities.

12- All research papers are exposed to confidential revision to secure their reliability for publication. No research paper would be returned to researchers, whether they are approved or not. The publication procedures are as follows:

a: The researcher should be notified to deliver the research paper for publication in a two-week period maximally from the time of submission.

b: The researchers whose papers are approved are notified of the expected date of publication.

c: The papers to be rephrased or those that require any modification, before publication, would be sent back to the respective researchers together with the notes to be prepared for final publication.

d: Notifying the researchers whose research papers are

6- All sources used in the research paper should be fully documented in the endnotes, taking cognizance of the common scientific procedures in documentation including the title of the book, editor, publisher, publication place, version number, publication year and page numbers. Such procedure is used in the first reference to the source. But if it is used again, documentation should include only the title of the book and the page number.

7- In the case of having foreign sources, there should be a bibliography apart from the Arabic one, and such books and researches should be alphabetically ordered .

8-Printing all tables, pictures, graphs and charts on attached papers, and making an allusion to their sources at the bottom of the caption. There should be a reference to them in the context.

9- Attaching the curriculum vitae. If the researcher contributes to the journal for the first time, it is necessary to manifest whether the research paper was submitted to a conference or a symposium for publication or not. There should be an indication to the sponsor of the project, scientific or nonscientific, if any.

10- The research paper presented should never have

Publication Rules in Basrah Heritage Journal

Basrah Heritage Quarterly Journal receives original research papers under the provisions below:

1- The paper should cope with the interests and goals of the journal(Basrah Heritage issues).

2- Research papers or studies to be published should strictly be according to the globally-agreed- on standards.

3- The paper should be printed on (A4). Three copies and a (CD) having ,approximately, 5000-10000 words using simplified Arabic or Times New Roman font and in pagination should be delivered to the Journal Editor in Chief.

4- An abstract in Arabic or English, not exceeding one page,150 words, with the research title, should be delivered with the paper.

5- The front page should have the title, the name of the researcher/researchers, occupation, address, telephone number and email. Name(s) of the researcher / researchers in the context should be avoided.

Editorial Secretary

Dr. Tariq Muhammad Hassan Mutar

Editorial Board

Prof. Husain Ali Al Mustafa \College of Education for Humanitarian
Sciences\University of Basrah

Prof. Raheem Hilo Muhammad\College of Education for Women
\University of Basrah

Prof. Shukri Nasser Abdul Hassan/College of Education for
Humanitarian Sciences\University of Basrah

Prof. Najim Abdulla Al Musawi \College of Education\University
of Maisan

Assist. Prof. Abdul Jabbar Al Helfy \College of Administration and
Economics\ University of Basrah

Assist. Prof .Muhammad Qasim Ni'ma \College of Education for
Women \University of Basrah

Assist. Prof. Emad Jghaim Owaid \College of Education\University
of Maisan

Assist. Prof. Sabah Edan Al Ebadi \College of Education\University
of Maisan

Assist. Prof. Ali Majid al-Badri /College of Arts \University of Basrah

Arabic Language Check-up

Dr. Tariq Muhammad Hassan Mutar

Financial Administrator

Sa'ad Salih Besheer

Website

Ahmad Husain Al Husainy

Design and Printing Production

Muhammad Shihab Al Ali

The general Supervisor

Seid. Ahmad Al Saffy
The General Guardian of Al-Abbass Holy Shrine

Scientific Supervisor

Sheikh Ammar Al Hilaly
Chairman of the Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs
Department in Al-Abbass Holy Shrine

Editor in Chief

Sheikh Shaker Al Muhammady

Advisory Committee

Prof. Sae'd Jasim Al Zubaidy/University of Nazwa/Sultanate of
Oman

Prof. Abdul Jabbar Najy Al Yasiry \House of Wisdom\Baghdad

Prof. Tariq Nafa' Al Hamdani\College of Education \University of
Baghdad

Prof. Hasan Essa Al Hakeem \University Islamic College\ Al Najjaf
Al Ashraf

Prof.Fakher Hashim Sa'ad Al Yasery / College of Education for
Humanitarian Sciences\University of Basrah

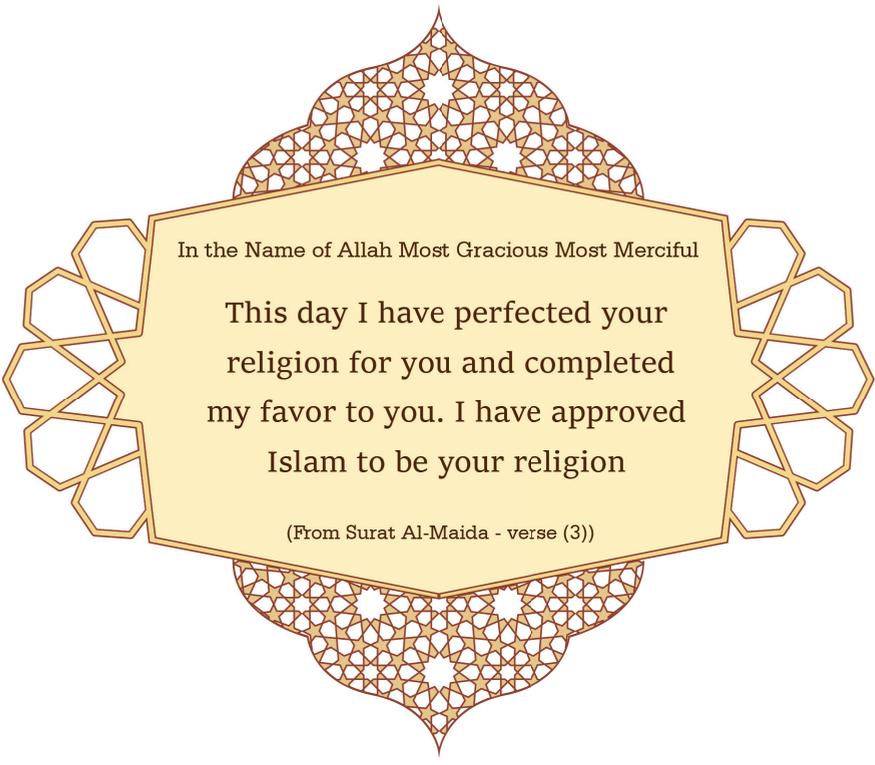
Prof. Majeed Hameed Jasim/College of Arts\University of Basrah

Prof. Jawad Kadhum A Nasr Alla\College of Arts \University of
Basrah

Assist. Prof. Mahmoud Mohammed Jayed Alaidani/Scientific
Committee Member of the University of Mustafa/Holy Qom

Managing Editor

Assist. Prof. Amir Abed Muhsen Al Sa'ad

A decorative frame with intricate Islamic geometric patterns in gold and brown tones, surrounding a central yellow text box. The top and bottom of the frame feature pointed, scalloped shapes filled with a repeating geometric motif. The sides are composed of interlocking hexagonal and octagonal shapes.

In the Name of Allah Most Gracious Most Merciful

This day I have perfected your
religion for you and completed
my favor to you. I have approved
Islam to be your religion

(From Surat Al-Maida - verse (3))



Secretariat General of
Al- 'Abbas Holy Shrine



Basrah Heritage
Center

print ISSN: 2518 - 511X

Mobile: 07800816597 - 07722137733

Email: basrah@alkafeel.net

Consignment Number in the Housebook and
Documents in Baghdad: 2254, 2017.

Iraq - Basrah

Al-Abbas Holy Shrine. Department of Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs.
Basrah Heritage Center.

BASRAH HERITAGE : A Quarterly Accredited Journal Specialized in Basrah Heritage \
Issued by Al-Abbas Holy Shrine Department of Islamic Knowledge and Humanitarian
Affairs Basrah Heritage Center.- Basrah, Iraq : Al-Abbas Holy Shrine, Department of
Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs, Basrah Heritage Center, 1438 hijri =
2017-

Volume : Illustrations ; 24 cm

Quarterly.-Second Year, Volume No. 2, Issue No. 3 (March 2018)-

ISSN : 2518-511X

Includes bibliographical references.

Text in English ; summaries in Arabic.

1. Basrah (Iraq)--History--periodicals. 2. Basrah (Iraq)--Social life and customs--17th
century--periodicals. A. title.

DS79.9.B3 A8373 2018 VOL. 2 NO. 3
Cataloging Center and Information Systems



BASRAH HERITAGE

**A Quarterly Accredited Journal
Specialized in Basrah Heritage**

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

Department of Islamic Knowledge and

Humanitarian Affairs

Basrah Heritage Center

Second Year -Volume NO.2- Issue NO.3

Rajab 1439 A.H / March 2018 A.D